

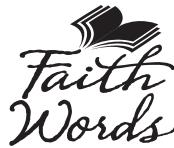
ثِقَّة

لَا تَهْتَرُ أَبَدًا

ثِقَّة

لا تهتز أبدًا

جويس ماير



ناشفيل بوسطن نيويورك

Originally published in English under the title:
« Unshakeable Trust ».

ثقة لا تهتز أبداً

الناشر : خدمات جويس ماير

الترجمة: إيهاب فاروق

المطبعة: شركة الطباعة المصرية

الطبعة : العربية الأولى ٢٠١٨

حقوق الطبع محفوظة

.Arabic Edition Copyright © 2018 by PTW, Translators and Publishers

All rights reserved. No portion of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means-electronic, mechanical, photocopy, recording or any other- except for brief quotations in printed reviews.
.without prior permission of the publisher

النشر والتوزيع:

P.T.W. للترجمة والنشر

تليفاكس : 28406981 _ 28406980 - (202 +)



**Prepare The Way
Translators & Publishers**

E-mail: ptw@ptwegypt.com

www.ptwegypt.com

رقم الإيداع:

الترقيم الدولي :

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب. أو أي جزء منه. أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقلها. أو استنساخه بأي شكل من الأشكال. دون إذن خطي مسبق من الناشر.

محتويات الكتاب

٧	المقدمة
٩	الفصل الأول : ما هي الثقة؟
١٩	الفصل الثاني : الثقة تجلب الراحة
٣١	الفصل الثالث : من الذي يمكنني الوثوق به؟
٤٥	الفصل الرابع : حماقة الاعتماد على النفس
٥٧	الفصل الخامس : ثق بالله وافعل الخير(الجزء الأول)
٦٩	الفصل السادس : ثق بالله وافعل الخير(الجزء الثاني)
٨٣	الفصل السابع : في كل الأوقات
٩٧	الفصل الثامن : إن كان الله صالحاً، فلماذا يتألم الناس؟
١٠٩	الفصل التاسع : هل "يسمح" الله بالألم؟
١٢١	الفصل العاشر : أسباب آلامنا (الجزء الأول)
١٣٥	الفصل الحادي عشر : أسباب آلامنا (الجزء الثاني)
١٤٧	الفصل الثاني عشر : على الجانب الآخر من الألم
١٥٩	الفصل الثالث عشر : يوماً فيوماً
١٦٩	الفصل الرابع عشر : المجهول
١٧٩	الفصل الخامس عشر : في غرفة انتظار الله (الجزء الأول)

- ١٨٩ الفصل السادس عشر: في غرفة انتظار الله (الجزء الثاني)
- ١٩٩ الفصل السابع عشر: عندما يصمت الله
- ٢٠٩ الفصل الثامن عشر: ثق في الله في أوقات التغيير
- ٢٢١ الفصل التاسع عشر: أحتاج حقا إلى التغيير
- ٢٣٣ الفصل العشرون: ثق في الله أن يغير الأشخاص
- ٢٤٣ الفصل الحادي والعشرون: التعامل مع الشك
- ٢٥٣ الفصل الثاني والعشرون: كم من الخبرة لديك؟
- ٢٦٣ الفصل الثالث والعشرون: أخضع الكل لله

مقدمة

لا يُمكنني تخيّل موضوع أهم من «الثقة في الله» لأكتب عنه. إنه موضوع حيويٌّ؛ لأننا حالما نختر أن نثق في الله، نجد فوائد رائعة لا حصر لها. الثقة في الله واحدةٌ من أعظم الطُرق لإكرامه.

من بداية هذا الكتاب، أريد التأكيد على أنّ الثقة ليست التزامًا ندين به لله؛ إنها امتيازٌ يتيح لنا. نحن مدعوون لنثق بالله، وحين نفعل ذلك نفتح الباب أمام أنفسنا لحياة السلام والفرح والإثمار.

عندما نمزج قدرًا جيّدًا من الثقة في الله في كلِّ شيءٍ نفعله، يُمكننا هذا أن نعيش دون قلقٍ أو اضطراب. بلا خوف أو تفكير أو ضغوطٍ مُضنية. مثلًا أنا أثق أنّ الله سيُساعدني في كتابة هذا الكتاب. هذا معناه إدراكي بأنني لا أعرف كلَّ ما عليّ معرفته عن الثقة به. أنا مقتنعة تمامًا بأن الكتاب، دونه، لن يكون جيّدًا. يُريدنا الله أن نركز عليه في كلِّ شيءٍ، وفي كلِّ الأوقات. لا تُوجد أمور صغيرة لدرجة أنها لا تحتاج تدخل الله، طالما هي تخص أولاده.

بما أنّ الأفراد يميلون إلى الاستقلال والاعتماد على النفس. عادةً ما نحتاج وقتًا طويلًا لتعلّم كيف نثق في الله. جزءٌ من صعوبة هذا الأمر ينأتى من خبراتنا السيئة، التي غالبًا ما تُعلّمنا أننا لا يُمكن أن نثق بالناس دائمًا. لكن طُرق الله تختلف كثيرًا عن طُرق الناس. وتُعلّمنا كلمته أنّ شخصيته لا يُمكن أن تكذب أو تُخادع.

أرجو أن أشارككم في هذا الكتاب، بأنه يُمكن أن تتعلّموا الثقة الكاملة في الله؛ دون حدودٍ، وأنه بالامكان أن يكون لكم إيمانٌ يفوق الإدراك. يجب أن يكون الله غايتنا، ليس فقط؛ لأن هذا إكرامٌ له، بل أيضًا؛ لأن الفوائد مذهلة.

عندما نثق في الله، هذا يُرضيه. مكتوب في العبرانيين ١: ٦: «وَبِعَيْرِ إِيْمَانٍ، لَا يُمَكِّنُ إِرْضَاءُ اللَّهِ.» الإيمان والثقة مرتبطان ارتباطًا وثيقًا؛ حتى إننا لا يُمكن أن ن فصلهما عن بعضهما. الإيمان هو المادة التي تدعو الله إلى حياتنا، وهو يحافظ على حضوره في حياتنا، ويربطنا به بطريقةٍ قويةٍ جدًا. لدينا عدوٌّ، هو إبليس، يسعى دائمًا ليمنعنا من الاستمتاع بالعلاقة مع الله، وبالحياة التي يمنحنا إياها؛ يُجرينا إبليس بالخوف والقلق والاضطراب والتفكير والضغط والشك، وأمورٍ أخرى كثيرة، تُبعد أذهاننا عن الله، وتجعلنا نعيش حياة الاستغراق في الذات، التي نحاول فيها، باستماتة، أن نعتني بأنفسنا.

الدواء الوحيد لهذه التعاسة هو الثقة الكاملة في الله. أصلي أن تقبل النعمة وأنت تقرأ هذا الكتاب؛ لتُطلقك، أنت، وكل ما يخصك، بالكامل، إلى الله، في كلِّ موقف، وفي كلِّ الأوقات.

بينما تقرأ وتدرس هذا الكتاب، اجعلْ هذه الآية في ذهنك:

«مُبَارَكُ الْإِنْسَانُ الَّذِي يَثِقُ بِاللَّهِ، وَيَتَّكِلُ عَلَى اللَّهِ.» إرميا ١٧: ٧

الفصل الأول

ما هي الثقة؟

بداية الاضطراب هي نهاية الإيمان. وبداية الإيمان هي نهاية الاضطراب.

جورج مولر

عندما نثق في شخصٍ، أو شيءٍ، ما، يُثبِت لنا جدارته بهذه الثقة، هذا يُنهي الاضطراب. لذلك فمن المُهم جدًا أن نتعلّم ما هي الثقة، وكيف يُمكن أن نثق. نحتاج بصفةٍ خاصّة أن نتعلّم الثقة في الله.

قاموس نوا ويبستر Noah Webster's ١٨٢٨ يُعرّف الثقة كالتالي: "الاستئمان؛ الاعتماد، أو إراحة الذهن؛ بسبب نزاهة أو صدق أو عدالة أو صداقة شخصٍ آخر؛ أو أي مبدأ جيّد آخر فيه؛" "أمن يضع ثقته في الرب سيكون في أمان". (أنظر أمثال ٢٩: ٢٥).

الثقة تجعلنا نستطيع أن نعيش دون
أحمالٍ أو أثقال أو اهتمامات؛ لأننا واثقون بأنّ
شخصًا آخر سيتعامل مع هذه الأمور بدلًا مِنّا.
أن نعيش دون أحمالٍ أو
أثقال أو اهتمامات.

بدلاً من أن نشعر بأننا نحمل حملاً ثقيلاً طوال الوقت. يُمكننا أن نستمتع بشعورٍ رائعٍ، خالٍ من الأحمال في نفوسنا.

أن نضع ثقتنا في الله، ونُلقي بهمومنا عليه، يتطلب أن نأخذ قرارًا بذلك. تحدّث داود كاتب المزامير كثيرًا عن "وَضَعُ ثِقْتَهُ فِي اللَّهِ". كَلِمَةُ "يَضَعُ" هِيَ فِعْلٌ نَجَدُهُ كَثِيرًا فِي كَلِمَةِ اللَّهِ عِنْدَمَا يُعْطِينَا تَعْلِيمَاتٍ عَمَّا نَفْعَلُهُ - أَوْ أُمُورًا مِثْلَ "الْبَسُوا (ضَعُوا) الْمَحَبَّةَ، وَتَلْبَسُوا (تَضَعُوا) الذَّاتَ الْجَدِيدَةَ، وَ(ضَعُوا) بِشَارَةَ السَّلَامِ حِذَاءً لِأَرْجُلِكُمْ، وَأَيْضًا ضَعُ ثِقَتَكَ فِي اللَّهِ". (انْظُرْ كُولُوسِي ٣: ١٤؛ أفسس ٤: ٢٤؛ أفسس ٦: ١٥؛ أمثال ٣: ٥).

يقول الكتاب: "ارمِ أَحْمَالَكَ عَلَى اللَّهِ (تَارِكًا ثِقْلَهَا). وَهُوَ سَيَهْتَمُّ بِكَ..". (مزمو ٥٥: ٢٢). أَحَبُّ فِكْرَةٍ تَرَكَ ثِقْلَ الْحِمْلِ. كَثِيرًا مَا نَعِيشُ بِقَلْبٍ ثَقِيلٍ، وَذَهْنٍ مَلِيءٍ بِالْأَحْمَالِ، لَكِنْ يَدْعُونَا اللَّهُ إِلَى نَوْعٍ أَفْضَلَ مِنَ الْحَيَاةِ؛ نَحْتَبِرُهَا فَقَطْ، عِنْدَمَا نَضَعُ ثِقْتَنَا فِيهِ. قَالَ نَوَا وَيِبِسْتِر Noah Webster إِنَّ "الثِّقَّةَ هِيَ رَاحَةٌ لِلذَّهْنِ". وَأَكَّدَ الرَّسُولُ بُولُسُ ذَلِكَ عِنْدَمَا قَالَ "إِنَّ مَنْ يُؤْمِنُونَ (يَتَّقُونَ) بِاللَّهِ سَيَدْخُلُونَ رَاحَتَهُ" (انْظُرْ الْعِبْرَانِيِّينَ ٤: ٣).

إِحْدَى الطَّرِيقِ الَّتِي يُمَكِّنُنَا أَنْ نَتَبَيَّنَ بِهَا، مَا إِنْ كُنَّا نَتَّقُ بِاللَّهِ حَقًّا، أَمْ نَحَاوِلُ فَقَطْ أَنْ نَتَّقَ بِهِ، هِيَ أَنْ نَرَى هَلْ نَفُوسُنَا مَرْتَاخَةٌ عَلَى أَمَانَتِهِ أَمْ لَا. إِنْ قَلْتُ إِنِّي أَتَّقِي فِي اللَّهِ، وَاسْتَمْرَيْتُ حَامِلًا ثِقْلَ الْحِمْلِ فِي قَلْبِي وَاضْطْرَابِي، إِذَا أَنَا لَمْ أَتْرِكِ الْحِمْلَ لِلرَّبِّ، رِيْمَا أَكُونُ رَاغِبًا فِي ذَلِكَ، رِيْمَا أَحَاوِلُ أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ، لَكِنِّي لَمْ أَفْعَلْهُ بَعْدَ.

سَاعَدَنِي فَهَمُّ هَذَا الْأَمْرِ لِأَتَعْلَمَ مَا هِيَ الثِّقَّةُ الْحَقِيقِيَّةُ فِي اللَّهِ. إِنَّهَا

هكذا يكون الوضع حين
نقلق. يُمكنك أن تُقرر
إلقاء حملك اليوم.

أكثر من مُجَرَّد كَلِمَات - إِنَّهَا تَرْكُ ثِقَلِ حِمْلِي؛
هي عمل حاسم، يُريح نفسي (ذهني وإرادتي
ومَشَاعِرِي). تَخَيَّلُ أَنَّكَ تَحْمِلُ حَقِيبَةَ ظَهْر
مليئة بالأحجار في كلِّ مكان تذهب إليه.

تأخذها إلى العَمَل، إلى السُّوق، وإلى الكَنِيسَةِ؛ وهي حِمْلٌ ثَقِيلٌ عَلَيْكَ.
لكنك مستمرٌّ في حَمْلِهَا. الآن تَخَيَّلُ أَنَّكَ قَرَرْتَ أَنْ تَلْقِيَهَا - فَكَّرَ فَقَطْ كَمْ
ستشعر شعورًا أفضل، وكم سيكون كلُّ شيء أسهل.

كثيرًا ما نحمل ثِقَلِ الْأَحْمَالِ مَعَنَا. بَدَلًا مِنْ أَنْ نَسْتَأْمِنَ اللَّهَ عَلَيْهَا.
نستمر نشتغل، ونفعل ما علينا فِعلُهُ، لكن ثِقَلِ الْحِمْلِ يَضَعُ ضَغْطًا
كبيرًا علينا، ويجعل حياتنا صعبة جدًّا. يُمكنك أن تقرر إلقاء حملك اليَوْمِ
بأن تثق بالله، إنْ اخترتَ أن تفعل ذلك، سيُسعِدُكَ جِدًّا.

أقابل كثيرين مِمَّنْ يُسْرِعُونَ وَيَقُولُونَ لِي إِنَّهُمْ يَتَّقُونَ فِي أَنَّ اللَّهَ
سيعتني بِمَشَاكِلِهِمْ، لكنهم يقولون لي أيضًا إِنَّهُمْ خَائِفُونَ وَقَلِقُونَ.
ويحاولون باستماتة أن يعرفوا ما عليهم فِعلُهُ. هذا يجعلني أفهم أنهم
يؤمنون بأنهم يجب أن يثقوا بالله، ويريدون أن يثقوا به، لكنهم لم يفعلوا
هذا بعد. يقولون إِنَّهُمْ يَتَّقُونَ بِاللَّهِ، لكنهم مثقلون باهتمامهم بأُمُورٍ
كثيرة.

تعلمتُ أَنَّ أَفْضَلَ طَرِيقَةَ لِلتَّعَامُلِ مَعَ عِلَاقَتِنَا بِاللَّهِ، هِيَ أَنْ نَكُونَ
صَادِقِينَ مَعَهُ. إِنَّهُ يَعْرِفُ بِالْفِعْلِ الْحَقِيقَةَ، وَهَذَا سَيُسَاعِدُنَا لِنُؤَاجِزِهَا.

أضعت سنواتٍ عديدةٍ مُدعيةً أنني أثق بالله، بينما كنتُ فليقةً وبائسةً، لكن معرفةً أنّ الثقة الحقيقية لها ثمار جيدة، ساعدتني جدًّا. إنها تُنتج سلامًا - السلام الذي يفوق كلَّ عقل!

إنَّ كَانَ هنالك شخصٌ لم يصل بعدُ إلى مَرحلة القدرة على الثقة الكاملة في الله، من الأفضل أن يكون صادقًا معه في هذا الأمر. بالأصحاح التاسع من إنجيل مرقس، هناك قصّة جيدة عن أبٍ كَانَ يبحث عن شفاء لابنه. قال ليسوع إنه يُؤمن، لكنه يحتاج معونةً لعدم إيمانه (أنظر مرقس ٩: ٢٤). لطالما أحببتُ صدقه، والخبر الجيد أنه حصل على المعجزة التي أرادها. لدينا كلُّنا بعض الشك الممتزج أحيانًا بإيماننا. ما أتمناه أن نكون في حالة نمو، وأن نتعلّم دائمًا، أكثر الثقة في الله، لكن النمو يحتاج وقتًا، ولا يُوجد سبب لتشعر أنك مُدانٌ إن كانت ثقتك في الله لم تُصبح بعدُ كاملة.

لي أربعون عامًا أعلمُ كلمة الله، لكنني تعلمتُ الكثير عن الثقة به في العام الماضي. وأتخيل بقوة أنني سأتعلم المزيد أيضًا بينما أدرُس وأبحث لأكتب هذا الكتاب.

شخصية الله

يُعرّف قاموس Merriam-Webster.com الثقة هكذا: "أن تُصدّق أنّ شخصًا ما أو شيئًا ما يُمكن الاعتماد عليه، وهو صالح وصادق ومؤثر إلخ." ٢ تتوقف الثقة على ما نعرفه عن شخصية من نثق فيه. إنَّ كُنَّا لا نستطيع

أن نصدق أنّ هذا الشخص صالح وعادل وطيب ومُحب وجدير بالثقة. لن نستطيع أن نضع ثقتنا فيه.

اكتشفتُ أنّ الدراسة العميقة لشخصيّة الله ساعدتني بشِدَّة في تعلُّم كيف أضع ثقتي الكاملة فيه. مثلاً، إحدى سمات شخصيّة الله التي تمنحني الكثير من الرَّاحة، أنه عادل. هذا معناه أنه سيُصحح دائماً ما هو خطأً.

اكتسبتُ عدل الله مرَّاتٍ عديدة في حياتي، وعندما أجتاز في أمورٍ تبدو لي غيرَ عادلةٍ، أو معاملاتٍ ظالمة، يُمكنني أن أثق أنّه سيُصحح الأمر الخاطيء بطريقته، وفي وقته، الحياة ليست عادلة طوال الوقت، لكن الله عادل طوال الوقت، وعندما نضع ثقتنا فيه، ونترك ثقل حملنا، يعمل بدلاً مِنَّا، ويُحضر العدل إلى ظروفنا.

الثقة في أنّ الله سيُحضر العدل أمرٌ يعتقني من مُهمّة محاولة فعل ذلك بنفسني. يقول الله بوضوح في كلمته إنّ النعمة أمر يخصه هو، وإنه يجازي أعداء شعبه:

”فَنَحْنُ نَعْرِفُ اللَّهَ الَّذِي قَالَ: «لِي الْأَنْتِقَامُ، (القصاص وإقامة العدالة لي أنا) وَأَنَا الَّذِي سَيُجَازِي (المخطئ).“ ومرة أخرى: ”الرَّبُّ سَيُحْكِمُ عَلَيَّ شَعْبِهِ.“

العبرانيين ١٠: ٣٠

لكي نختبر عدل الله، يجب أن نكون مُستعدين لتسليم الموقف له.

ورفض محاولة الاهتمام به بأنفسنا. هذا هو الجزء الصعب! بالنسبة لي، وأعتقد بالنسبة لأغلبنا، عادةً ما نُنهك أنفسنا، محاولين الاهتمام بها، ونفشل، إلى أن نُصبح في النهاية مُستعدين لأن نجرب أن نثق في الله. بمجرد أن نفعل ذلك، ونبدأ في اختبار أمانته، يُصبح من الأسهل علينا أن نثق فيه مرارًا وتكرارًا. أحد الأسباب التي تجعل الثقة في الله أمرًا صعبًا، هو أننا عندما نطلب أحيانًا منه، شيئًا، لا يُعطينا إياه على الفور. نحن نأخذ عطايا الله بالإيمان وبالصبر. مَرَحَلَة الانتظار هي اختبار عادةً ما يُزيد إيماننا؛ ليصل إلى مستوياتٍ جديدة.

إِنَّ اللَّهَ صَالِحٌ وَرَحِيمٌ وَقُدُوسٌ وَطَيِّبٌ. إِنَّهُ كَرِيمٌ وَأَمِينٌ وَبَارٌ. اللَّهُ مَحَبَّةٌ! هو لا يتغيّر أبدًا، ويُمكِننا الاعتماد على أنه يحقق وعده.

من السهل أن نضع ثقتنا في شخصٍ نعرف أنه يُحبنا، وليست لديه فقط القدرة على مساعدتنا، لكنه يُريد أيضًا أن يُساعدنا! ينتظر الله أن يُساعدك، ويُساعِدني، وكلُّ ما علينا فعله أن نثق بأنه سيفعل ذلك.

عندما أنظر لحياتي الماضية، يُمكنني أن أقول بكلِّ تأكيد إنَّ "الله أمين". إنه دائمًا متاح لنا، حتى عندما لا نراه ولا نشعر به. طالما نُؤمن بأنه يعمل، سيُعلن في الوقت المُناسب، أو يكشف، الدليل على أنه يعمل. لا تستسلم عندما تبدو فترة الانتظار طويلة؛ استمر في الثقة في الله!

عندما أجد صعوبة في الثقة بالله في أي وقت، أتذكر أمرًا فعلها لي في الماضي؛ فأؤكد مرّةً أخرى من أنه سيفعل ذلك ثانيةً. احتفظتُ بيوميّاتٍ لمدة أربعين عامًا، وصادفتُ إحداها مؤخرًا وكانت منذ سبعينيات

القرن الماضي، عندما طلبتُ من الله أن يُعطيني دستة مناشف أطباق جديدة. لم يكن لدينا. أنا وديف. المال الكافي لشرائها. ولأنني كنتُ في بداية رحلة الثقة في الله، تقدمتُ إليه كالطفلة الصغيرة، وطلبتُها منه. تخيلوا فرحتي عندما جاءت امرأة بالكاد كنتُ أعرفها إلى باب بيتي بعد أسابيع قليلة، وقالت: "أتمنى ألا تظني أنني مجنونة، لكنني شعرتُ بشكلٍ متكرر أنّ الله يُريدني أن أحضر لك بعض مناشف أطباق جديدة!" فرحتُ جدًّا لدرجة أنها كانت مصدومة: إلى أن شرحتُ لها أنني طلبتُ من الله أن يُعطيني هذا الشيء. هذا أحد اختباراتي القوية مع أمانة الله، وكانت هناك اختبارات كثيرة أخرى على مرّ السنين.

نقرأ في الكتاب المقدّس أن داود عندما احتاج أن يقتل جليات الجبار- كَانَ الجميع يُحبطونه، ويقولون له إنه سيفشل - لكنه تذكّر الأسد والدبّ، اللذين قتلهما من قبل، بمعونة الله الأمين. تَقَوَّى إيمانه؛ وذهب ليقتل جليات. (انظر ١ صموئيل ١٧: ٣٤-٣٦).

أريد أن أشجّعك أن تأخذ وقتًا، ربما الآن، لتكتب قائمة ببعض المواقف التي اختبرتَ فيها أمانة الله في حياتك. يُمكنني أن أوكد لك أنّ هذا سيفغذي إيمانك، ويجعلك تستطيع أن تثق في الله بشكلٍ أسهل. في احتياجات حياتك الحالية.

سمعتُ كَلِمَةَ "أمين" تُعرّف هكذا: "الموثوق فيه، أو الذي يُعتمد عليه." يُمكننا أن نعتمد على الله! يُمكننا أن نستند عليه. لقد وعد بالأبنا بتركنا، أو يتخلّى عنّا، بل يكون معنا دائمًا (انظر متى ٢٨: ٢٠).

عندما نحتاج شيئًا، يُمكننا أن نثق في أنه سيكون معنا وسيُساعدنا (انظر العبرانيين ١٣: ٥). عندما نمُرُّ بتجارب، يكون معنا، ويُساعدنا دائمًا (انظر ١ كورنثوس ١٠: ١٣). وعندما يتخلَّى عَنَّا الجميع، يبقى أيضًا معنا، ويبقى أمينًا للمنتهى (انظر ٢ تيموثاوس ٤: ١٦-١٧).

الدراسة المُخلصة لكلِّ سمة في شخصيَّة الله، أمر مفيد جدًّا، في مساعدتنا تعلُّم الثقة فيه. سأذكر المزيد من مميزات شخصيته على صفحات هذا الكتاب، لكنني أيضًا أشجِّعك أن تبحث عن موارد تعليمية في هذا الموضوع، وتقوم بدراستك الشخصيّة.

الاستئمان

يُقال عن الثقة إنها استئمان. كلُّنا نعرف كم تُصبح الحياة أسهل عندما يكون هناك استئمان. إيماننا أننا نستطيع أن نعمل شيئًا ما، يُمكننا أن نعيش الحياة بجرأة، بفرح، وتوقعات إيجابية. كمؤمنين بيسوع؛ يجب أن نستأمنه، ونضع ثقتنا فيه. جميعنا لدينا ثقة في بعض النواحي، لكن يُمكن أن تكون لنا ثقة في جميع نواحي الحياة من خلال الثقة في الله. مثلًا، أحيانًا أشعر بالثقة حين أُعلِّم في مؤتمر، لكن ثمة أوقات أيضًا لا أشعر فيها بذلك. في تلك الأوقات يُمكنني اختيار أن أكون واثقة، طالما ستكون ثقتي في المسيح، لا في نفسي، ولا فيما أشعر به.

كان الرّسول بولس واضحًا جدًّا عندما قال إنه لا يضع ثقته في الجسد.

ورغم أنه كانت لديه مميزات طبيعية كثيرة. لكنه لم يضع ثقته في تلك الأمور الظاهرية. هو يقول بتأكيدٍ إنَّ ثقتنا هي في المسيح (انظر فيلبي

٣: ٣). الثقة هي استئمان الشخص الموثوق فيه. واستئمان المسيح يجعلنا مرتاحين! إنها تسمح لنا أن نعمل بسهولة. الثقة هي استئمان الشخص الموثوق فيه؛ لأننا نُؤمِن أننا نستطيع فعل ما نحتاج أن نفعله. الثقة المتيقنة تزيل التوتر والضغط والقلق والخوف من الفشل.

قلتُ إنه يُمكننا أن "نثق" حتى عندما لا "نشعر" بالثقة. وهذا أمرٌ مهمٌّ جدًّا. المَشاعِرُ أمرٌ متغير؛ يُمكن أن تتغير في أي وقت، ودون أن نلاحظ. لذا ليس من الذكاء أن نضع ثقتنا فيما نشعر به.

يُمكنك أن تذهب لتتقدم إلى وظيفةٍ ما. شاعرًا في البداية بالثقة؛ لأنك تُؤمن أنَّ لديك المهارات المطلوبة. لكن في نصف المُقابَلَة تشعر بأنَّ مَنْ يُجري المُقابَلَة معك لا يُحبك كثيرًا. وفجأة تتسبَّب هذه الفِكرة (التي يُمكن أن تكون غير صحيحة) في جعلك تفقد شعورك بالثقة. لكن إنْ كانت ثقتك في الله، يُمكنك أن تثق بأنه سيُعطيك نعمةً، ويُمكنك أن تستمر في المُقابَلَة؛ وأنت واثق أنه العمَل المُناسب لك، وأنك حتمًا ستحصل عليه.

لا يُريدنا إبليس أن نكون واثقين؛ لأنه يعرف أننا لن نحقق بدون الثقة. الكثير في الحياة. حتى الناس الموهوبون جدًّا. والأذكياء جدًّا. والقادرون جدًّا. ما زالوا في حاجةٍ للثقة.

الثقة بالنسبة لنا مثل الوقود للطائرة: الطائرة لديها القدرة على الطيران، لكنها تبقى على الأرض إن كانت دونه.

من المستحيل أن نكون واثقين ثقةً ثابتة، إن كانت ثقتنا موضوعة في غير مكانها: في الناس أو الأشياء، لأنها تتغير. لكن الله لا يتغير أبدًا، ولا يكذب! إنه الصخر الذي نتعلق به، في عالمٍ كثيرًا ما يموجُ بدواماتٍ من عدم الثقة.

الفصل الثاني

الثقة تجلب الرَّاحَةَ

”تَعَالَوْا إِلَيَّ أَيُّهَا الْمُتَعَبُونَ وَيَا مَنْ تَحْمِلُونَ أحمَالًا ثَقِيلَةً، وَأَنَا سَأُعْطِيكُمْ الرَّاحَةَ“ ..

متى (١١: ٢٨)

في تعريف نوا وبستر Noah Webster للثقة، يُوضَّح أنها ”راحة الذهن بسبب شخصيَّة صالحة في شخصٍ آخر“. أشعر أنه من المهم أن نخصص فصلاً في هذا الكتاب لفكرة راحة الذهن. هذا أمر نحتاجه جميعاً بشِدَّة، ومعظمنا يُريده. هناك أمور كثيرة جدًّا في حياتنا تحتاج أن ننتبه إليها؛ لنستطيع أن نفكر فيها كلِّها، دون أن نشعر بأنها استحوذت علينا. يُريد الله أن يُساعدنا، لكن طالما نحاول أن نفعل كلَّ شيء بأنفسنا، لن يفرض علينا مساعدته.

كثيراً ما يعرض الله علينا المُسَاعَدَةَ بأن يوفر لنا أناساً يُساعدوننا بمشاركة أحمالنا في الحياة. أنا وديف لدينا ابنان يعملان معنا في الخِدْمَةِ، وقد أعطاهما لنا الله لِيُساعدنا بمشاركة حِمْلِ إدارة خِدْمَةِ كبيرة. كَانَ

من الصعب علينا في البداية أن نستغني عن الأمور التي كُنَّا مسؤولين عنها في الماضي، وأن نجعل ابنينا هما المسؤولين عنها. كَانَ قرارًا علينا اتخاذه، وعندما فعلنا ذلك: أعطانا هذا راحةً كبيرة في الذهن والنفس.

هناك الكثير من الأمور والمواقف لَمْ نعد بحاجة لأن نفكر فيها؛ لأن ابنينا يهتمان بها بدلًا مِنَّا. أنا متفرغة للتعليم والكتابة والصلاة والدراسة. وإقامة بَرَنَامَجِي التلفزيوني. بينما أجلس هنا وأكتب. هناك العديد من الأمور تحدث في الخِدْمَة. أنا لستُ حتى على درايةٍ بها. أنا أرى النتيجة، وهي دائمًا جيدة. لكنني أثق في إدارة ابني لجميع الجوانب التي تصل بنا إلى هذه النتيجة. قال لي ابني دان Dan أمس: إنَّ "بَرَنَامَجِنَا التلفزيوني يُذاع الآن على نتفليكس Netflix"، ففوجئتُ؛ وكنْتُ سعيدة. هذه فرصة رائعة للوصول إلى مَزِيدٍ من الناس. وقد حدث الأمر كُلُّهُ دون تَدَخُّلٍ مني؛ لأنني تركتُ هذا الجزء من إدارة الخِدْمَة لشخصٍ آخر.

وفاجأني ابني ديفيد David، حين أراني صورًا لمشروع في تنزانيا Tanzania نُموله ونشرف عليه. أنا أحصل على فرحة المشاركة في الاحتفال بمُسَاعَدَة المَزِيدِ من الناس. لكنني لَمْ اضطر للقلق، ولا مَرَّةً واحدة. بشأن أيِّ من آلاف التفاصيل التي كانت موجودة في طريق إنجاح المشروع.

ابنانا يُشَارِكِنَا في الخِدْمَة، ورغم أننا ما زلنا نبذل جهدًا في العمل، إلَّا أننا لسنا مَحْمَلِينَ بأحمالٍ فوق الطاقة. لسنا تحت ضغطٍ ثَقَلِ القلق والاهتمامات. أذهاننا مرتاحة!

يفرح الله بمفاجأتنا. وسيفعل هذا كثيرًا. إن وضعنا الأمور بين يديه. وفي حفظه. إنه يُريد أن يُشاركنا في حياتنا. وعندما نسمح له أن يفعل ذلك. يُمكن لأذهاننا أن ترتاح. بحسب المكتوب في الكتاب المُقدَّس. نحن مدعوون للشركة مع الله. ومشاركته في العمل. ١ كورنثوس ١: ٩ يقولها بهذه الطريقة:

"فَأَمِينٌ (جدير بالثقة؛ ونتيجة لهذا هو يحفظ وعده. ويُمكن الاعتماد عليه)؛ هُوَ اللهُ الَّذِي دَعَاكُمْ إِلَى الشَّرِكَةِ مَعَ ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبَّنَا."

العلاقة مع الله هي أكثر بكثير من مُجرّد قراءة الكتاب المُقدَّس كلَّ يوم. والذهاب إلى الكنيسة مرّة في الأسبوع. ووضع بعض المال في العطاء. وربما القيام ببعض الأعمال الصالحة. هذا تديّن. لكن العلاقة الثرية الرائعة المُقدّمة لنا بالإيمان بالمسيح هي الشراكة. إنه يُعطينا الإمكانية. ويتوقع مِنّا أن نستخدمها. واثقين فيه طوال الوقت. وهو مُستعدُّ أيضًا أن يُعالج أي شيء لا يُمكننا التعامل معه. أحب أن أقول: "ثِقْ أَنَّ اللهَ يُمكن أن يُساعدك أن تفعل أفضل ما عندك، واثقًا في أنه سيقوم بالباقي."

ثِقْ فِي أَنَّ اللهَ يُمكن أن يُساعدك أن تفعل أفضل ما عندك، واثقًا في أنه سيقوم بالباقي.

راحة البال

يمنحنا الله راحة البال عندما نضع ثقتنا فيه. كلَّ يوم، وطوال اليوم، تأتي أفكار كثيرة إلى الذهن يُمكن أن تسبب قلقًا واضطرابًا. هذا الصباح كنتُ مع شخصيّة هادئة جدًّا، لا تحب أن تدخل في أي حوار معي، ودار في فكري هذا الكلام: "لا أعتقد أنها تحبني كثيرًا". وبينما كنتُ أفكر هكذا، بدأتُ أشعر بأنه ربما عليّ أن "أفعل شيئًا" لأغير الوضع، لكن لم تكن لديّ أية فكرة عمّا يُمكنني فعله.

عندما نحاول أن نفعل شيئًا لا نعرف كيف نفعله، يُسبب هذا ضغطًا وهمًا وقلقًا وأحيانًا خوفًا. هل هناك أمور في حياتك تشعر بأنك مسؤول عن "إصلاحها"، لكنك لا تعرف ماذا تفعل فيها؟ إن كان الوضع هكذا يُمكنك أن تفعل ما فعلته أنا هذا الصباح، صلِّ وسلِّم لله الأمر. وثق في أنه "سيُصلحه". أنا صليتُ صلاةً بسيطة، وقلتُ: "يا أباي، أنا أضع علاقتي بـ _____ بين يديك. أنا أسلِّمك الأمر، وأطلب منك أن تجعله كما تُريده أنت أن يكون." وما إن فعلتُ ذلك، عادت إليّ راحة البال.

بعد ذلك بوقتٍ قصير، اتصل بي أحد أبنائي، وشعرتُ أنه ليس بخير عاطفيًّا. وسألته عمّا إن كان يُمكنني أن أساعده بأيّة طريقة، لكنه قال لا، فقلتُ في الحال: "تُرى ما المُشكلة؟ هل تشاجر مع أحد؟ هل يشعر بالتعب في جسمه؟ ماذا حدث؟ ملأتُ حقيبة الظهر الخاصّة بي، واستعدّيتُ لحملها طوال اليوم، ثم تذكرتُ أنه يُمكنني أن أتركها لله، الوحيد الذي كان يعرف المُشكلة، وما يجب أن يفعله فيها.

صليتُ: "يا أبي، ساعد _____ ليقرر أن يكون يومه جيدًا. دعه يرى كم هو مبارك، ويكون شاكِرًا، بدلًا من أن يكون حزينًا." بعد هذه الصلاة بوقتٍ قصير، تلقيتُ هذه الرسالة: "أنا أشعر بتحسن كبير الآن. أحبك!".

يُمْكِننا أن نختبر أمورًا كثيرة مثل هذه كلَّ يوم. لا عجب في أنَّ الناس مضغوطون إلاَّ إنَّ عرفوا كيف يثقون بالله، ويلقون بهمومهم عليه. كنتُ واحدةً من أولئك لأكثر من نصف حياتي، لكنني ممتنة جدًا لأنني عرفتُ الآن ما يجب أن أفعله بهومي.

دع الله يُشاركك يومك بأن تتحدث معه عن كلِّ شيء. الصلاة هي ببساطة الحديث مع الله، لذا أشجِّعك ألا تراها كفرضٍ علينا فعله. الصلاة هي طريقتنا في إدخال الله في كلِّ نواحي حياتنا، ومن ضمنها النواحي التي تحاول أن تسرق سلامنا، وتتسبب في اضطرابنا.

لا تنخدع وتصدق أن ليس لديك خيارٌ فيما تفكر فيه. إنَّ كانت الأفكار التي في ذهنك قلقٌ واضطراب، يُمكنك أن تختار أن تفكر في شيءٍ آخر. تعلَّمنا كَلِمَةَ الله أن نلقي بالأفكار الخاطئة، ونأسرها لطاعة المسيح (انظر ٢ كورنثوس ١٠: ٥). وجدتُ أنَّ الحديث مع يسوع طوال اليوم، عن كلِّ ما أفعله، وكلِّ هَمٍّ لديَّ هو أحد أفضل الطُرُق للبقاء في علاقةٍ معه، والاستمتاع بحضوره، في الوقت نفسه قبول المُساعدَةِ منه.

كيف كان سيُفكِّر يسوع حين يتعرض لموقف يُمكن تصنيفه على أنه "مُشكلة"؟ لدينا الكثير من الأمثلة في الكتاب المُقدَّس عن كيف تعامل مع مثل هذه المواقف، وفي كلِّ حالة، كان يختار أن يثق بأبيه الذي

في السموات. حتى عندما كَانَ على الصليب، وشعر بأن الناس تَخَلُّوا عنه، قال: "يَا أَبِي، أَسْتَوْدِعُ رُوحِي بَيْنَ يَدَيْكَ." (لوقا ٢٣ : ٤٦). كَانَ هذا أصعب وقت في حياته، لكن وسط هذا الألم، وذي المُعَانَاة الرهيبة، وثَقَّ بِاللَّهِ!

أيضًا يُقَدِّم لنا الكِتَاب المُقَدَّس قِصَّةً عن يَسُوع حين كَانَ في السفينة وهبَّت عاصفة شديدة تشبه الإعصار. والتلاميذ الذين كانوا معه ذعروا، وانخلعت قلوبهم وارتعبوا، أمَّا هو فكان في مؤخرة السفينة نائمًا. عندما أيقظوه وعبروا له عن خوفهم، قال يسوع: "لِمَاذَا أَنْتُمْ خَائِفُونَ؟ أَلَيْسَ لَدَيْكُمْ إِيْمَانٌ (ليست لديكم ثقة راسخة)؟" (مرقس ٤ : ٤٠).

يتوقع الله مِنَّا أَنْ نَثِقَ فِيهِ! إنه يُقَدِّم لنا هذا الخيار، وسنكون جميعًا حكماء إِنْ تَعَلَّمْنَا أَنْ نختاره في أي وقت نُجَرَّبُ فِيهِ بالقلق. لماذا نكون تعساء ونحن لا يجب أن نكون هكذا؟

ماذا لو لم أحصل على ما أريد؟

أعتقد أَنَّ الخوف من أَلَّا نحصل على ما نُرِيدُه هو سببٌ أساسٌ للصعوبة التي نواجهها في تَعَلُّمِ الثِّقَةِ في الله. معظمنا مقتنعون بأنَّ الطريقة الوحيدة لتأكيد من أننا سنحصل على ما نُرِيدُه هي إِنْ اهتمنا بالأمر بأنفسنا. يمنعنا هذا الخوف من أَنْ نَثِقَ بِأَيِّ شَخْصٍ ثِقَةً كَامِلَةً.

ولأنني تربيْتُ مع أبٍ وَأُمٍّ يتسمانِ بالأنانية والعدوان، كنتُ مُتَأَكِّدَةً من أن أحَدًا لا يكثرث للأمر التي تهمني. كَانَ موقفي هو: "إِنْ لَمْ أَهْتَمْ أَنَا بِنَفْسِي،

لن يهتم أحدٌ بي!" ربما تدرك هذا الشعور. وربما جعلك هذا تعيسًا مثلما فعل بي.

كثيرًا ما انجرح ديف Dave بسبب عدم استعدادي للوثوق به. لكنني لم أكن مقتنعة أنه لن يتخذ قرارات أنانية يستفيد منها هو فقط. كنتُ أعرف أنه يُحِبُّني. لكنَّ أبويَّ أيضًا قالوا لي إنهما يُحِبُّانني. ورأيتُ إلى أين أوصلني ذلك. لا يُفكِّرُ الله دائمًا بالأُمور التي تهمنا وحسب. بل يخططها لنا.

أستطيع أن أتعلَّم أن أثق بأي شخص؛ ذلك حين آمنتُ بحُبِّ الله غير المشروط. وعرفتُ أنه حتى إن كَانَ هناك مَنْ أذاني. فالله سيشفيني ويعزيني. يُفكِّرُ الله دائمًا بالأُمور التي تهمنا ويخطط لنا. وما إن نُؤمِّن بذلك. سيُمكننا أن نثق به. وأن نتعلَّم أن نثق بالآخرين.

الثقة بالله لا تضمن لنا أن نحصل دائمًا على ما نريده. لكن إن لم نحصل على ما نريده سيكون ذلك لأن الله لديه أمر أفضل لنا. مرَّات كثيرة في حياتي. كنتُ أريد أمورًا. وطلبتُها من الله ولم أحصل عليها. وأدركتُ بعدها أن الله لو كَانَ الله أعطاني ما أردتُه وقتها. ما كَانَ هذا أبدًا لمصلحتي. بينما نتعلَّم أن نريد ما يُريده الله لنا أكثر ممَّا نريده نحن. يُمكننا أن نحصل على راحة البال في كلِّ موقف.

أعطانا يسوع مثالًا رائعًا لهذا النوع من التوجهات عندما صلَّى في بستان جسثيماني قبل أن يموت متألِّمًا. إذ قال:

"... يَا أَبِي، إِنْ أُرِدْتَ، أَبْعُدْ هَذِهِ الْكَأْسَ عَنِّي، لَكِنْ لِيَكُنْ مَا تُرِيدُهُ
أَنْتَ (دَائِمًا)، لَا مَا أُرِيدُهُ أَنَا."

(لوقا ٢٢ : ٤٢).

يعتمد سلام أذهاننا على ما إن كنا مُستعدين أن نثق أن إرادة الله أفضل
من إرادتنا حتى إن لم نفهمها؛ لأننا خَلَقْنَا بِإِرَادَةِ حُرَّة. أماننا خيار أن ندير
حياتنا بأنفسنا ونعيش بحسب ما نريده، لكن شكرًا لله، لدينا خيار آخر،
وهو أن نثق في صلاح الله وسلطانه. يشرح النبي إشعياء الأمر هكذا:
"لَنْ يَكُونَ هُنَاكَ حَدٌّ لِعَظَمَةِ سُلْطَانِهِ وَسَلَامِهِ...". (إشعياء ٩ : ٧). كَلِمًا
سمحنا أن يكون لله سُلْطَانٌ أَكْثَرَ عَلَى حَيَاتِنَا، اسْتَمْتَعْنَا أَكْثَرَ بِالسَّلَامِ!

مَنْ هُوَ الَّذِي يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ السَّائِقِ فِي حَيَاتِكَ؟

عندما لا تسيّر الحياة بالطريقة التي نريدها، ولا نكون واثقين في الله،
من السهل أن نحاول أخذ عجلة القيادة منه، ونصدر الأوامر له، محاولين أن
نجبره أن يفعل الأمور بطريقتنا. للأسف، سيقود هذا حتى أفضل شخص
إلى خندقٍ عاطفيٍّ وروحيٍّ. لِمَ لَا تَجْعَلُ اللَّهُ يَقُودَ حَيَاتِكَ بَدَلًا مِنْ ذَلِكَ؟

سمعتُ مؤخرًا قِصَّةً عَنْ فَتَاتَيْنِ فِي سِنِّ الْمُرَاهِقَةِ كَانَتَا تَقْضِيَانِ يَوْمًا
سويًّا. كانت إحداهما فتاة عفوية جدًا غالبًا ما تفعل الأمور دون حتى أن
تفكر فيها. فقررت فجأة أن تجلس مكان الفتاة التي كانت تقود السيارة،
واستمرت تحاول فعل ذلك بينما كانت السيارة تسيّر. رغم أن قائدة
السيارة قاومت في البداية، إلا أنها في النهاية شاركت في التجربة، بعدها
بقليل سقطتا في خندق. وتهشمت السيارة.

أنا أنصحكم أن تسمحوا لله أن يقود. لا تحاولوا أن تأخذوا منه عجلة القيادة عندما يأخذكم إلى حيث يُريدكم أن تذهبوا. دعوه يأخذ القيادة. وتعلّموا أن تتبعوه. هذه أكثر طريقة للحياة بها ذكاء وأمان وإشباع.

هذا مكان مناسب لتتوقف عن القراءة لدقائق قليلة؛ وتفكر في بعض

الأسئلة:

مَن هو الذي يجلس على كرسي السائق في حياتك؟

ما هي كمية راحة البال التي تستمتع بها؟

كم مرّة أضعت يوماً كاملاً قلقاً بشأن أمر يسرق سلامك؟

هل يمنعك خوفك من "عدم الحصول على ما تُريده" من أن تثق بالله؟

هل أنت جائع للمزيد من راحة البال؟

هل تُريد أن تستمتع أكثر بحياتك؟

ربما تُساعدك الإجابة الصادقة عن هذه الأسئلة لتعرف مستوى ثقتك.

إن اكتشفت أنك لا تثق بالله كما يجب، لا يُوجد ما يدعوك للشعور بالإدانة.

فقط ابدأ من هذه اللحظة، واختر الثقة بدلاً من القلق. فكّر في هذه الآية:

"أَنْتَ تُعْطِي سَلَامًا لِلْمُتَّكِلِينَ عَلَيْكَ، لِأَنَّهُمْ يَتَّقُونَ بِكَ."

إشعياء ٢٦: ٣

دعوني أقترح عليكم طريقة جديدة للصلاة. بدلاً من أن تقول لله ما تُريد

أن يفعله لك، جرّب أن تطلب ما تُريده، لكن أضف بعد ذلك هذه الجملة:

"لكن يا ربُّ، إن لم يكن هذا أمراً مناسباً لي، أرجوك لا تعطني إياه!"

في أوقاتٍ كثيرة في حياتي (ربما في حياتك أيضًا) كنتُ أعمل جاهدةً لأحصل على ما أريد. لكنني اكتشفتُ أنّ هذا لم يشبعني. أو يُرضيني. بل جعل موقفي أسوأ. معظمنا اشترينا

إِنَّ لَمْ نَسْتَطِعْ أَنْ
نَحْصِلَ عَلَى مَا نُرِيدُهُ
بِرَاحَةِ الْبَالِ، إِذْنُ فَهُوَ
غَالِبًا أَمْرٌ لَا يَسْتَحِقُّ
الْحَصُولَ عَلَيْهِ.

في وقتٍ ما شيئًا كُنَّا نُرِيدُهُ، لكننا لم نكن
نملك، في الحقيقة. ثمّنه؛ فانتهى بنا الحالُ
في ضغطٍ ذهنيٍّ بسببِ الدَّيْنِ. أو ربما بدأنا
جدلاً مع شريكِ حياتنا كُنَّا فيه مُخْتَلِفِينَ في
الرأي. لكن بعد أن حصلنا على ما كُنَّا نظن

أنا نُرِيدُهُ، أدركنا أنّ الحصول على الأشياء بطريقتنا الخاصّة لا يستحقّ
المُعَانةَ الذهنية والعاطفية التي مررنا بها.

أن نحصل على ما نُرِيدُهُ بِرَاحَةِ الْبَالِ، إِذْنُ فَهُوَ غَالِبًا أَمْرٌ لَا يَسْتَحِقُّ
الْحَصُولَ عَلَيْهِ. يشجعنا الكتاب المقدّس أن ندع السلام يكون الحَكَمَ
في حياتنا، الذي يتخذ كلّ القرارات النهائية (انظر كولوسي ٣: ١٥). بعد
سنوات كثيرة من الاضطراب الذهني والعاطفي، تعلمتُ أنّ السلام سلعة
قِيَمَةٌ، علينا أن نفعل كلّ ما بوسعنا للحصول عليه.

عندما تكتشف أنك تُواجه صعوبة في الثقة بالله، اسأل نفسك: "هل
هذا لأنني خائفٌ من احتمالية عدم حصولي على ما أريد. إن وثقتُ به؟"
إن كانت الإجابة نعم، إذن فقد حددت سبب عدم ثقتك وعدم شعورك
بالسلام.

السير بطريقتنا الخاصّة أمر نبالغ في تقديره جدًّا. كمية الوقت الذي

نقضيه في حياتنا في السعي لتحقيق الإشباع الذاتي أمر مذهل. لنجد في النهاية أننا، وبعد كل هذا، غير راضين.

إرادة الله فقط هي التي لديها القدرة على إشباعنا بشكل نهائي. لقد خُلِقنا له، ولأهدافه، وأي شيء أقل من ذلك لا يُقدَّر أبدًا أن يمنحنا الرضا الدائم. ونحن شباب ربما نظن أن الحصول على ما نريد أهم شيء في الحياة، لكن بمرور السنين، أتمنى أن نتعلّم، ونحصل على ما يكفي من الخبرات؛ لنكون على استعداد أن نقول: "أنا أريد إرادة الله أكثر من إرادتي الشخصية." لا يُوجد مكان لنا أفضل من أن نكون في إرادة الله الكاملة!

الفصل الثالث

مَنْ الَّذِي يُمَكِّنِي الْوَثُوقَ بِهِ؟

”... مَلْعُونٌ (بِشَرِّ عَظِيمٍ) مَنْ يَتَّقُ بِبَشَرٍ وَيَتَّكِلُ عَلَى النَّاسِ
طَلَبًا لِلقُوَّةِ. وَيَبْتَغِدُ قَلْبُهُ عَنِ اللَّهِ.“

إرميا ١٧: ٥

إنَّ مقولة ”لا يُمكنك أن تثق بأحد هذه الأيام“ مقولة مشهورة. ومعظمنا يشعر بالرغبة في أن يقولها من وقتٍ لآخر. لكن عدم وجود شخص يُمكن الوثوق به أمر غير صحيح. ومن الخطر أن تُصبح متشائمًا وتفكر بهذه الطريقة.

أنا أعترف دون تردد أن إيجاد أشخاص يُمكن الوثوق فيهم عملية أكثر صعوبة هذه الأيام من أي وقتٍ آخر. يُمكنني أن أذكره في حياتي. لكنني أرفض رفضًا قاطعًا أن أعيش بقلب مليء بالشك وعدم الثقة. قررت أن أحسنَ الظنَّ إلى أبعد حد. وأثق بالناس. إلا إن أعطوني سببًا مُحدَّدًا يجعلني لا أثق بهم. لم يكن هذا القرار مؤسَّسًا على خبراتي مع الناس.

لقد عرفتُ عندما بلغتُ السابعة من عمري أنني لا يُمكنني الوثوق بوالديّ؛ لأنهما كانا شديديّ الأنانية والإيذاء. ولم أستطع أن أثق بأقاربي

الذين طلبت منهم أن يُساعدوني؛ لأنهم رفضوا مساعدتي. مستخدمين العُذر الواهي: "أنا لا أريد أن أتدخل؛ الأمر لا يخصني".

بينما كنتُ أكبر. وأصبح مُراهقةً وشابة. اختبرتُ أمورًا مؤسفةً أخرى. كانت تصرخ لتوصّل لي هذه الرسالة: "لا يُمكنك أن تثقي بأيّ شخص!".

عندما كنتُ في الثامنة عشر من عمري؛ تزوجتُ شابًا كان خائفًا. إضافةً لأنه كانَ لَصًا حقيّرًا. انتهى به الأمر في السجن. وأنا واثقة أيضًا أنني قابلتُ أشخاصًا يُمكنني الوثوق بهم. لكنني كنتُ غاضبةً جدًّا من الأشخاص الذين جرحوني. وأحبطوني. وأردتُ أن أركّز على ذلك.

تزوجتُ ديف في عمر الثالثة والعشرين. ومنذ تلك اللحظة بدأتُ أحضر الكنيسة بانتظام. وافترضتُ أنه يُمكنني طالما أصبحتُ مندمجة مع مرتادي الكنائس. أن أثق بهم. وأنهم لن يجرحوني. لكن لم تثبت صحة هذا الأمر أيضًا. في الواقع. بعض أشد الإحباطات التي اختبرتها في حياتي كانت من مُؤمنين. (أكاد أسمع بعض القراء يقولون: "أمين!") ربما اختبرتُ الشيء نفسه. وأنا واثقة أن لديك قصصًا فظيعة يُمكنك أن تحكيها عمّا فعله الناس بك.

إنَّ البَشَرَ. ومن ضمنهم نحن. فاسدون. وإنْ ظننا غير ذلك فنحن نعرّض أنفسنا لإحباطاتٍ مؤلمة. أتى يسوع من أجل الضعفاء. لا الأقوياء. وأنا ممتنة لأنه فعل ذلك. أنا أحتاج باستمرار رحمةً وغفرانًا. وهذا يعني أنني بحاجة أيضًا لأقدم الرحمة والغفران بكثرة.

إنَّ موضوع الثِّقة - أو بالحري عدم الثِّقة - يملأ عناوين الأخبار هذه الأيام. يبدو أن البلاغات التي تدَّعي قيام قساوسة بالتحرش الجنسي، قد كثرت. سمعنا عن فضيحة إنرون Enron التي خُدع فيها الآلاف من الناس، وأُخِذَتْ منهم مدخرات عمرهم. نحن ننتخب سياسيين نعتقد أننا يُمكن أن نثق بهم، ويُحِبُّوننا حين لا يفعلون ما وعدوا به.

كيف يُمكن أن نُفَرِّق بين الشخص الصالح والشخص السيء؟ كيف يُمكن أن نعرف مَن يستحق أن نثق به، ومَن لا يستحق؟ لا تُوجد إجاباتٌ سهلة، وأحياناً لا يُمكننا أن نثق حتى في أولئك الذين من المفترض أن يكونوا ملتزمين برعايتنا والاعتناء بنا. فقط اسأل شابة اعتدى عليها أبوها الذي كانَ شماساً محترماً في كنيسته. الجميع، ومن ضمنهم عائلته، كانوا يرون أنه مثال للشخص النزيه، الذي يُمكن الاعتماد عليه. لكن في النهاية، ثَبَّت أنه رجل مخادع وشرير.

في مقالة بعنوان "مَن يُمكنك أن تثق به؟" يقول د. إيريون دابليو لوتزر

"لماذا يكون الناس غير جديرين بالثقة؟ رغم أننا نحب الاعتقاد بأننا منقادون بغرائزنا العقلانية، إلا أنَّ الحقيقة هي أننا منقادون برغباتنا الأنانية. ولأننا نُريد أن يظن الناس فينا حسناً، من السهل أن نعتني جيِّداً بشخصنا الخارجي، بينما نُهمل تماماً دواخل قلوبنا. في الواقع بعض الناس ليسوا فقط يخدعون الآخرين، لكن، ينتهي بهم الحال، في الحقيقة، أن يخدعوا أنفسهم أيضاً. عندما يكتمل خداعنا

لأنفسنا نُصِبحُ أشْرارًا، وندمر المحيطين بنا لنحمي نفوسنا

المريضة "٣"

نعم، من الصعب أن نعرف فيمَن نثق. ارتفع معدل الزنا ارتفاعًا قياسيًا. يقول الكثير من طلبة الجامعات إنهم يغشون في الامتحانات. ويسرق الموظفون من أصحاب العمل. والقائمة طويلة. وعلى مستوى أقل؛ ولكنه يسبب نفس المستوى من الإحباط. فالعثور على جودة في العمل يزداد صعوبةً طوال الوقت. حتى أمر بسيط مثل القدرة على الثقة في الناس ليلتزموا بمواعيدهم أصبح نادرًا. فماذا نفعل؟

هل نتبنى توجهًا فظًا غير واثقٍ في أحد. ونقول مع الجميع: "لا يُمكنك الوثوق بأحد هذه الأيام"؟ أم نقرر أن نثق بكلِّ الناس إلى أن يعطونا سببًا كافيًا لكي لا نثق بهم؟ أنا أشجّع الوثوق بالناس. لأنني ببساطة أرفض أن أعيش بتوجه مليء بالشك يجعلني تعيسة؛ فقط لأن بعض الناس ربما يخيبون أمني.

ثق بعينين مفتوحتين

يُمكننا أن نثق في الناس دون أن نضع اتكالنا عليهم؛ لأن هذا أمر يخص الله وحده. تحدث يسوع عن هذا، وسجّله الرّسول يوحنا:

"لَكِنَّ يَسُوعَ (من ناحيته) لَمْ يَكُنْ يَأْتَمِنُهُمْ عَلَى نَفْسِهِ، فَقَدْ كَانَ يَعْرِفُهُمْ جَمِيعًا (جميع الناس).

لا يقول الكتاب المقدس إِنَّ يَسُوعَ لَمْ يَكُنْ يَثِقُ بِأَحَدٍ. بل يقول إنه لَمْ يَكُنْ يَأْتَمِنُهُمْ عَلَى نَفْسِهِ. ما معنى هذا؟ لَمْ يَسَلِّمْ نَفْسَهُ لِفِكْرَةِ أَنَّ النَّاسَ لَنْ يَخْذَلُوهُ أَبَدًا. لَمْ يَضَعْ نَفْسَهُ بِالْكَامِلِ فِي أَيْدِيهِمْ لِيَحْمُوهُ.

”وَلَمْ يَكُنْ يَحْتَاجُ أَنْ يُخْبِرَهُ أَحَدٌ عَنِ النَّاسِ (لَمْ يَكُنْ يَحْتَاجُ دَلِيلًا مِنْ أَيِّ شَخْصٍ عَنِ النَّاسِ). لِأَنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ مَا فِي دَاخِلِ النَّاسِ.“ ..

يوحنا ٢: ٢٥

كان يَسُوعُ يَعْرِفُ الطَّبِيعَةَ الْبَشَرِيَّةَ وَضَعْفَاتَهَا جَيِّدًا. لقد أتى ليقوي البَشَرَ فِي ضَعْفَاتِهِمْ؛ وَلِيغْفِرَ لَهُمْ سَقَطَاتِهِمْ وَخَطَايَاهُمْ. إِنَّ أَرْضَنَا سَلَامًا فِي حَيَاتِنَا. عَلَيْنَا أَنْ نَفْعَلَ الشَّيْءَ نَفْسَهُ.

هناك فرق بين أن
يخيب أمني وأن يُخَيِّبَ
الله أمني.

لا يُوجَدُ وَلَا وَاحِدٌ فِيْنَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ
إِنَّهُ لَمْ يُوْذَ أَوْ يُخَيَّبَ أَمَلِ أَحَدٍ. أَوْ لَمْ يَسْبِقْ
لَهُ أَنْ تَأْذَى أَوْ خَابَ أَمَلُهُ. كُلْنَا نَخْتَبِرُ ضَعْفَاتِ
الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ بِشَكْلِ شَخْصِيٍّ. أَنَا لَا

أَقْصِدُ أَبَدًا أَنْ أُؤْذِيَ أَحَدًا، لَكِنِّي أَفْعَلُ ذَلِكَ أحيانًا. جزء من الوجود في عَلاَقَةٍ
مَا يَتَطَلَّبُ اسْتِعْدَادًا لِيُخَيَّبَ أَمَلَكُ؛ وَتَسْتَمِرُّ رَغْمَ ذَلِكَ فِي بِنَاءِ الثِّقَةِ بَدَلًا
مَنْ أَنْ تَسْتَسَلِّمَ.

لذلك قررتُ أَنْ أَثِقَ بِعَيْنَيْنِ مَفْتُوحَتَيْنِ. وهذا معناه أنني لا أتوقع من أي
شخص (سوى الله) أَلَّا يُخَيَّبَ أَمَلِي أَبَدًا. حتى مع الله، أحيانًا يَخَيِّبُ أَمَلِي
فِي الْبَدَايَةِ، عِنْدَمَا لَا تَسِيرُ الْأُمُورُ بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي تَمَنَيْتُ أَنْ تَسِيرَ بِهَا.

لكن هناك فرقًا بين أن يخيب أملي. وأن يُخَيِّب الله أملي. إنَّ توقعاتي الشخصية هي مصدر خيبة أملي. وليس الله؛ لأن الكتاب المقدس يعلمنا إننا إن وضعنا رجاءنا فيه، لن يخيب أملنا أبدًا (انظر روما ٥: ٥).

توقعات خاطئة

كم واحدة من خيبات أملنا كانت بسبب خطأ شخصٍ آخر. وكم واحدة كانت بسبب أخطائنا نحن؟ أعتقد أنَّ هذا سؤال شيق. قلتُ إنَّ الله لا يُخَيِّب أمل أحد أبدًا. يُمكن أن نشعر بخيبة الأمل في شيءٍ فعله أو لم يفعله، لكن هذا؛ لأن توقعاتنا خاطئة. بدلًا من أن نريد ما أرادته الله، أردنا ما نريده نحن.

أن تتوقع أن شخصًا ما لن يؤذيك أو يُخيب أملك أبدًا، هذا توقع خاطئ؛ ببساطة لأن الطبيعة البشرية غير قادرة على أن تكون كاملة. نريد أن يعرف الناس ما نريده، أو ما نشعر به، وعندما لا يحدث ذلك، يخيب أملنا. يخيب أملنا؛ لأن الناس لا يفهمونا، لكن لماذا ألوم ديف على عدم فهمه لما أشعر به إنَّ كان ليس من طبيعته أبدًا أن يشعر بهذا الشعور؟ إنَّ طبيعته مُختلفٍ عن طبيعي، وبعض الأمور الهامة جدًّا بالنسبة لي لا تهمة إطلاقًا، والعكس صحيح. يُمكنني أن أشرح له ما أشعر به وبعدها يُمكنه أن يُظهر تعاطفًا معي لأنه يُجيني، لكنه ما زال لا يعرف عن اختبار ما أشعر به، ببساطة لأنه ليست لديه نقطة مرجعية.

إنَّ أرادت امرأة أن يفهمها غيرها بشكلٍ كاملٍ، من الأفضل أن تتحدث

مع امرأةٍ أخرى، ومن الأفضل أن تكون لديها شخصيَّة تشبهها. إن أراد ديف أن يتناقش في الرياضة مع شخص مهتم جدًّا بهذا الأمر. فلا جدوى من أن يتحدث معي. يُمكنني التظاهر بأنني مهتمة بدافع الاحترام. لكنني لا أفهم حماسه. لأنني ببساطة لم أشعر به من قبل أبدًا. وعلى الأغلب لن أشعر به أبدًا.

في الوقت الذي أكتب فيه هذا الكلام، مرَّ على زواجنا. أنا وديف. خمسون عامًا، وأحد أسباب نجاح زواجنا أننا تعلَّمتنا منذ فترة طويلة أهمية ألا نتوقع أمورًا من بعضنا البعض؛ لا يكون لدينا القدرة على إعطائها. هناك أمور يُمكن أن نتعلَّم كيف نعطيها للآخر. الذي يحتاجها؛ فقط لنكون لطيفين. لكن هناك أيضًا أمورًا نعطيها. يُريدني ديف أن أستمتع بحياتي. وهو يعرف أنني لا يُمكن أن أفعل ذلك إلا إن كنتُ أشعر بحرية لأكون نفسي بصدق. لذلك هو يثني على شخصيتي؛ لا على ما يتمنى أن أكون عليه. وأنا أفعل له الشيء نفسه. تطلَّب الأمر سنين عديدة لنصل إلى هذه النقطة. وقبل أن نصل إليها اختبر كلُّ منَّا الكثير من الإيذاء وخيبة الأمل من الآخر؛ بسبب التوقعات الخاطئة.

كان يسوع يعلم أنَّ تلاميذه سيُخيَّبون أمله. لذا كان مُستعدًّا عندما فعلوا ذلك؛ ولم تُدمره أفعالهم. خانه يهوذا، وأنكره بطرس. وكلُّهم ناموا في أكثر وقت كان هو في حاجةٍ إليهم؛ بدلًا من أن يصلُّوا معه كما طلب منهم. لكنه استمرَّ رغم ذلك يُجيبهم مَحَبَّةً كاملة. لم يتخذ موقفًا متشائمًا يقول: "لقد جرحتهموني لذا لن أثق. أبدًا. بكم مرَّة أخرى." لم يكن يتوقع توقعات خاطئة.

ليس من الخطأ أن تتوقع أن يفعل الناس الصواب ويبذلوا كلَّ جهدهم حتى لا يؤذونا. لكن في الوقت نفسه لا يجب أن نتوقع أنهم لن يخفقوا أبدًا. إنَّ البشر ببساطة ليسوا كَامِلِينَ!

قضيتُ سنوات كثيرة محبّطة وحزينة أغلب الوقت؛ لأنَّ خُططي لم تُنفَّذ بالطريقة التي توقعتُها. إلى أن

تعلمتُ أنَّ أيامًا قليلة جدًّا تسير بالضبط كما أريدها أن تسير. أنا الآن أخطط لأمر غير مخطَّط لها. وهذا يجعلني أحتفظ بسلامي. من الحكمة أن تخطط لبعض الأمور غير المخطَّط لها كلَّ يوم.

تذكّر دائمًا أن من الحكمة أن تخطط لبعض الأمور غير المخطَّط لها كلَّ يوم.

انظر إلى الجانب المشرق

تحدّثنا عن جميع الناس الذين لا نستطيع أن نثق بهم. لكن ماذا عن أولئك الذي أثبتوا مرّة تلو الأخرى أنه يُمكن الوثوق بهم؟ كما قلنا، لا يُوجد شخص كَامِل. لكن هناك أشخاصًا في العالم رائعون بشكل مذهل؛ ممتلؤون بالنزاهة والصدق. يُمكننا أن نعتمد عليهم في تنفيذ وعودهم. وفي عدم كسرهم لثقتنا.

لديّ امتياز معرفة القليل من أولئك الأشخاص؛ وأنا شاكرةٌ من أجلهم. عندما أشعر بأنني جُرحتُ، وبرغبةٍ في أن أسمح للتوجّه القديم "لا يُمكنك

الوثنوق بأحد" أن يتسرب لي، ويعود إلى قلبي. أتذكّر أولئك النادرين الذين يستمرون في إعطائي أملاً.

من الأفضل دائماً أن تنظر إلى الجَانِبِ الإيجابي المشرق لأي موضوع بدلاً من الجَانِبِ السلبي الكريه. جَانِبِ منهُمَا يُعطينا سلاماً والآخر يسلب السلام. فلماذا لا تفعل كل ما بوسعك لتجعل حياتك في أفضل حال مُمكن بأن تنظر إلى الجَانِبِ المشرق؟

التمييز

هناك موهبة من الرُّوحِ القُدُسِ متاحة لنا تُدعى تمييز الأرواح (أنظُرْ ٢ كورنثوس ١٢: ٤-١١). إنها موهبة خارقة من الله؛ تسمح لنا أحياناً بمعرفة مَنْ هو شرير ومَنْ هو صالح. كثيراً ما أصلي طالبةً موهبة التمييز. أعرف أنّ الله يُمكن أن يجعلني أدرك بأنّ هناك شيئاً ما ليس على ما يرام؛ بخصوص شخصٍ ما؛ حين لا تكون هناك طريقة طبيعية لأعرف بها ذلك. شعرتُ مؤخراً بهذا الشعور بخصوص شخص ما كنتُ قد قابلته للتو. كنتُ في كلِّ مَرَّةٍ أراه فيها أقول في نفسي: "أنا لا أثق بك." في البداية كنتُ أعاقب نفسي كونها شكاكة ومنتقِدة. لكن بعد ذلك قال لي شخصان مُختلِفان. في مناسبتين مُختلِفَتين؛ إنّ الشخص المعني ليس كما يبدو عليه. كان يُظهِر أنه شخص تقي يُؤمن بقوة بالعيش بسلوك تقي. لكنه في الحقيقة لم يكن هكذا في حياته اليومية.

كما اختبرتُ مؤخراً أيضاً شعوراً بأن شيئاً ما لم يكن على ما يرام مع

أحد الموظفين. لم أكن أعرف ما هو هذا الشيء، لكنني كنت أشعر بعدم الراحة حين أكون معه. بعد أشهر قليلة، اكتشفنا أن ذلك الشخص لم يكن يقوم بعمله كما يجب؛ وكان يخفي بعض الأمور التي يجب أن تتكشف. لأنني كنت أشعر بالفعل بأن شيئًا ما لم يكن على ما يرام، لم يكن الإحباط الذي شعرتُ به شديدًا كما كان سيكون الوضع إن كنتُ قد تفاجئتُ. يُمكن للتمييز أن يحمينا من التورط مع الأشخاص الخطأ. كما يُمكنه أيضًا أن يُساعد في جعلنا مجهزين للأمور قبل أن تحدث.

عندما يراودني شعور بأن شيئًا ما ليس على ما يرام؛ أو أنني غير مرتاحة تجاه شخص ما، لا أعتد أبدًا على هذا الشعور وحده. لأنني أعرف أنني يُمكن أن أكون مخطئة؛ ولا أريد أن أحكم على أحد. أو أن أغلق قلبي أمامه؛ مستندة على مُجرّد شعور. لكنه يجعلني أكثر حرصًا، وأراقب الوضع عن قُرب أكثر. أصلي أن يكشف الله لي إن كانت هناك مُشكلة، وهو يفعل هذا دائمًا. صلِّ. واطلب التمييز، وسيحفظك من أن تُخدع؛ وربما أن تُجرح.

الشخص الرُّوحي الحقيقي شخص مميّز:

"أما الشَّخْصُ الرُّوْحِيُّ فَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَقِيَسَ كُلَّ الأُمُورِ (يختبر ويحقق ويستفسر ويسأل ويميّز كل شيء)..."

١ كورنثوس ٢: ١٥

ثِقْ بِاللَّهِ!

رغم أنه لا يُمكننا أن نثق بالناس دائماً، إلا أنه يُمكننا أن نثق بالله دائماً! إنَّ أبينا السماوي أثبت مراراً وتكراراً أننا يُمكن أن نستأمنه على الأمور التي نسلِّمها له.

أعرف أنَّ هناك أسئلة سنحتاج أن نسألها مثل: إنَّ كَانَ اللهُ صَالِحًا ومسيطرًا، فلماذا لا يفعل شيئاً بخصوص بعض الأمور المرعبة التي في حياة الناس؟ كيف يُمكننا أن نثق في شخص يقدر أن يفعل شيئاً لينهي ألماً؛ لكنه لا يفعل؟ لماذا تحدث أمور سيئة للناس الصالحين؟ أبي، الذي كَانَ شَرِيحًا جَدًّا، عاش إلى عمر الثالثة والثمانين، في حين أنني حضرت جنازة زوجة مُؤمنة عمرها سبعة وثلاثين عاماً وهي أمُّ لطفلين صغيرين. لماذا يعيش الأشرار أحياناً حياة طويلة بينما يموت الصالحون شباباً؟

هناك بعض الإجابات، لكن حتى الإجابات التي لدينا يُمكن ألا تكون كافية لتريح الجميع. سأناقش هذه المواضيع بأفضل ما لدي من قدرة ضعيفة. لاحقاً في هذا الكتاب، لكن مرّة أخرى دعوني أقول إنَّ الثِّقة في الله تتطلب دائماً أن نستمر واثقين فيه، حتى لو لدينا أسئلة لا إجابات لها. أكرر، جزء من الثِّقة غير المحدودة في الله، ألا نتوقف عن الوثوق فيه عندما يكون لدينا سؤال دون إجابة. ربما لا نعرف الإجابة، لكن يُمكننا أن نستريح بسبب إيماننا أنَّ الرب يعرف الإجابة.

الثِّقة بالله امتياز؛ هي اختيار يُمكننا أن نقوم به إنَّ اخترنا ذلك. بعد أعوامٍ كثيرة من الشك في أمورٍ أكثر، قررتُ أن أثق بالله؛ لأنه لا تُوجد

طريقة لأكون سعيدة إلا إن فعلت ذلك. وأنا أثق أنه يستحق ثقتي. اختبرت أن أضع ثقتي في شيءٍ أو شخصٍ ما. ولم أجد شيئًا، أو شخصًا دون عيوب بما يكفي ليستحق كلَّ ثقتي، لذا أعطيتها لله. جربت أن أثق في نفسي، وذلك كان بمثابة كارثة مطلقة. جربت أن أثق في الآخرين، وبالرغم من وجود أناس صالحين بحق، رأينا أنَّ الطبيعة البشرية طبيعة خطاءة. الحكومة ليست خيارًا جيدًا، ولا سوق الأسهم ولا صندوق التقاعد. بعد أن فكرت في الاختيارات الأخرى التي أمامي، كان الله هو الفائز - أنا أثق بالله!

الأمر الشيق هو أنني عندما كتبتُ الجملة الأخيرة، شعرتُ بانفجار من الفرح يفيض في نفسي. يُخبرني هذا أنَّ الله يفرح عندما نثق به. إنه يُحب ذلك، وبما أنه الجالس وسط تسيحات شعبه، فعندما يفرح، نحن أيضًا نفرح.

إنَّ تساءلتِ إلى أين ذهب فرحك، تفقّد إيمانك. قال بولس لأهل روما إنَّ الفرح والسلام موجودان في الإيمان (أنظر روما ١٥: ١٣). لقد امتحنتُ هذا المبدأ في حياتي؛ وأعرف أنه صحيح. عندما أثق بالله، مصدقةً لكلمته ووعوده، يكون لديّ سلام وفرح وأستمتع بحياتي. لكن عندما لا أثق به، أمتلئ بالشك والخوف والقلق والاضطراب. يسبب هذا الأمر ضغطًا عليّ؛ ويضع عليّ حملًا ثقيلًا لا أريد حمله.

"يا أباي، أثق بأنك ستساعدني أن أتعلّم الثقة بك."

لدينا خياران فقط: أن نثق بالله أو لا نثق به. هذا ليس أمرًا يُمكننا فعله بشكلٍ وسطيّ؛ ونأخذ كلَّ الفوائد! لكن كما اقترحتُ من قبل، كونوا صادقين مع الله، قبل كلِّ شيء. كونوا صادقين مع الله. إنَّ التظاهر لا

يوصلنا إلى أي مكان مع الله. إن كنت تُواجه مُشكِلة في أمر ثقتك في الله لكنك تُريد أن تثق به، صلِّ هذه الصلاة: "يا أباي، أثق بأنك ستُساعدني أن أتعلَّم الثقة بك."

إنَّ الله مُستعد أن يقابلك حيث أنت؛ ويُساعدك في الوصول إلى حيث تحتاج أن تكون. هذه هي بشارة الإنجيل!

الفصل الرابع

حماقة الاعتماد على النفس

"وَلَا يَعْزِي هَذَا أَنَّنَا نَدْعِي أَنَّنَا قَادِرُونَ بِأَنْفُسِنَا عَلَى عَمَلِ أَيِّ شَيْءٍ صَالِحٍ، بَلْ إِنَّ كَفَاءَتَنَا هِيَ مِنَ اللَّهِ." "

(٢ كورنثوس ٣: ٥)

هل ستثق بالله أم بنفسك؟ تستمر المناقشة القديمة ما دامت هناك نفوس تفكر في هذا السؤال كل يوم. لطالما حاربت الإنسانية ضد فكرة احتياجها لله.

يجب على كل شخص، وبالطبع كل مؤمن، أن يجاهد ليستخدم قدراته بأفضل طريقة ممكنة، ويجب أن نتخذ قرارات. لكننا لسنا مدعويين لندير حياتنا، بأن نفعل ما يحلو لنا؛ ونتجاهل الله إلى أن نواجه أمرًا طارئًا لا يُمكننا أن نحله.

إن محاولتك أن تعيش حياتك من وجهة نظر الاعتماد على النفس؛ ستؤدي بك فقط إلى الإنهاك العاطفي والبدني وخيبة الأمل والإحباط؛ وربما غضب وبالتأكيد ارتباك.

يقدم يسوع ٢٤: ١٥ اختيارًا علينا أن نقوم به، وهو لا يزال الاختيار الرئيس لكل مؤمن:

”وَإِنْ سَاءَ فِي أَعْيُنِكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا الرَّبَّ، فَأَخْتَارُوا لِأَنْفُسِكُمْ الْيَوْمَ
مَنْ تَعْبُدُونَ: . . . وَأَمَّا أَنَا وَبَيْتِي فَنَعْبُدُ الرَّبَّ.“

واحدة من كل التحذيرات التي يُمكنني أن أقدمها لكم اليوم، هي: ”قم
بالاختيار بنفسك إن كنت ستعبد الله أم لا.
ولا تدع العالم أو أي شخص آخر يختار لك.“

مَنْ الذي ستستأمنه
على حياتك الواحدة
التي ليس لديك
غيرها؟

مَنْ الذي ستستأمنه على حياتك الواحدة
التي ليس لديك غيرها؟ الأول الآخر، الذي يعرف
البداية والنهاية؟ أم ستثق بأهة نظام هذا

العالم وروح الاعتماد على الذات؟

ما هو الاعتماد على الذات؟

الاعتماد على النفس هو محاولة الإنسان الحصول على السعادة من
خلال الأمور الظاهرية مثل المال والمركز والقوة والمظهر والممتلكات
وهكذا. عندما نفتنح بأن هذه الأمور ستسعدنا، نسعى وراءها بحماس.
فقط لنختبر الكثير من الإحباط عندما نكتشف أنها لا تمنح ما ظننا
أنها ستمنحه لنا.

سمعت ذات مرّة شخص يقول: ”يقضي الناس حياتهم كلّها محاولين

تسلُّق سلَّم النجاح. فقط ليعلِّموا عندما يصلون إلى القمة أنَّ سلَّمهم يستند على المبنى الخطأ." أشك أن يسأل أي شخص. وهو يحتضر أسئلة عن حسابه البنكي. بل يُريد أن يكون مع عائلته وأصدقائه وأمل أن يكون راغبًا في أن يكون مع الله.

أنا مُتأكِّدة أنك إمَّا قلت أو سمعتَ الناس يقولون: "أنا لا أحتاج أحدًا. أنا قادر على الاهتمام بنفسِي." أنا قلتُ ذلك، أو ما يشبهه، لبضع سنوات في حياتي، لكنني شاكرةٌ لأنِّي اكتشفتُ أنني أحتاج الآخرين، وأحتاج الله احتياجًا شديدًا. الذين يقولون كلامًا مثل هذا عادة ما يكونون قد جرحوا بعمق من الآخرين، ولم تُقدِّم لهم علاقةً حقيقيَّة مع الله من خلال يسوع. وهُم لا يثقون بأحد سِوى أنفسهم. ولم يكتشفوا بعدُ أنَّ الاعتماد على النفس هو أسوأ اختيار يُمكن أن يختاروا أن يفعلوه. إنهم يحتاجون أن يلتقوا بالإله الواحد الحقيقي الذي خلقهم ويحبهم حبًّا غير مشروط.

ربما يظن شخص أنه لا يحتاج أحدًا، لكن الله خلقنا لنتحتاج بعضنا البعض. وسواء أعجبك ذلك أم لا، لا يُمكننا أن نعمل بكامل كفاءتنا إلا إن تعلَّمنا أن نستند على الآخرين، ونتشارك معهم في حياتنا. كأفراد، لدى كلِّ مِنَّا قدرات ومواهب، لكن لا يُوجد أحد فينا لديه كلُّ القدرات وكلُّ المواهب. يضعنا الله في علاقات مع آخرين من الذين لديهم ما ليس لدينا. وعندما نتعلَّم أن نعمل معًا، يُمكننا أن نُنجز أمورًا عظيمة؛ ونستمتع بحياتنا.

للأسف، كثيرًا ما نُضَيِّع وقتنا في انتقاد الناس؛ لأنهم لا يقومون

بالعمل بطريقتنا. ونرفضهم بدلًا من أن نقبلهم. يجعلنا هذا نخسر ما يمكنهم أن يضيفوه إلى حياتنا. ويسلبهم ما يمكننا نحن أن نضيفه إلى حياتهم. من أهم الأمور التي يمكن تعلمها قدر قيمة كل شخص. إنهم غير كاملين مثلنا. وتتطلب العلاقات الجيدة عملاً وجهدًا. لكنها بكل تأكيد تستحق العناء.

لا تفترض طالما أذاك أحد. أن الجميع سيؤذونك! من الأفضل أن تثق.

وربما تتأذى أحيانًا. لكن هذا أفضل من أن تعزل وترفض أن تفتح قلبك لأحد. بسبب خبراتي مع الناس. بنيتُ جدارًا حول قلبي وكنتُ خائفة أن أسمح لأي شخص بالدخول.

لا تفترض طالما
أذاك أحد. أن الجميع
سيؤذونك!

كانت لدي بعض العلاقات. لكنها لم تكن صحية؛ لأنني كنت أقضي وقتًا في محاولة ألا أكون مرفوضة أكثر من الوقت الذي كنت أقضيه في بناء علاقات جيدة. ولكنني شاكرة لأن من خلال علاقتي بالله؛ واختباري لقوة كلمته. تعلمتُ أن أثق مرةً أخرى.

إن كنت قد تأذيت. فإنَّ الله في انتظارك ليشفي نفسك المجروحة. إنه يشفي المنكسري القلوب ويعطيهم فرحًا عوضًا عن الحزن (النظر إشعياء ٦١: ٧-١). سيكون سور حماية من حولك. لا يضمن الله لنا ألا نتأذى أبدًا. لكنه وعد بأن يعزينا ويشفينا ويرد نفوسنا عندما نتأذى. خذ وقتًا وقرأ الفقرة الكتابية التالية ببطء وتأمل. لقد ساعدتني كثيرًا في السنوات التي كنت فيها أتعلم أن أكون معتمدة على الله؛ بدلًا من نفسي.

"تَبَارَكَ إِلَهُ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَأَبُوهُ، أَبُو الْمَرَامِ (الشفقة والرحمة).
وَالإِلَهُ الَّذِي هُوَ مَصْدَرُ كُلِّ تَعَزِيَةٍ (وتشجيع).

فَهُوَ يُعَزِّينَا (ويشجعنا) فِي كُلِّ ضَيْقَةٍ (نكبة ومحنة) نُوَاكِهَهَا.
لِكَيْ نَتَمَكَّنَ نَحْنُ مِنْ تَعَزِيَةٍ (وتشجيع) الْمُتَضَائِقِينَ بِضَيْقَاتِ
كَثِيرَةٍ، بِالتَّعَزِيَةِ (والتشجيع) نَفْسِهَا الَّتِي يُعَزِّينَا بِهَا اللَّهُ.
(٢ كورنثوس ١: ٣-٤)

إِنْ لَمْ أَكُنْ سَمَحْتُ لِلَّهِ بِأَنْ يَشْفِي نَفْسِي الْجَرِيحَةَ، لَمْ أَكُنْ سَأَسْتَطِيعُ
أَنْ أُعَلِّمَ الْآخَرِينَ كَيْفَ يَسْتَقْبَلُونَ الْمُسَاعَدَةَ وَالتَّعَزِيَةَ مِنْهُ. إِنَّ اللَّهَ يُرِيدُكَ
أَيْضًا أَنْ تَفْعَلَ بَعْضَ الْأُمُورِ الْمَهْمَةِ، وَأَنْ تُسَاعِدَ بَعْضَ النَّاسِ. إِنْ كُنْتُ
وَاحِدًا مِنْ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ مَا زَالُوا مَجْرُوحِينَ وَمَتَوَقِّفِينَ عِنْدَ الْأَلَمِ الَّذِي تَأَلَّمْتَ بِهِ
فِي الْمَاضِي، أَصَلِّي أَنْ تَبْدَأَ فِي اسْتِقْبَالِ تَعَزِيَةِ اللَّهِ وَشِفَائِهِ الْيَوْمَ. اِبْدَأْ بِأَنْ
تَطْلُبَ مِنَ اللَّهِ بِبَسَاطَةٍ أَنْ يَشْفِي نَفْسَكَ وَيُرِيحَكَ مِنْ أَلَمِكَ.

لَنْ يَشْفِيكَ اللَّهُ فَقَطْ، بَلْ سَيَعُوضُ لَكَ عَنْ سَنِينَ حَيَاتِكَ الضَّائِعَةِ.

لَنْ يَشْفِيكَ اللَّهُ فَقَطْ، بَلْ سَيَعُوضُ لَكَ عَنْ سَنِينَ حَيَاتِكَ الضَّائِعَةِ. إِنَّهُ
يَعِدُّ أَنْ يُعْطِينَا بَرَكَاتٍ مُضَاعَفَةً لِمَشَاكِلِنَا السَّابِقَةِ إِنْ وَضَعْنَا ثِقَتَنَا فِيهِ.
رَغْمَ أَنَّ هَذَا لَا يَحْدُثُ كُلُّهُ بَيْنَ لَيْلَةٍ وَضَحَاهَا، إِلَّا أَنَّهُ يَحْدُثُ شَيْئًا فَشَيْئًا
بَيْنَمَا نَسْتَمِرُّ وَاثْقِينَ فِي اللَّهِ وَعَامِلِينَ مَعَ الرُّوحِ الْقُدُّسِ نَحْوَ الْكَمَالِ.
إِشْعِيَاءَ ٦١: ٧ يَقُولُ:

"عَوْضًا عَنْ خَزِيكُمُ سَتَتَّالُونَ ضِعْفَيْنِ. وَعَوْضًا عَنْ عَارِكُمُ
سَتَفْرَحُونَ بِنَصِيبِكُمْ. لِذَلِكَ سَيَهُ تَلِكُونَ نَصِيبًا مُضَاعَفًا فِي
أَرْضِهِمْ، وَسَيَدُومُ فَرَحُهُمْ إِلَى الْأَبَدِ."

لقد تحقق وعد الله هذا في حياتي وفي حياة الكثيرين ممن أعرفهم. إن لم تكن قد اختبرت هذا بالفعل، فيمكنك أن تختبره. إن الثقة في الله هي المفتاح الذي يفتح هذا الوعد والوعود الأخرى أيضًا.

الجاهل

كتاب الأمثال كتاب يُشارك مبادئ الحكمة، والكاتب، سليمان، يقضي وقتًا طويلًا في عرض ثمار كل من الحكمة والجهل. هناك وعود لكل من الرجل الحكيم والرجل الجاهل. هناك وعود للرجل الحكيم فيها كل البركات التي تخطر على بالك، فعلى سبيل المثال لا الحصر: الإرشاد، والحماية، والحياة الطويلة، والصحة الجيدة، والازدهار في كل جوانب الشخصية، والرفعة، والاحترام. لكن الجاهل يُمكنه أن يتوقع العكس تمامًا.

في سفر الأمثال، غالبًا ما يوصف الجاهل بأنه الشخص الواثق بنفسه أو الشخص المعتمد على نفسه. لنكن واضحين - أي شخص معتمد على ذاته شخص جاهل، وثمار مثل هذا الاختيار ليست جيدة أبدًا. الشخص المعتمد على ذاته يرفض النصيحة، وهو مقتنع أن طريقه دائمًا صحيح. إن العار هو أعلى مركز يُمكن أن يُمنح للجاهل (انظر أمثال ٣:٣٥).

يتكلم الجهلاء دون تفكير. ويُمكنك أن تعرفهم من طريقة كلامهم. إنهم المتهاكمون والمستهزؤون الذين يَسْخَرُونَ من الأبرار. إنهم يُحبون الشر ويكرهون الصلاح. وواحدة من الصفات الشخصية الأكثر تدميرًا في الشخص الجاهل المعتمد على ذاته هي الكبرياء. إنَّ كبرياءهم يخدمهم فيرفضون أن يسمعوا كلام الله.

أعتقد أنه أمر آمن أن أقول إنَّ هناك جهلاء كثيرين في العالم. وإنهم سيُجنون ثمر جهلهم إنَّ لم يتغيروا. أكثر الأمور التي تُخص الله تشويقًا هي أنه يمنح بدايات جديدة في أي وقت نحتاجها فيه. لا أحد يظَل عالقًا في ماضيه إلى الأبد إلاَّ إنَّ اختار هو ذلك. رغم أنني كنتُ معتمدة على ذاتي لسنوات طويلة، إلاَّ أنني بمعونة الله تغيرتُ. وأنا مدركة تمامًا أنني أحتاج الله في كلِّ الأوقات، كما أحتاج الناس أيضًا! أنا واثقة أنَّ الله يضع الناس المناسبين في حياتي، من ثم، يجعلنا معًا. ونحن واضعين ثقتنا في الله. تحدثتُ أمور مذهلة.

حتى المؤمنون الملتزمون تمامًا بالإيمان يتصرفون بجهل أحيانًا. أعرف على الأقل أنني أفعل ذلك. منذ عدَّة أشهر، تعهدتُ تعهدًا طويل الأجل دون أن أفكر فيه جيدًا. والآن أتمنى لو لم أفعل هذا. قمتُ بهذا التعهد بدافع من مَساعري؛ بدلًا من أن آخذ وقتًا لأطلب حِكْمَةَ الله. تبتُّ وطلبتُ من الله أن يُساعدني لأفي بعهدي لأنني أعلم أنني سأكون أكثر جهلاً إنَّ لم أفِ به. ويُمكنني أن أتعلَّم من هذا الخطأ في الحكم.

ما أريد قوله هو أننا جميعًا أحيانًا ما نكون جهلاء، لكن إنَّ كانت قلوبنا

مستقيمة مع الله. يُمكنه أن يصنع خيرًا من أخطائنا. أن تكون جاهلاً من وقت لآخر وتتخذ قرارات معتمدًا على ذاتك دون أن تستشير الله. ليس مثل أن تعيش جاهلاً معتمدًا على ذاتك.

عندما عرفتُ أنَّ الكتاب المقدَّس يصف الجاهل بأنه شخص واثق بنفسه أو معتمد على ذاته. انفتحت عيناى.

إنَّ الاعتماد على الذات مُشكِّلة كبيرة بالنسبة لنا أكثر ممَّا يُمكن أن نتخيل. فهي في الأساس تُغلق الباب أمام كلِّ المعونة التي يُريد الله أن يُعطينا إياها. عندما نعتد على ذاتنا أو نثق بأنفسنا. تكون النتيجة ضئيلة مقارنةً بالنتيجة المذهلة التي نحصل عليها عندما نثق بالله.

لست مضطرًا أن تقوم بكلِّ العمل

عدم الثقة بأحد غير نفسك هو حملٌ ثقيلٌ عليك. هذا يعني أنَّ عليك أن تقوم بكلِّ العمل. يا للهول! تعبتُ بالفعل من مُجرّد التفكير في الأمر. لأنني أتذكر حين كنتُ أفعل هذا. جزء من تعريف الثقة هو أن "تعتمد". وهذا معناه أن تستند على آخر. أو تضع ثقتك فيه. أو تتعلق به. أو تتكل عليه. عندما نعتد على شخص آخر. نخفف حملنا في الحال.

إنُ سمعتَ نفسك تقول: "أنا لا أستطيع أن أستمِر هكذا لوقت طويل". ربما يعني هذا أنك تحاول أن تفعل أكثر ممَّا خُلقت لتفعله. كلُّ منَّا له حدوده. يُمكننا أن نعرف هذه الحدود إنَّ انتبهنا لمستويات توترنا. عندما أحمل حملًا ثقيلًا يجعلني منهكًا طوال الوقت. وأتدمر كثيرًا. وعادةً ما

أكون حانقًا على الآخرين وصَيِّق الصَّدر معهم. هنا أكون قد تعديتُ حدودي. أحتاج أن أحصل على بعض المُسَاعَدَة. سواء من الله أو من شخص أعده لي الله. أنا أحتاج أن أعتد على الآخرين. لكن من الصعب أن أفعل ذلك إن كنتُ لا أعرف كيف أتق.

هل علينا حَمًا أن نفعل كلَّ ما نفعله؟ هل حَمًا نحن الوحيدون الذين نَقدر أن نفعل ما يجب فعله؟ أم إننا خائفون فقط من أن نثق بأبي شخص آخر؟ هل نحن ربما نحصل على هويتنا (قيمتنا ومكانتنا) من كوننا "الشخص الذي يقوم بكلِّ العمل"؟ تتطلب الإجابة الصادقة عن هذه الأسئلة بعض الفحص النفسي. نحن بارعون جدًّا في الاختباء من أنفسنا. كم شخص يعرف نفسه بحق ويعرف الدوافع المختبئة وراء ما يفعله؟ هل نحن خائفون من سؤال أنفسنا لماذا "نعتقد أنَّ علينا أن نقوم بكلِّ العمل؛ لأن الإجابات التي سنجدها ربما لن تعجبنا؟ أحد الأمور التي اكتشفتُها بكلِّ ألم كانت أنني شعرتُ أنَّ عليَّ القيام بكلِّ العمل لأنني كنتُ شخصيَّة متكبرة. مقتنعة بأن أحدًا لن يُمكنه فعل ما يلزم القيام به. مثلي أنا. (هذا مُوجع!)

لديَّ أيضًا جذور رفض في حياتي من ماضي. وبسببها، ترددتُ في طلب المُسَاعَدَة لأنني ظننتُ أنني إن فعلتُ ذلك ربما أرفض. ليس من المريح أن نطلب المُسَاعَدَة ونتلقى الإجابة بـ "لا". مثل آخرين كثيرين. كنتُ أخاف أن أنظر الى الماضي. لذا استمررتُ في القيام بالعمل كلُّه حتى اقتربتُ من الانهيار. وقتها فقط طلبتُ المُسَاعَدَة من الله!

إِنْ كُنْتَ تشعر أنك في نهاية الحبل الخاص بك، اصمُدْ. واطلب
المُسَاعَدَةَ من الله. عندما نطلب من الله أن يُسَاعِدَنَا، عادة ما يُعطينا
جرعات كبيرة من الحق لا يكون دائمًا من السهل ابتلاعها. إِنَّ الحق يُحَرِّرُنَا،
لكن فقط إِنْ قبلناه، ولكي أكون صادقة، هذا عادة ما يؤلم.

لَمْ يكن من السهل عَلَيَّ الاعتراف بأنني كنت متكبيرة، وأحب أن أكون
مسيطرة، أو معتمدة على ذاتي، أو أفكر "بأنني لا أحتاج أحدًا". عندما
كشف الله لي هذه الأمور، شعرتُ وكأن هناك مَنْ يمزق نَفْسِي ليفتحها
ويكشفها بطريقة جعلتني غير مرتاحة إطلاقًا. لكن الحق حَرَّرَنِي. وهو
سيفعل الشيء نفسه لأي شخص لديه استعداد أن يقبله.

حسنًا، أنا لستُ فقط لا أريد القيام بالعمل كُلِّهِ، لكنني أعرف أيضًا
أنني لا أستطيع أن أقوم بذلك أصلًا! في الحقيقة، أنا لَمْ أستطع فعله
من قَبْل، ولا أنت.

إِنَّ الثِّقَةَ في الله هي بداية كُلِّ الشفاء. علينا أن نثق في طُرُقِهِ حتى إِنْ

بَدَتْ في البداية أنها تجعل الأمور أكثر سوءًا.
كثيرًا ما يكون صعبًا علينا فهم "لماذا يُمكن
أن يكون الشفاء مُؤَلِّمًا أكثر من مرضنا"، لكن

إِنَّ الثِّقَةَ في الله هي
بداية كُلِّ الشفاء.

حين يتعلق الأمر بالنفس، غالبًا ما يكون الوضع هكذا.

كان لديّ مرض في نفسي. لَمْ أكن أعرف كيف أثق. كنتُ أعيش في
خوف. كانت حقيبة ظهري مليئة عن آخرها بأحمالٍ ثقيلة، كنتُ أحملها
باستمرار. أنا سعيدة حقًا أَنْ لديّ ماضٍ أُنشِرُ إليه؛ لأن هذا يُسَاعِدُنِي أَنْ

أرى كم أصبحت حياتي الآن رائعة. عندما أتذكر الضغط الذي كنت أعيش تحته، وكم أنني خفيفة وحررة الآن، تذهلني قوة الله وصلاحه!

أتحدث عمّا كنت عليه لأنني أظن أنّ كثيرين لا يزالون عالقين هناك. صلاتي أن تكون معرفة أنّ شخصاً آخر تحرر، بمثابة تشجيع لنفس منهكة؛ ليعرف الشخص أنّ الشيء نفسه يُمكن أن يحدث معه إن أُطلق سراح نفسه، وسمح لله بأن يتدخل في حياته.

استند على الله، واعتمد عليه ليُساعِدك، ويهتم به! أُصدَم دائماً عندما أفكر في كم الناس الذي يظنون، اليوم، في العالم أجمع، أنهم لا يحتاجون الله. إن لم يكن الله في حياتي في كل لحظة، لم أكن لأجد هدفاً من أي شيء. صمّمنا الله لنحتاجه. لذا بعيداً عن الله، لا يُمكننا أن نقوم بأعمالنا بشكل صحيح. ربما يَخدع البعض أنفسهم فيظنون أنّ لديهم كل شيء، لكن وقت تعاملهم مع المُشكلة سيأتي. سيصلون في آخر الأمر إلى نهاية أنفسهم؛ وأتمنى أن يكون لديهم ما يكفي من التواضع ليدعوا الله يتدخل في حياتهم.

إن كنت قد شعرت بالإدانة بأي شكل بسبب هذا التعليم عن الاعتماد على الذات، وتحتاج مُساعدة، بكل بساطة، اطلب المُساعدة! إن الله أكبر خبير في العالم في أمر مُساعدة الناس! إن روحه القدوس معنا هنا؛ ويُدعى المعين (أنظر يوحنا ٤ : ١٦). تخيّل: لديك معين إلهي يقف بجانبك في كل الأوقات. إذن لماذا لا تُعطيه شيئاً ليفعله؟ أنت حقاً لست مضطراً

أن تقوم بالعمل كله. الحقيقة هي أن يسوع قام بالفعل بالعمل كله. ومن خلال الثقة والإيمان به، يمكنك أن تتنفس الصعداء؛ وتترك حملك! يمكنك أن تكون معتمدًا على الله بدلًا من ذاتك.

الفصل الخامس

ثِقْ بِاللَّهِ وَافْعَلِ الْخَيْرَ (الجزء الأول)

"عَلَى اللَّهِ اتَّكِلْ (استند، واعتمد عليه؛ وثِقْ فيه)، وَافْعَلِ الْخَيْرَ.
وَسَتَسْكُنُ أَرْضَكَ وَتَتَّعِمُ بِالْأَمَانِ".

(مزمور ٣٧: ٣)

مزمور ٣٧: ٣ هي آية تعدنا بأننا إن وثقنا بالله، وفعلنا الخير، سنشبع. لكنها لا تحدث عن الشبع بالطعام الكافي فقط. إنها تعني أننا سنستمتع بالارتياح والرضا في أنفسنا. ربما نرغب في أن يتغير شيء ما، لكن أثناء انتظارنا، يُمكن أن تكون لنا نفس راضية في الله.

إنَّ الثِّقَةَ فِي اللَّهِ مَنْفَعَةٌ عَظِيمَةٌ لِمَنْ هُوَ ابْنٌ لِلَّهِ. فَهِيَ تَسْمَحُ لَهُ بِأَنْ يَسْتَمْتَعَ بِحَيَاتِهِ بَدَلًا مِنْ أَنْ يَنْجُو بِهَا فَقَط. تَذَكَّرُ أَنَّ الثِّقَةَ بِاللَّهِ اخْتِيَارٌ نَقُومُ بِهِ؛ وَهِيَ امْتِيَازٌ أَيْضًا. لَكِنْ هُنَاكَ شَيْئًا آخَرَ يَجِبُ أَنْ نُضِيفَهُ إِلَى الثِّقَةِ: حَتَّى نَسْتَفِيدَ مِنْهَا اسْتِفَادَةً كَامِلَةً. هَذَا الشَّيْءُ الْآخَرُ هُوَ "فِعْلُ الْخَيْرِ".

يُمْكِنُ أن يكون هذا الفصل أهم فصل في الكتاب بالنسبة لك. لقد سَاعَدَنِي المبدأ الكتابي الموجود في مزمو ٣٧: ٣ كثيرًا في حياتي. وأنا أؤمن أنه حيويٌّ بالنسبة لك أنت أيضًا.

الثقة بالله تعني أن نُلقِي بهمنا عليه ونرفض أن نقلق أو نضطرب من أي شيء. لكنها لا تعني أن نُلقِي بمسؤوليتنا. كثيرًا ما يكون هناك فعل موحى به من الله يجب أن نفعله كي ما نحصل على ما نريده. بعض الناس لديهم الفكرة الخاطئة التي تقول إنَّ الثِّقة بالله أو انتظاره أمرٌ سلبيٌّ؛ ما يعني أننا لا يجب أن نفعل شيئًا بينما ننتظر أن يفعل الله كلَّ شيء. لكن هذا ببساطة ليس صحيحًا. مثلاً، عندما يثق شخص أن الله سيُساعده ليجد عملاً لكنه ليس جادًا في البحث عن عمل، حتمًا، لن يحصل على نتيجة جيدة.

عَبَّر بُولْس عن هذا الكلام بوضوح في رسالته إلى أهل أفسس. قال إن على ذلك الشخص أن يقوم بكلِّ ما تتطلبه الأزمّة. ثم يقف صامدًا في مكانه (انظر أفسس ١: ١٣). نرى في هذه الآية مبدأ "الثقة بالله وفعل الخير". افعل ما عليك فعله. افعل ما يُمكنك أن تفعله. ثق بأن الله سيفعل ما لا يُمكنك أن تفعله؛ أو ما لا يجب عليك فعله.

أول شيء علينا دائمًا فعله هو أن نثق بالله في كلِّ ناحية من نواحي حياتنا. الأمر الثاني أن نكون مُستعدين أن نفعل أي شيء يرينا الله أن علينا فعله. قادني الله أن أُغيِّر طريقة صلاتي عندما يكون عندي احتياج. فبدلاً من أن أقول: "أثق يا ربُّ أنك ستفعل هذا لي"، أقول الآن: "يا ربُّ، أثق

أنتك ستهتم بهذا الأمر. وإن كَانَ هناك شيءٌ عَلَيَّ فَعَلْهُ، عَرَّفَنِي مَا هُوَ." ربما تحب أن تفكر في فعل ذلك؛ إن لَمْ تكن تفعله بالفعل. أعتقد أَنَّ ذلك يُبقينا على دراية باحتياجنا لسماع صوت الله؛ لننتقي أي تعليمات ربما يُعطيها لنا.

في أول يناير ٢٠١٥، كتبتُ في يومياتي أنني أحتاج وأرغب بشِدَّة في المزيد من الطاقة. بعد ذلك بفترةٍ وجيزة، شعرتُ أنني يجب أن أبدأً أمشي كلَّ يوم. أنا أقوم بتمارين بالفعل مع مدرب ثلاثة أيام في الأسبوع، لكنني فكرتُ الآن: أنني يجب أن أضيف المشي لهذه التمارين. كنتُ يومياً أتعتمد على الله في إعطائي الرغبة والقدرة على فعل ذلك. وفي غضون أشهر قليلة، أصبحتُ أمشي خمسة أميال في اليوم؛ وأصبحت لديّ طاقة أكثر من أي وقتٍ مضى. أصبح لديّ المزيد من القدرة على التحمل. وأصبح عقلي أكثر يقظة. كنتيجةٍ إضافية، فقدتُ بعض الوزن، ورغم أن ذلك لَمْ يكن هدفي الأساس، إلا أنني شعرتُ بسعادةٍ غامرة. تبيّن أن تمارين تنشيط القلب الإضافية كانت بالضبط ما يحتاجه جسمي.

طلبتُ من الله بثقة أن يمنحني المزيد من الطاقة؛ فأعطاني شيئاً لأفعله، لكنه أعطاني أيضاً الرغبة والقدرة على فعله.

إن وثقتَ بالله وكنتَ مُستعدّاً بحق أن تفعل أي شيء يطلبه منك، أضمن لك أنك ستُذهل من التقدم الذي ستحرزه نحو الوصول إلى أهدافك.

طلبتُ من الله بثقة أن يُعطيني المزيد من الطاقة فأعطاني شيئاً لأفعله.

هناك أمر آخر حدث مؤخرًا يخص عيني. عيناى جافتان جدًّا وأحيانًا تلتهبان ويُمكِن أن يكون هذا مؤلمًا جدًّا. أنا أستخدم كل قطرات العين التي أنصح بها، وأحتفظ بمرطَّب في المكان الذي أنام فيه. ورغم أن هذا يُساعِدني، إلا أنني كنتُ لا أزال أعاني. كان الأمر يسوء بشكل خاص عندما أسافر إلى أماكن جوها جاف. وأنا أفعل ذلك كثيرًا كجزء من مسؤوليات خدمتي.

صليتُ من أجل هذا الأمر. كما فعلتُ كثيرًا من قبل. لكن هذه المرة شعرتُ أن الله يقول إنني أحتاج أن أشرب كمية من الماء أكثر بكثير ممَّا كنتُ أشربه. كنتُ أظن أنني أشرب بالفعل الكثير من الماء! اقترح عليَّ شخصان أن أشرب المزيد من الماء. لكن، ولأنني كنتُ أظن أنني أشربه كثيرًا، رفضتُ اقتراحهما؛ لأنني رأيتُ أن لا علاقة له بمشكلتي. من الشيق أن نلاحظ كيف يُمكن لكبرياء عقولنا أن يمنعنا من مُجرّد التفكير في اقتراح يقدمه شخص ما. يجب أن نتأمل على الأقل في النصيحة التي تُقدِّم لنا أمام الله، ونرى إن كانت أرواحنا ستدلل على صحتها. كثيرًا ما يتحدث إلينا الله من خلال الناس. لكن علينا أن نكون متواضعين بما يكفي لنسمع لهم.

شكرًا لله لأنه لا يتخلَّى عَنَّا. رغم أنه حاول أن يُخبرني بما يجب أن أفعله من خلال الناس. إلا أن نعمته تكفي لأن يقول لي ذلك الآن بنفسه. شعرتُ أنه يتعيَّن على أن أقول شكرًا لله لأنه لا يتخلَّى عَنَّا.

أشرب الآن ضِعْفَي ما كنتُ أشربه، خاصَّة عندما أكون في أماكن جوها جاف. ولكي أفعل ذلك، كان عليَّ أن أشرب ثمانى زجاجات (الزجاجة الواحدة

سِتَّةَ عَشْرَ أُوقِيَّةٍ) مِنَ الْمِيَاهِ فِي الْيَوْمِ! حَسَنًا. رَصَصْتُهَا عَلَى طَاوِلَةٍ. وَبَدَأْتُ أَشْرَبُ. بِالطَّبْعِ. تَحَسَّنْتَ عَيْنَايَ. لَمْ تُصْبِحَا مِمْتَازَتَيْنِ. لَكِنَهُمَا أَصْبَحْتَا فِي حَالٍ أَفْضَلَ كَثِيرًا عَمَّا كَانْتَا عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ. إِنَّ شُرْبَ هَذِهِ الْكَمِيَّةِ مِنَ الْمَاءِ أَمْرٌ صَعِبٌ. وَلَمْ أَكُنْ أَتَفُوقُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ. لَكِنِّي أَعْرِفُ مِنَ الْخَبْرَةِ أَنَّ بِإِمْكَانِي إِنْشَاءَ عَادَةٍ جَدِيدَةٍ. وَبَيْنَمَا أَفْعَلُ ذَلِكَ. مَا يُعْتَبَرُ صَعْبًا الْآنَ سَيُصْبِحُ جَزْءًا مِنْ أَسْلُوبِ حَيَاتِي فِيمَا بَعْدَ.

فِي مَرَّةٍ أُخْرَى. لَمْ أَكُنْ أَسْتَطِيعُ النَّوْمَ. وَبَعْدَ أَنْ تَقَلَّبْتُ حَتَّى السَّاعَاتِ الْأُولَى مِنَ النَّهَارِ. سَأَلْتُ اللَّهَ مَا الْمُسْكِكَةُ. فَنَبِهَنِي بِسُرْعَةٍ إِلَى وَاقِعَةٍ حَدَثَتْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ كُنْتُ فِيهَا فَظَّةٌ وَقَاسِيَةٌ مَعَ شَخْصٍ مَا. وَعَرَفْتُ فِي الْحَالِ أَنَّ عَلِيَّ أَنْ أَطْلُبَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَسَامِحَنِي. وَفَعَلْتُ ذَلِكَ. كَانَ عَلِيٌّ أَيْضًا أَنْ أَعْتَذَرَ لِلشَّخْصِ الَّذِي كُنْتُ فَظَّةً مَعَهُ بِأَسْرَعٍ مَا يُمَكِّنُ. وَبَعْدَ ذَلِكَ مَبَاشَرَةً نَمْتُ!

إِنَّ هَدْفِي فِي الْحَيَاةِ هُوَ أَنْ أَسْتَمِرَّ وَاثِقَةً فِي اللَّهِ وَ"أَفْعَلِ الْخَيْرَ". مَعْنَى أَنْ نَفْعَلِ الْخَيْرَ هُوَ أَنْ نَفْعَلَ مَا يَقُودُنَا اللَّهُ لِنَفْعَلَهُ. وَنَطْبِيعَهُ فَوْرًا عِنْدَمَا يَكْشِفُ لَنَا الْأَمْرَ. هُنَاكَ وَجْهٌ آخَرَ لِنَفْعَلِ الْخَيْرَ أُرِيدُ أَنْ أَتَحَدَّثَ عَنْهُ فِي الْفَصْلِ التَّالِي. لَكِنِ دَعَوْنَا نَخْصُصُ هَذَا الْفَصْلَ لِتَعَلُّمِ أَهْمِيَّةِ اتِّبَاعِ قِيَادَةِ الرُّوحِ الْقُدُسِ مِنْ غَيْرِ إِبْطَاءٍ.

معيننا

عندما صعد يسوع إلى السماء، أرسل لنا معزياً ومعيناً آخر -
الروح القدس! قال في يوحنا ١٤: ١٦:

”وَسَأَطْلُبُ مِنَ الآبِ، وَسَيُعْطِيكُمْ مُعِينًا (مرشدًا ومساعدًا
وشفيعًا ومحاميًا ومقويًا ومؤيدًا) آخَرَ لِيَطَّلَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ.

أرسل يسوع روحه ليكون معنا في كلِّ الأوقات. إِنَّ الرُّوحَ القُدُسَ هو
مرشدنا، بحسب يوحنا ١٦: ١٣. أحب فكرة أن يكون لي مساعد قدوس
يسير معي كلِّ حياتي، وأتمنى أن تكون أنت أيضًا معجبًا بهذه الفكرة.
لسنا مضطرين أبدًا أن نسير مسيرة حياتنا وحُدنًا أو أن نفعل كلَّ شيء
بأنفسنا؛ لأن الرُّوحَ القُدُسَ موجود لِيُساعدنا. إنه يرشدنا إلى ماذا نفعل،
ويقوينا، ويُعطينا القدرة لنفعل الأمر. تأكّد من أنك تعتمد على الله في
كلِّ الأوقات؛ لأن بدونه لا نُقدِر أن نفعل شيئًا (انظر يوحنا ١٥: ٥). عندما
نضع ثقتنا في يسوع، وندعم عليه، يزيل هذا الضغط من علينا.

إِنْ أراد الله منك أن تفعل شيئًا معيّنًا، يُمكن ألا يأتي ذلك سريعًا، فبينما
تنتظر الله بصبر، واضعًا ثقتك فيه، سيعلن إرادته. في بعض الأوقات كنتُ
أشعر أثناء انتظاري لله ليهتم بأمرٍ ما، أنّ دوري أن أتكلّم بإيجابية عن
الأمر، وأن أشكره مسبقًا على الاختراق الذي
سيفعله. أتذكّر مرتين طلب الله مِنَّا فيهما
أن نقدم تقدمة، وفي مرّات أخرى طلب أن

يقود الله أولئك الذين
يُريدون بحقّ إرشادَه!

نصوم، وفي مرّات أخرى كانَ يطلب مِنَّا أن نُصلّي ومنتظر فقط.

لتكن لديك أفكار مسبقة عن الطريقة التي سيعمل ويتحدث بها الله، إلينا؛ لأن طُرُقَه لا نهاية لها!

عندما يتحدث الله (يقود ويرشد)، عادة ما نشعر شعورًا قويًا في قلوبنا بتوجُّه معيَّن يجب أن نتخذه، أو تخطر لنا.

فكرة لا يُمكننا التخلص منها. يقود الله أولئك الذين يُريدون إرشاده بحق! أحيانًا ما نتعلَّم عن طريق ارتكاب الأخطاء، فإنَّ خطوتَ خُطوة بالإيمان؛ ووجدتَ أنك أسأتَ فهم ما عليك أن تفعله، لا تياس.

عندما أفعل شيئًا لا يُريدني الله أن أفعله، أشعر بعدم الرَّاحة في روحي ونفسي. إنَّ استمر هذا الشعور، أعرف أنه ينبغي أن أتخذ اتجاهًا آخر. وأنتظر لأعرف ما هو هذا الاتجاه. إنَّ كنتُ أفعل شيئًا يُريدني الله أن أفعله، أشعر بالسلام والنعمة والفرح.

مَنْ هو المتحكم في حياتك؟ إنَّ كَانَ اللهُ، ستسير الأمور على ما يرام، وإنَّ لَمْ يَكُنْ، لن تسير الأمور على ما يرام.

ما يقوله لك، افعله!

كثيرًا ما أحكي قصَّة شابَّة جاءت إليَّ في نهاية مؤتمر، وطلبت أن تتحدث معي. أثناء عطلة نهاية الأسبوع، قضت وقتًا مع سيدات أخريات شاركن باختبارات شخصيَّة عن أمور قال لهنَّ الله أن يفعلنها، وكيف أنه بعد أن فعلنها اختبرن اختراقات كُنَّ في أشد الاحتياج إليها. قالت: "يا جويس، كلُّ

ما قادهم الله؛ لأن يفعلنه. كَانَ يكشف لي أنا نَفْس الاتجاه. لكن الفرق بيننا هو أنهم فعلن ما قال لهم الله أن يفعلنه؛ فحصلن على نصره على مَشَاكِلهن. أما أنا فلم أفعل ذلك! "إِنَّ أَتْبَاعَ إِرْشَادِ الرُّوحِ القُدْسِ هو مفتاح التقدم إلى الأمام في الحياة؛ والتغلب على التحديات التي نواجهها.

لا يُوجَد ما هو أبسط من ذلك! هناك مِثَالٌ كتابيٌّ جَيِّدٌ في يوحنا أصحاب ٢. كانت أم يَسُوع تُريد معجزة في عرس قانا الجليل عندما نفذ نبذهم. في عدد ٥، ذهب للخدام، وقالت لهم: "افْعَلُوا كُلَّ مَا يَقُولُهُ لَكُمْ." إن لم تكن أعطيت الله السُّلْطَان الكَامِل على حياتك، هل أنت مُستَعِد أن تجعل هذا هدفك الجديد في الحياة؟ إن فعلت هذا، لن تندم أبدًا.

سَلْ نَفْسك بإخلاص: "هل أثق حقًا بالله؟ هل فعلت ما طُلب مني فعله، أم إنني أرفض طاعته، وما زلت أأمل أن أحصل على ما أريده؟" هل من المُمكن لأي شخص أن يثق بالله إن كَانَ ليس مُستَعِدًّا أن يطيعه؟ لا أعتقد ذلك! ربما يبدو هذا قاسيًّا قليلًا، لكنني أعتقد أنه صحيح. إنَّ الثِّقَةَ في الله لا تَعْتَبَر أكثر من مُجَرَّد فِكْرَة رُوحِيَّة: إِلَّا إن وثقنا فيه بما يكفي لنفعل ما يطلب مِنَّا أن نفعله، أو ربما لا نفعل أي شيء إن كَانَ هذا ما يطلبه.

ماذا إن طلب الله مِنَّا أَلَّا نفعل أي شيء؟

هناك أمور يطلب الله مِنَّا أن نفعلها، وهناك أمور يطلب مِنَّا أن نتوقف عن القيام بها. في وقتٍ ما كنتُ أريد من زوجي أن يتغير. لكن الله طلب مني أن أتوقف عن محاولة تغييره! وفي وقتٍ ما كنتُ أريد أن أغير نفسي.

لكنني لم أستطع أن أفعل ذلك بأي قدر من الصراع والقوة الذاتية. كَانَ عَلَيَّ أَنْ أَنْتَظِرَ اللَّهَ. مُؤْمِنَةً أَنَّهُ سَيُكْمَلُ الْعَمَلَ الصَّالِحَ الَّذِي بَدَأَهُ فِيَّ (انْظُرْ فَيْلِبِي ١: ٦). أَرَدْتُ أَنْ أَشَارَكَ بِنَشَاطٍ فِي أُمُورِ طَلَبِ اللَّهِ مِنِّي أَنْ أَتَوَقَّفَ عَنِ الْقِيَامِ بِهَا. وَلَمْ يَكُنْ هَذَا سَهْلًا عَلَيَّ.

هل هناك أي شيء طلب منك الله أن تتوقف عن القيام به؟ كَانَ يَطْلُبُ مِنِّي بِكُلِّ تَأْكِيدٍ أَنْ أَتَوَقَّفَ عَنِ الْقِيَامِ بِأُمُورٍ مِنْ وَقْتٍ لِآخَرَ. مَا زِلْتُ أَتَذَكَّرُ كَيْفَ كُنْتُ دَائِمًا أُرِيدُ أَنْ تَكُونَ الْكَلِمَةَ الْآخِرَةَ لِي عِنْدَمَا كُنَّا نَخْتَلِفُ أَنَا وَزَوْجِي. لَكِنَّ اللَّهَ قَالَ لِي أَنْ أَتَوَقَّفَ عَنِ الْكَلَامِ! أَحَبُّ أَنْ أَدْلِيَ بِرَأْيِي. لَكِنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ كَثِيرًا مَا يُعْطِينِي الضَّوءَ الْأَحْمَرَ. مَشِيرًا لِي أَنْ أَتَوَقَّفَ وَيُذَكِّرَنِي أَنْ أَبْقَى صَامِتَةً.

لَا أُرِيدُ لِأَيِّ مِنْكُمْ أَنْ يُحْبِطَ نَفْسَهُ بِأَعْمَالِ الْجَسَدِ. مَحَاوِلًا دَائِمًا أَنْ "يَفْعَلَ" شَيْئًا لَا يُمْكِنُكَ أَنْ تَنْجِزَهُ بِقُوَّتِكَ وَقَدْرَتِكَ الْذَاتِيَّةِ. أَرْجُوكُمْ أَفْهَمُوا أَنَّنِي أَتَحَدَّثُ عَنْ عَمَلٍ مَا يَرِيكَ اللَّهُ أَنْ تَفْعَلَهُ. أَوْ مَا يَرِيكَ إِلَّا تَفْعَلَهُ.

إِحْدَى الْآيَاتِ الْمَفْضَلَةِ لَدَيَّ هِيَ مِزْمُورُ ٤٦: ١٠، الَّتِي تَقُولُ إِنَّا يَجِبُ أَنْ نَكُفَّ عَنِ الْقِتَالِ. وَنَعْلَمُ أَنَّهُ هُوَ اللَّهُ. كَانَ التَّوَقُّفُ أَصْعَبَ عَلَيَّ مِنَ الْعَمَلِ! يُرِيدُنَا اللَّهُ أَنْ نَكُونَ فَعَّالِينَ. لَكِنْ فِي عَمَلِ مَشِيئَتِهِ. وَلَيْسَ مَشِيئَتُنَا نَحْنُ.

بَيْنَمَا تَثِقُ بِأَنَّ اللَّهَ سَيَهْتَمُ بِمَوْقِفِ مَا سَلَمْتَهُ لَهُ. رَيْبًا تَشْعُرُ فِي رُوحِكَ أَنَّهُ يُرِيدُكَ أَنْ تَسْتُخْدِمَ وَقْتِ صَلَاتِكَ فِي الشُّعُورِ بِالْإِمْتِنَانِ؛ بَدَلًا مِنْ أَنْ تَطْلُبَ الْمَزِيدَ مِنَ الْأُمُورِ. هُنَاكَ أَوْقَاتٌ كَثِيرَةٌ فِي الْحَيَاةِ لَا يُمْكِنُكَ فِيهَا أَنْ تَفْعَلَ شَيْئًا سِوَى أَنْ تَصَلِّيَ وَتَنْتَظِرَ. يَكُونُ هَذَا حَقِيقِيًّا بِشَكْلِ خَاصٍ

عندما تتضمن طلبه صلاتك شيئًا تُريده لشخص تحبه. تفتح الصلاة الباب أمام الله ليعمل. لكن الشخص المعني لا زال يحتاج أن يسمح لله بالعمل فيه.

في أوقات كنتُ أصلي من أجل شخص لفترة طويلة؛ ثم يتوقف إرشاد الله لي، وأستمر أطلب منه أن يفعل شيئًا. فيقودني لأشكره لأنه بالفعل يعمل!

قوة الطاعة

أتحدث بشكلٍ منتظمٍ إلى حدٍّ ما مع أناس مشوشين، يتساءلون عن سبب أن إيمانهم لا يبدو نافعًا. بعد أن أقضي معهم وقتًا قصيرًا، غالبًا ما أستطيع رؤية السبب. إنهم يتذمرون، وينتقدون الآخرين، كما أنهم سلبيون! هذا النوع من السلوك ليس طاعة لقيادة الروح القدس. من المهم جدًا بالنسبة لنا أن نكون طائعين لله بخصوص توجهاتنا.

لدينا قوة على عدونا، إبليس، لكن سلطان استخدام هذه القوة يأتي فقط من خلال طاعتنا لله. كَانَ يَسُوعُ قَوِيًّا بِالطَّبْعِ، لَكِنَّهُ كَانَ طَائِعًا أَيْضًا. يقول الكتاب إنه كَانَ مَطِيعًا لِلغَايَةِ، حَتَّى الْمَوْتِ، وَأَعْطِيَ لَهُ اسْمٌ فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ؛ وَعِنْدَ ذِكْرِ اسْمِهِ يَنْبَغِي أَنْ تَنْحِنِي كُلُّ رَكْبَةٍ (أَنْظُرْ فِيلِبِّي ٢: ٨-١٠).

العائق الضخم الذي يمنع كثيرين من رؤية صلاتهم تُستجاب هو الغضب والمرارة اللذين يرفضون أن يتخلوا عنهما. إِنَّ مَوْضِعَ الْغَفْرَانِ لَمَنْ

آذونا. والذين نعتبرهم "أعداء" لا يُمكن أن يكون أبسط مِمَّا هو عليه في كَلِمَةِ اللَّهِ.

إنه يقول صراحة إننا ينبغي أن نغفر لأي شخص، عندما نصلي.

أي شيء لدينا ضده (انظر مرقس ١١ : ٢٥). لذلك، إن ظن أيِّ مِنَّا أننا يُمكن أن نرى عمل الله في حياتنا؛ رغم رفض الغفران، يكون حقًا مُخطئًا.

والآن، أريد أن أؤكد لكم أنني لا أقول إننا سنخلص من خلال طاعتنا. إن طاعة المَسِيح هي التي وفَّرت لنا الخلاص. إننا مَخَلَّصون بِنِعْمَةِ اللَّهِ، لا بأعمالنا! (انظر أفسس ٢ : ٨-٩). إلا أنني أو من أن أي شخص يقبل عطية الخلاص بالمَسِيح سيرغب في أن ينمو في أمر الطاعة لأنه يُحبه.

يتوقع الآباء من أبنائهم أن يثقوا بهم ويطيعوهم. إذن لماذا نعتقد أن الله يتوقع مِنَّا أقل من ذلك؟ أريد أن أشجِّعك أن تجهز ذهنك، وتجعله يظل مهيبًا في اتجاه الثقة بالله طوال الوقت، مُنْفَذًا ما يطلب منك أن تفعله، أو الامتناع عن فعل ما يطلب ألا تفعله (انظر كولوسي ٣ : ٢) ما يُسبب النصر في حياتنا ليس الأمور التي نفعلها من حينٍ لآخر. بل الأمور التي نفعلها باستمرارٍ وجديّة.

القليل من الطاعة
الممزوجة بالكثير من
عدم الطاعة تساوي
حياة سيئة.

القليل من الطاعة الممزوجة بالكثير من
عدم الطاعة تساوي حياة سيئة.. لذا هل
ستلتزم بمستوى أعلى من طاعة الله؟ إن
قررت أن تلتزم بهذا، سيُعطيك النِعْمَةَ لتفعل

ذلك. هل هناك نواحٍ أنت تعرفها الآن تحتاج أن تطلقها لله - ليس فقط المخاوف والهموم، بل أيضًا السلوكيات التي لا تتفق مع إرادته؟ يُمكنك أن تبدأ بداية جديدة! بداية جديدة! لتكن صرخة قلبك باستمرار: "يا أبي، لتكن لا إرادتي بل إرادتك!".

والآن دعونا ننتقل إلى الجزء الثاني من فَعْل الخير. وهو شيق جدًا لدرجة أنني متلهفة لمشاركته معكم!

الفصل السادس

ثِقْ بِاللَّهِ وَافْعَلِ الْخَيْرَ (الجزء الثاني)

”فَعَلَيْنَا أَنْ لَا نَتَّعَبَ مِنْ عَمَلِ الْخَيْرِ؛ لِأَنَّا سَنَحْصِدُ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ، بِشَرْطِ أَنْ لَا نَسْتَسْلِمَ.“

غلاطية ٦: ٩

لقد تعلمنا أنَّ طاعة الله واتباع إرشاد الرُّوحِ القُدُسِ ”عمل خير.“ لكن في هذا الفصل، أريد أن أركِّزَ بشكل خاص على طاعة الله، وعمل أعمال صالحة؛ بأن نساعد المحتاجين.

قال الرَّسولُ بُولُسُ لأهل غلاطية ألا يتعبوا من عمل الخير (انظُرْ غلاطية ٦: ٩). لقد أَمَرَهُم أن يفعلوا الخير مع جميع الناس ما داموا يمتلكون الفرصة، لا سيما تجاه إخوتهم في الإيمان (١: ١٠). يجب أن نرى مُسَاعَدَةَ الْآخَرِينَ من المحتاجين فرصة لفعل الخير! إنها فرصةٌ لنا أن نبارك الْآخَرِينَ. وأن نكون نحن أيضًا مَبَارَكِينَ. إِنَّ النَّاسَ الَّذِينَ يَرَكِّزُونَ عَلَى مُسَاعَدَةِ الْآخَرِينَ هُمْ أَناسٌ سَعْدَاءُ!

أنا أوْمَن بِشِدَّةٍ أَنَّ العِطَاءَ أُسَاسُهُ الثِّقَةُ بِاللَّهِ. نحن نفعل هذا؛ لأن الله طلب مِنَّا ذلك، ونحن نُؤْمِنُ بوعدِهِ بأن يُسَدِّدَ احتِياجَاتِنَا المادية. يُسببُ عمل الأعمال الصالحة أَمُورًا رَائِعَةً في أولئك الذين يمارسون ذلك بجديّة. مكتوب في أعمال ٢٠: ٣٥: "... فِي العِطَاءِ بَرَكَتٌ أَكْثَرُ مِمَّا فِي الأَخْذِ." عندما نُعْطِي من أنفسنا يَطلِقُ هذا فرحًا في حياتنا، ويجعلنا نستطيع أن نكون سعداء بينما ننتظر أن يُسَدِّدَ اللهُ احتِياجَاتِنَا. لذا إِنْ كُنْتَ تتساءل: "كيف يُمكنني أن أكون سعيدًا في حين أن لديّ مَشَاكِلَ؟" الإجابة بسيطة: أبعد فِكرَكَ عن نَفْسِكَ؛ وذلك بأن تركز على فِعْلِ شَيْءٍ جَيِّدٍ لِشَخْصٍ آخَرَ. لسنا مضطرين أن نركّز على مَشَاكِلِنَا طوال اليَوْمِ كي يمنحنا اللهُ استجابات. أخبره عَمَّا تُريدُهُ وتحتاجه، ثم ثِقْ في أنه سيُعْطِيكَ بينما تركز على فِعْلِ الخير!

إحدى الآيات المفضلة لديّ هي أعمال ١٠: ٣٨. وهي تقول إِنَّ يَسُوعَ مُسِيحَ بِالرُّوحِ القُدُسِ وَ"كَانَ يَتَجَوَّلُ فَاعِلًا الخَيْرِ وَشَافِيًا كُلَّ الَّذِينَ تَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ إبليسُ...". (AMPC). لقد تعلّمنا أن نتمثّل بسلوكه ونتبع مثاله. وهذه إحدى أفضل الطُرُق التي بها يُمكننا أن نفعل ذلك. إِنَّ العَالَمَ مليء بالذين يقهرهم الشيطان، ونحن ممسوحون بالرُّوحِ القُدُسِ لنُساعدَهُم بالضبط كما كَانَ الوَضْعُ مع يسوع.

في كُلِّ مَرَّةٍ نفعل الخير، نحن نزرع حبة، ستُطلقُ حصادنا نحن. لا تخطفُ الظنَّ بأنّ لديك الكثير من المَشَاكِلِ؛ مِمَّا يجعلك لا تستطيع مُسَاعَدَةَ الآخَرِينَ؛ هذا سينتج عنه فقط أن تظل عالِقًا في مَشَاكِلِكَ إلى أَجَلٍ غير مُسَمَّى.

ذات مَرَّةٍ، في عَطْلَةِ نهاية الأسبوع، عندما كنتُ أَعْلَمُ عن هذا الموضوع ذاته - الثِّقَةُ بِاللَّهِ وَفِعْلُ الخير - في أحد مؤتمراتي، انقطع التيار الكهربائي

في البلوك الذي كانت فيه السّاحة. حدث ذلك قبل المحاضرة الافتتاحية بساعة. لذا كَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَلْغِيهَا. ونشاهد الآلاف يغادرون. عاد التيار قبل حوالي عشر دقائق من موعد نهاية المحاضرة. كَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَنْتَظِرَ وَنَبْدَأَ المحاضرة في الصباح التالي.

كان عليّ أنْ أَثِقَ بِاللَّهِ بَيْنَمَا كُنْتُ أَحَاوِلُ أَنْ أُعَلِّمَ مُؤْتَمَرًا عَنِ الثِّقَةِ بِاللَّهِ! بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَا كُنَّا نَعَانِي مِنْهُ بِالْفِعْلِ. أضاءت إدارة السّاحة لوحة الإعلانات في الخارج؛ وعليها هذه الرسالة: "لقد تَمَّ إلْغَاءُ مُؤْتَمَرِ جويس ماير." كانوا يعتقدون أنهم يُسَاعِدُونَنَا. لكنهم نسوا أن يقولوا إنه تَمَّ إلْغَاؤُهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَقَطْ؛ وَإِنَّهُ سَيَبْدَأُ مَرَّةً أُخْرَى فِي الصَّبَاحِ التَّالِي. تخيلتُ نَفْسِي فِي تِلْكَ السّاحَةِ الضَّخْمَةِ أُعَلِّمُ لِمَقَاعِدِ فَارِغَةٍ. شعرتُ بثورة شديدة في نفسي. لكنني استمررتُ أقول: "يَا رَبُّ إِنِّي أَضَعُ ثِقَتِي فِيكَ." وانتهى الأمر بحصولنا على مؤتمر رائع.

أثناء التعليم. استخدمتُ دعمًا بصريًّا لأُساعدَ الناسَ ليفهموا مبدأ الثِّقَةِ فِي اللَّهِ، وَفِعْلَ الْخَيْرِ بِشَكْلِ أَفْضَلٍ. قام فريق البناء لدينا بصُنْعِ زَجَاجَتِي دَوَاءِ طَوْلِهِمَا حَوَالِي ثَلَاثَةِ أَقْدَامٍ. وَضَعْنَاهُمَا عَلَى طَاوِلَةٍ؛ وَكَتَبْنَا عَلَى إِحْدَاهُمَا "ثِقْ بِاللَّهِ"؛ وَعَلَى الْأُخْرَى "افْعَلِ الْخَيْرَ." وَكَانَ مَكْتُوبًا عَلَيْهِمَا أَيضًا أَنَّ عِدَّةَ مَرَّاتٍ إِعَادَةُ الْمَلءِ غَيْرِ مَحْدُودَةٍ؛ وَأَنَّهُ يُمَكِّنُ لِلْمَرِيضِ أَنْ يَتَنَاوَلَهُمَا كُلَّمَا احْتِاجَ. أَيًّا كَانَتِ الْجُرْعَةُ لَنْ تَكُونَ جُرْعَةً زَائِدَةً أَبَدًا مِنْ أَيِّ مِنْهُمَا.

وبينما كُنْتُ أُعَلِّمُ عَنِ كَيْفِيَةِ التَّعَامُلِ مَعَ التَّجَارِبِ وَالْمِحْنِ وَالْمَشَاكِلِ

والمآسي من كلِّ نوع. قلتُ: "عندما تظهر الأعراض تناول بسرعة جرعة من 'ثق بالله'، واتبعها بسرعة بجرعة من 'افعل الخير'." كَانَّ واضِحًا أَنَّ هذا المِثَال يُسَاعِدُ النَّاسَ بِحَقِّ لِيَفْهَمُوا أَنَّ فِعْلَ الْخَيْرِ لِلْآخِرِينَ؛ مَصْحُوبًا بِثِقَتِنَا فِي صِلَاحِ اللَّهِ مَعْنَا؛ هُوَ الدَّوَاءُ الَّذِي نَحْتَاجُهُ لِنَفُوسِنَا.

تَعْمَلُ كَلِمَةُ اللَّهِ عَمَلَ الدَّوَاءِ لِنَفُوسِنَا إِنْ فَعَلْنَا مَا تَقُولُهُ. إِنَّ الدَّوَاءَ لَا يُسَاعِدُنَا إِلَّا إِنْ تَنَاوَلْنَاهُ، وَكَلِمَةُ اللَّهِ لَا تُسَاعِدُنَا إِنْ كُنَّا نَعْرِفُهَا دُونَ أَنْ نَعْمَلَ بِهَا. مِثْلًا، إِنْ فَعَلْتَ خَطِيئَةً، يُمَكِّنُكَ أَنْ تَفْعَلَ مَا يَفْعَلُهُ النَّاسُ عَادَةً؛ وَتَشْعُرُ بِالذَّنْبِ وَالْإِدَانَةِ، أَوْ يُمَكِّنُكَ أَنْ تَتَنَاوَلَ مِنْ دَوَاءٍ "يَا رَبُّ سَامِحْنِي" وَسَيُشْفِي نَفْسَكَ. إِنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ أَحَدٌ، أَوْ أَذَاكَ، بَدَلًا مِنْ أَنْ تَغْضَبَ وَتَتَضَايِقَ يُمَكِّنُكَ أَنْ تَتَنَاوَلَ جَرَّةَ صَحِيَّةٍ مِنْ دَوَاءٍ "لَقَدْ سَامَحْتُكَ" وَتَسْتَمِعَ بِيَوْمِكَ. إِنْ نَظَرْنَا إِلَى كَلِمَةِ اللَّهِ كَدَوَاءٍ لِنَفُوسِنَا، نَجِدُ مَعُونَةَ فِي كُلِّ الْمَشَاكِلِ الَّتِي نُوَاجِهُهَا فِي الْحَيَاةِ.

دَعُونِي أَقُولُ مَرَّةً أُخْرَى إِنِّي أَوْمَنُ أَنَّ الثِّقَةَ بِاللَّهِ وَفِعْلَ الْخَيْرِ دَوَاءٌ لِنَفُوسِنَا، وَأَنْصَحُكَ بِشِدَّةٍ أَنْ تَأْخُذَ مِنْهَا قَدْرًا مَا تَحْتَاجُ، وَكَلِمًا تَحْتَاجُ. لَكِنْ يَجِبُ أَنْ أَحْذَرَكَ أَنَّ هُنَاكَ أُنَارًا جَانِبِيَّةً! وَهِيَ سَلَامٌ وَفَرَحٌ وَثِبَاتٌ وَثِقَةٌ وَمَكَافَاتٌ فِي السَّمَاءِ.

ما الذي يرتقي ليكون أعمالًا صالحة؟

القيام بعمل صالح يُمكن أن يكون بسيطًا كقول مجاملة؛ أو الاستماع لشخصٍ مجروح. كما يُمكن أن يتضمن إعطاء وقتك أو مادياتك لتُساعد شخصًا محتاجًا.

إِنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ مَلِيءٌ بِآيَاتٍ عَنِ مُسَاعَدَةِ الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ

وتشجيع المجروحين. في الواقع يقول الكتاب المقدس إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ
 "نَسْعَى" للقيام بالأعمال الصالحة وأعمال البر. يعني هذا أن نبحث عن
 طُرُقٍ نُسَاعِدُ بِهَا الْأَخْرَيْنَ.

"وَاحِدَرُوا مِنْ أَنْ يُجَارِيَ أَحَدُ الشَّرِّ بِمِثْلِهِ. بَلِ اسْعَوْا دَائِمًا كُلُّ
 وَاحِدٍ إِلَى خَيْرِ أَخِيهِ وَخَيْرِ كُلِّ النَّاسِ."

(١ تسالونيكي ٥ : ١٥)

هل تريد أن تكون لك فائدة في هذا العالم؛ وتعيش بهدف يُشبعك؟ قال
 تشارلز ديكنز Charles Dickens: "لا يُوجد أحد بلا فائدة في هذا العالم ما
 دام يخفف أحمال شخص آخر." ٤

بأمرنا الله ليس فقط أن نُسَاعِدَ المجرحين. بل أن نبارك أعداءنا أيضًا!
 لماذا يجب أن نعمل ذلك؟ لأننا نغلب الشر بالخير (انظر روما ١٢ : ٢١).
 لقد مُنِحنا سلاحًا سِرِّيًّا يعمل كمعجزة عندما تأتي المَشَاكِلُ. أو عندما
 يجرحنا الناس. أو عندما يكون لدينا احتياجات شخصيّة - افعَلِ الْخَيْرَ!

أحد أول الأمور التي يجب أن نفعلها عندما يجرحنا. أو يظلمنا أحد؛ هي
 أن نُصَلِّيَ مِنْ أَجْلِهِ. كيف نُصَلِّي؟ اطلب من الله أن يسامحه. وأن يفتح
 عينيه؛ ليقدر أن يرى كيف أن تصرفه لا يرضي الله. إن لم يكن مُخَلِّصًا. صلِّ
 من أجل خلاصه. عندما تفعل ذلك، ستطلق نفسك من بؤس الغضب منه؛
 والانزعاج بسبب ما فعله. ربما لا تشعر شعورًا مُخْتَلِفًا تجاهه في الحال.
 لكن من الصعب جدًّا أن تظل غاضبًا من شخص نُصَلِّيَ مِنْ أَجْلِهِ بانتظام.

يجب أن نقدّم أنفسنا لعمل الأعمال الصالحة في كلِّ الأوقات. لكن هناك ميل أن نلتف في الداخل؛ ونتوقف عن التواصل عندما نكون مجروحين. هذا خطأ كبير. من المهم دائمًا أن نفعل الخير. لكنه مهم بشكل خاص عندما تكون لديك مشاكل خاصة بك. كان يسوع يواجه موتًا مؤلمًا بشكل لا يُصدّق، لكنه استمر خيرًا مع الآخرين؛ حين طلب من أبيه أن يسامح أولئك الذين كانوا يصلبونه؛ وحين طيّب خاطر المجرم الذي كان يُصلب معه. وطلب المساعدة (انظر لوقا ٢٣: ٣٢-٤٣). لا أعرف عنكم، لكنني عندما أواجه مشاكل خاصة بي، غالبًا ما يكون صعبًا ألا أضجر من الآخرين. تعلمت على مرّ السنين أنّ هذا أفضل وقت لممارسة اللطف، وفعل الخير. عندما لا تكون لدينا مشاكل، لا تتطلب معاملة الناس بلطف؛ أي ضبط نفس. لكن الثقة بالله، والاستمرار في فعل مشيئته ونحن مجروحين، يتطلب الكثير من ضبط النفس.

أحب مزمو ٣٧ وأقرأه كثيرًا. تعطينا الآيات من ١ إلى ٥ هذه الحكمة:

"لَا يُزَعِّجُكَ الْأَشْرَارُ. وَلَا تُحْسِدُ مَنْ يَقْتَرِفُونَ الْأَثَامَ. لِأَنَّهُمْ سَرْعَانَ مَا يُدْبُلُونَ وَيَمُوتُونَ. يَدْبُلُونَ مِثْلَ الْحَشَائِشِ الَّتِي تَنْمُو فِي الْحُقُولِ."

"عَلَى اللَّهِ اتَّكِلْ. وَافْعَلِ الْخَيْرَ... تَلَدِّدْ بِاللَّهِ، وَسَيُعْطِيكَ مُسْتَهَيَاتِ قَلْبِكَ. سَلِّمْ لِلَّهِ حَيَاتَكَ، وَاتَّكِلْ عَلَيْهِ، وَهُوَ سَيَعْمَلُ."

هذه ليست مجرد مجموعة من الآيات التي يُمكننا أن نقرأها لتجعلنا نشعر شعورًا جيدًا. إنها تعطينا تعليمات يجب أن ننفذها. وعندما نفعل

إِنَّ عَمَلِ الْأَعْمَالِ
الصَّالِحَةِ هُوَ الْأَمْرُ
الَّذِي مِنْ خِلَالِهِ
سَيَعْرِفُ الْعَالَمُ أَنَّنَا
نَنْتَمِي إِلَى اللَّهِ.

ذلك ليس فقط ينتهي بنا الحال باحتياجاتنا
مُسَدَّدة، لكننا يُمكن أن نكون مِثَالاً جَيِّدًا
للذين لا يعرفون الله.

إِنَّ عَمَلِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ هُوَ الْأَمْرُ الَّذِي
مِنْ خِلَالِهِ سَيَعْرِفُ الْعَالَمُ أَنَّنَا نَنْتَمِي إِلَى اللَّهِ
(اُنْظُرْ ١ بَطْرُسُ ٢ : ١٢).

الوصية العُظمى

رغم أَنَّ كَلَّ وصية من الله هي عظيمة ومهمة، إِلَّا أَنَّ يَسُوعَ قَالَ إِنَّ
الوصية العُظمى، أو الأهم، هي أن نسلك في المَحَبَّة - علينا أن نحب الله،
ونحب الناس كما نحب أنفسنا (اُنْظُرْ مَتَّى ٢٢ : ٣٦-٣٩). وقال أيضًا إن بهذه
المَحَبَّة سيعرف العالم أننا تلاميذه.

"لِهَذَا هَا أَنَا أُعْطِيكُمْ وَصِيَّةً جَدِيدَةً، وَهِيَ أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ
بَعْضًا كَمَا أَحْبَبْتُمْ أَنَا. أَظْهِرُوا مَحَبَّةَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ.
فَبِهَذَا سَيَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلَامِيذِي. (إِنْ اسْتَمَرْتُمْ فِي
إِظْهَارِ الْمَحَبَّةِ بَيْنَكُمْ). يوحنا ١٣ : ٣٤-٣٥

لا يُمكن أن نتحدَّث عن المَحَبَّة دون أن نتحدَّث عن الأعمال الصَّالِحَة؛
لأن هذه هي الطريقة التي بها يرى الناس المَحَبَّة. إِنَّ المَحَبَّةَ لَيْسَتْ مُجَرَّدَ
نظرية، أو تعليم يُشكِّلُ عظة مؤثرة؛ إنها حقيقيَّة وعملية. المَحَبَّةُ شَيْءٌ
مَرْتَبِيٌّ ومحسوس، ولها قوة فاعلة معجزية في تغيير حياة الناس.

يَشْكُ الْعَالَمُ فِي شَهَادَتِنَا بِسَبَبِ كُلِّ تِلْكَ الْإِنْقِسَامَاتِ الَّتِي بَيْنَنَا. إِنَّ اسْتَطَاعَتِ الْكَنِيْسَةِ أَنْ تَتَّوَحَّدَ، سَتَكُونُ شَهَادَتِنَا لَا رَيْبَ فِيهَا! تَجِدُ الْمَحَبَّةَ وَسِيْلَةً لِلاتِّفَاقِ؛ وَلَا تَبْحَثُ عَنْ أُمُورٍ لَتَخْتَلِفَ عَلَيْهَا.

إِنَّ الْعَائِلَةَ الَّتِي عَلَى وِفَاقٍ مَعَ بَعْضِهَا عَائِلَةٌ قَوِيَّةٌ! تَعَلَّمْنَا أَنَا وَدَيْفٌ فِي بَدَايَةِ خِدْمَتِنَا أَنَّنَا لَا يُمَكِّنُ أَنْ نَكُونَ نَاجِحِينَ بَيْنَمَا يُوجَدُ خِلَافٌ فِي قَلْبِنَا. وَقَدْ عَمَلْنَا بِجِدِّ، وَبَدَّلْنَا جِهَدَنَا؛ لِنُبْقِيَ الْخِلَافَ بَعِيدًا عَنْ حَيَاتِنَا، وَقَدْ رَأَيْنَا مَبَاشِرَةَ الْقُوَّةِ الَّتِي يَمْنَحُهَا السَّلَامُ وَالْوَحْدَةُ.

تجد المحبة وسيلة للاتفاق؛ ولا تبحث عن أمور لتختلف عليها.

لَا تَشَارِكُ فِي أَيِّ خِلَافٍ فِي أَسْرَتِكَ أَوْ بَيْتِكَ أَوْ مَنَاطِقَتِكَ؛ أَوْ فِي كَنِيْسَتِكَ، أَوْ فِي مَكَانٍ عَمَلِكَ. مَغْفِرَةٌ الْإِسْآءَةِ وَتَجَنُّبُ الْخِلَافِ يُعْطِي مَجْدًا وَسَمْعَةً حَسَنَةً (انظُرْ أمثال ١٩: ١١). عِنْدَمَا نَكْرَمُ اللّٰهَ بِأَنْ نَسِيرَ فِي طُرُقِهِ، يَكْرَمُنَا عَلْنَا فِي حَيَاتِنَا.

يَتَطَلَّبُ السَّلُوكُ فِي الْمَحَبَّةِ أَنْ نَقُومَ بِاخْتِيَارَاتٍ تُسَاعِدُنَا عَلَى أَنْ نَعِيشَ بِطَرِيقَةٍ تَتَجَاوَزُ مَشَاعِرِنَا. لَا يُمَكِّنُنَا أَنْ نَفْعَلَ كُلَّ شَيْءٍ "نَشْعُرُ" أَنَّنَا يَجِبُ أَنْ نَفْعَلَهُ؛ وَفِي الْوَقْتِ نَفْسُهُ نَطِيعُ هَذِهِ الْوَصِيَّةِ. رُبَّمَا لَا "أَشْعُرُ" دَائِمًا أَنَّ عَلَيَّ أَنْ أَقْضِيَ وَقْتًا لِأَقْدِّمُ رَحْمَةً لِشَخْصٍ آخَرَ. لَكِنْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ أَفْعَلُ ذَلِكَ، أَكُونُ سَالِكَةً فِي الْمَحَبَّةِ. إِنَّ الْمَحَبَّةَ لَيْسَتْ شَعُورًا يَنْتَابِنَا، لَكِنْهَا اخْتِيَارٌ نَقُومُ بِهِ بِخُصُوصِ الطَّرِيقَةِ الَّتِي سَنَتَعَامَلُ بِهَا مَعَ النَّاسِ.

نقوم به بخصوص الطريقة التي سنتعامل بها مع الناس.

إحدى الآيات التي تُساعدني لأستمر سالكة في المَحَبَّة هي متى ٧: ١٢:
 "فَبِالْكَيْفِيَّةِ الَّتِي تُحِبُّ أَنْ يُعَامَلَكَ الْآخَرُونَ بِهَا، هَكَذَا عَلَيكَ أَنْ تُعَامِلَهُمْ.
 هَذِهِ هِيَ خُلَاصَةُ شَرِيعَةِ مُوسَى وَتَعْلِيمِ الْأَنْبِيَاءِ."

من السهل أن نرى أن سلوكنا سيتغير؛ إنْ عامَلنا الآخرين بالطريقة
 التي نحب أن نُعامَل بها. إنها وصية بسيطة، يُمكننا أن نطبقها في
 حياتنا اليومية. عندما يحدث موقف يجعل من الصعب عليك أن تُعامل
 شخصًا ما معاملة جيدة، فقط اسأل نفسك: "ماذا كنتُ سأريد أن يفعل
 هذا الشخص معي إنْ كنتُ أنا مَنْ يحتاج رحمة؟".

كثيرًا ما تكون أيامنا مليئة بمضايقات طفيفة. ربما نكون منتظرين
 مكانًا معيَّنًا في موقف سيارات في مركز تسوق مزدحم؛ ثم يدخل شخص
 بسرعة إلى المكان قَبْل أن نصل نحن إليه. في الحال نشعر بالضيق؛ وربما
 الغضب أيضًا؛ بسبب شعورنا بوقاحة ذلك الشخص. ربما نصرخ، أو نطلق
 بوق سيارتنا، أو نفعل أمورًا شريرة أخرى. لكن ولا واحدةً من هذه الأمور
 تجعلنا نشعر بتحسّن، وهذه الأمور تُنزلنا إلى مستواه. سيُباركك الله
 بطريقة ما إنْ وثقتَ به، واستمرتَ في فِعْل الخير!

انظر إلى كلِّ هذه المضايقات والأحداث غير المدبَّرة كُفْرَص لتقديم
 المَحَبَّة؛ بدلًا من أن تسمح لها بأن تغضبك.

يُعطينا الكتاب تعريفًا رائعًا للسلوك بالمَحَبَّة في ١ كورنثوس ١٣: ٤-٨.
 من فضلك اقبض بعض الوقت في النظر إلى كلِّ نقطة من هذه النقاط:
 واسأل نفسك إنْ كنتَ تُريد أن تنمو في أيِّ من هذه النواحي:

- * المَحَبَّة تتحمل طويلاً وتصبر وتشفق.
- * المَحَبَّة لا تحسد أبداً ولا تهيج بالغيرة.
- * المَحَبَّة لا تتباهى ولا تنتفخ بالكبرياء ولا تحتد.
- * المَحَبَّة لا تغتر (تتغطرس وتنتفخ بالكبرياء).
- * المَحَبَّة ليست فظة ولا تتصرف دون لياقة.
- * المَحَبَّة لا تُصْر على حقوقها وطُرقها؛ لأنها لا تسعى إلى تحقيق غاياتها الشخصية.
- * المَحَبَّة ليست سريعة الاهتياج. ولا تُحزن. ولا تستاء.
- * المَحَبَّة لا تحفظ سجلاً للإساءات ولا تنتبه للأخطاء المؤلمة.
- * المَحَبَّة لا تفرح بالظلم. بل تفرح عندما يسود الحق والصدق.
- * المَحَبَّة تحتمل أي شيء وكلَّ شيء.
- * المَحَبَّة تصدق وجود الأفضل في كلِّ شخص.
- * المَحَبَّة لا تتوقف ولا تستسلم؛ ولكنها دائماً مليئة بالأمل. وتحتمل كلَّ شيء دون أن تضعف.
- * المَحَبَّة لا تسقط أبداً.

مُسَاعَدَةُ الْفُقَرَاءِ

الكتاب المقدس لديه الكثير ليقوله عن مُسَاعَدَةِ الْفُقَرَاءِ. وهناك

بعض الوعود الرائعة لأولئك الذين يُسَاعِدُونَهُمْ. إليكم أحد الوعود:

"مَنْ يُكْرِمُ الْفَقِيرَ يُقْرِضُ اللَّهَ، وَسَيُكَافِئُهُ عَلَى عَمَلِهِ."

(أمثال ١٩: ١٧)

قال الرَّسُولُ يَعْقُوبُ: "فَالدِّيَانَةُ (الأفعال الخارجية التي تعبر عن الدين). تَتَضَمَّنُ مَا يَلِي: أَنْ يَعْتَنِيَ الْمُؤْمِنُ بِالْأَيْتَامِ وَالْأَرَامِلِ فِي ظُرُوفِهِمُ الْقَاسِيَةِ . . ." (يعقوب ١: ٢٧). إِنَّ الدِّيَانَةَ الْحَقِيقِيَّةَ يَجِبُ أَنْ يُعَبَّرَ عَنْهَا دَائِمًا بِأَفْعَالٍ خَارِجِيَّةٍ: لِأَنَّ الْمَسِيحِيَّةَ الْحَقِيقِيَّةَ تَوْثِرُ لَيْسَ فَقَطْ عَلَى قَلْبِ الْإِنْسَانِ، بَلْ سَلُوكِهِ أَيْضًا. إِنَّ اللَّهَ شَخْصٌ يُحِبُّ الْعَطَاءَ؛ وَأَيُّ شَخْصٍ لَهُ عِلَاقَةٌ بِهِ سَيُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَ أَيْضًا. إِنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ هُوَ الْمَعِينُ، وَأَيُّ شَخْصٍ يَمْتَلِئُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ سَيَكُونُ مَعِينًا أَيْضًا.

هناك تدريبٌ صحيٌّ فيه نَسألُ أنفسنا: "ما الذي أفعله لأُساعدَ شخصًا آخَرَ؟" هل يُمكنك أن تفكر في آخر شخص ساعدته؟ بالطبع نحن عادة ما نُسَاعِدُ عَائِلَاتِنَا فِي الْأُمُورِ الَّتِي نَفْعَلُهَا يَوْمِيًّا. أَوْ نَقْدِمُ هَدَايَا فِي عِيدِ الْمِيلَادِ. لَكِنِّي أَتَحَدَّثُ عَنْ أَمْرٍ يَتَجَاوَزُ ذَلِكَ. أَتَحَدَّثُ عَنِ الْحَيَاةِ السَّعِيدَةِ الَّتِي لَهَا مَعْنَى، لَا نَجْدُهَا فِيهَا نَحْصَلُ عَلَيْهِ، بَلْ فِيهَا نَعْطِيهِ.

أُتَحَدَّثُ عَنْ أَنْ تَعِيشَ لَكِي تَعْطِي. الْحَيَاةُ السَّعِيدَةُ الَّتِي لَهَا مَعْنَى لَا نَجْدُهَا فِيهَا نَحْصَلُ عَلَيْهِ بَلْ فِيهَا نَعْطِيهِ.

كَمْ شَخْصٍ نَعْرِفُهُ يَحْتَاجُ مُسَاعَدَةً، وَلَمْ نَفْكَرْ حَتَّى فِي أَنْ نَقْدِمَ نَكُونُ مَنْ يَجِبُ أَنْ

يُسَاعِدَهُ؟ عِنْدَمَا نَبْتَدِئُ نَسْأَلُ هَذِهِ الْأَسْئَلَةَ الصَّعْبَةَ، يُمَكِّنُنَا أَنْ نَجِدَ أَنْ

إجاباتنا محبِطة. لكن عندما أُحْبِط في نفسي، يُمكنني دائمًا أن أُعيد ضبطها، وأبدأ في فِعْل الصواب.

أريد أن أشجِّعك أن تُساعد المحتاجين، وأن تتعمد فِعْل ذلك. ابحث عنهم، وحاول أن تُساعدهم بأيَّة طريقة. من السهل أن تجد عذرًا ولا تفعل شيئًا، لكن هذا ليس السلوك الصحيح من شخص مُؤمن. إليكم بعض الأعدار التي كنتُ أقولها في الماضي؛ أو كنتُ أسمع الآخرين يقولونها:

* "أنا مشغول جدًّا."

* "إنَّ مشاكليهم بسبب أخطائهم."

* "لديَّ مشاكلي الخاصَّة."

* "لا أريد أن أتدخل."

* "لا أعرف ماذا على أن أفعل."

بدلًا من أن نجد أسبابًا لعدم قدرتنا على المُساعدة، لِمَ لا نبحث بجهد عن طُرُق يُمكننا بها أن نُساعد؟ ربما تعرف شخصًا لديه احتياج لا يُمكنك أن تسدده وحدك، لكن ربما تكون الشخص الذي عليه أن يعدَّ مجموعة من الناس ليعملوا معًا؛ لمساعدة ذلك الشخص. أقل ما يجب أن نفعله هو أن نُصَلِّي طالبين من الله أن يكشف لنا أي شيء يُريد مِنَّا فِعْله؛ لمساعدة مَنْ نعرفهم من المجروحين والمحتاجين. لا تنسَ أبدًا أنك في كلِّ مرَّة تفعل شيئًا لطيفًا لأجل شخصٍ آخر. فأنت بذلك تُساعد نفسك أيضًا.

مؤخرًا، حضرَ ثلاث نساء مؤتمرنًا، وسمعني أتحدِّث عن الاحتياج

للمُسَاعَدَةِ فِي حَفْرِ آبَارٍ فِي دَوْلِ الْعَالَمِ الثَّلَاثِ؛ حَيْثُ لَيْسَ لَدَى النَّاسِ طَرِيقَةٌ لِلْحَصُولِ عَلَى الْمِيَاهِ إِلَّا بِالسَّفَرِ لِسَاعَاتٍ، وَأَحْيَانًا لِيَوْمٍ كَامِلٍ، لِيَحْصِلُوا عَلَى الْمَاءِ، وَعِنْدَمَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ، عَادَةً مَا تَكُونُ الْمِيَاهُ مَتَسَخَّةً؛ وَبِهَا أَمْرَاضٌ. كَانَ لَدَيْنَا امْتِيَازٌ تَوْفِيرِ سَبْعِمِئَةِ مِنْ تِلْكَ الْآبَارِ، وَشَاهَدْنَاهَا وَهِيَ تُغَيِّرُ قَرَى بِأَكْمَلِهَا.

كَانَتِ النِّسَاءُ الثَّلَاثُ يُرِدْنَ أَنْ يَفْعَلْنَ شَيْئًا، لِذَا جَمَعْنَ وَاحِدًا وَعِشْرِينَ أُسْرَةً؛ وَأَقَمْنَ سَوْقًا خَيْرِيًّا ضَخْمًا. فِي الْمَوْتَمَرِ التَّالِيِ الَّذِي حَضَرْنَهُ، أَحْضَرْنَ تَقْدِيمَةً أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِي دُولَارٍ لِلْمُسَاعَدَةِ فِي حَفْرِ بئرٍ؛ وَبِنَاءِ كَنِيْسَةِ بَجَانِبِهِ. نَحْنُ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ نُوْفِرُ مِيَاهَ طَبِيعِيَّةٍ؛ وَمِيَاهَ الْكَلِمَةِ، وَكِلَاهُمَا يُعْطِي حَيَاةً.

”أَعْطُوا الْآخِرِينَ فَتَعْطَوْا. فَسَيَضَعُونَ فِي أَحْصَانِكُمْ كَيْلًا
كَبِيرًا مُلَبَّدًا مَهْرُورًا فَائِضًا. فَبِالْكَيْلِ الَّذِي تَكِيلُونَ بِهِ لِلْآخِرِينَ
سَيُكَالُ لَكُمْ.“ (لوقا ٦: ٣٨).

لَا أُوْمِنُ أَنَّ مَا يَحْفَرُنَا لِلْعَطَاءِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ حَصُولَنَا عَلَى شَيْءٍ فِي الْمَقَابِلِ. يَجِبُ أَنْ نَعْطِيَ؛ لِأَنَّنا نَرْغَبُ فِي مُسَاعَدَةِ الْآخِرِينَ، لَكِنْ كَلِمَةُ اللَّهِ تَعُدُّنَا بِأَنَّنا عِنْدَمَا نَفْعَلُ ذَلِكَ، سَيُعَادُ لَنَا مِضَاعَفًا بِطُرُقٍ مُخْتَلِفَةٍ.

قَالَ أَيُّوبُ جُمْلَةً جَوْهَرِيَّةً لِلْغَايَةِ. قَالَ إِنَّهُ إِنْ لَمْ يَسْتِخْدَمْ ذِرَاعَهُ لِمُسَاعَدَةِ الْمُحْتَاجِينَ، فَلْيَنْكَسِرْ مِنْ مَفْصَلِهِ (أَنْظُرْ أَيُّوبَ ٣١: ١٦-٢٢).

الآيَاتُ الَّتِي أُتْحَدَّتْ عَنْهَا كَانَ لَهَا تَأْثِيرٌ قَوِيٌّ فِي حَيَاتِي، وَأَصْلِي أَنْ تَأْخُذَ وَقْتًا لِتَقْرَأَهَا عِدَّةَ مَرَّاتٍ قَبْلَ أَنْ تُكْمِلَ. أَنَا وَأَنْتَ لَدَيْنَا الْقُدْرَةُ عَلَى تَخْفِيفِ الْمُعَانَاةِ، وَلَا يَجِبُ أَنْ نَضَيِّعَ آيَةَ فُرْصَةٍ يُمَكِّنُنَا أَنْ نَفْعَلَ فِيهَا ذَلِكَ.

قال جون بانيان John Bunyan: "لن تبدأ حياتك اليوم إلا عندما تفعل شيئًا ما لشخص لا يمكنه أن يردَّ لك الجميل."

اجعل الله يبتسم

من المذهل أن نعتقد أن بإمكاننا أن نجعل الله يبتسم، لكن الكتاب المقدس يقول إن ذلك ممكن. صلى داود هذه الصلاة: "أشْرِقْ بِنُورِ حَضْرَتِكَ (ابتسم) عَلَى خَادِمِكَ، وَفَهِّمْنِي أَحْكَامَكَ" (مزمو ١١٩: ١٣٥).

عندما نعمل مشيئة الله، يبتسم! أعتقد أنه يبتسم أكثر عندما تتضمن طاعتنا مُسَاعَدَةَ الْآخَرِينَ؛ لأننا عندما نفعل ذلك، نتمثل به. سمعتُ ابني يقول عن أولاده:

في كلِّ مَرَّةٍ تَضَع
ابتساماً على وجه
شخصٍ آخَرَ، أَعْتَقِدُ أَنَّ
اللهُ أَيْضًا يَبْتَسِمُ!

"يروني أفعل ذلك وهم الآن يقلدونني." وعندما يقول لي ذلك عادة ما يكون مبتسمًا!

الفصل السابع

في كلِّ الأوقات

"ثَقُّوا بِهِ أَيُّهَا الْبَشَرُ. اسْكُبُوا قُلُوبَكُمْ أَمَامَهُ. اللَّهُ هُوَ مَلَجَانَا
(قلعة ببرج عال). سِلاَّهُ [توقف، وفكّر في هذا بهدوء]!

(مزمو ٦٢: ٨)

هناك واحد وسبعون آية في كتاب المزامير؛ وثلاث في كتاب حبقوق؛
تظهر فيها كَلِمَة "سِلاه". وبما أنَّ الآية السابقة عن "الثقة بالله في كلِّ
الأوقات" هي واحدة من آيات الكتاب المُقدَّس الأربعة والسبعين؛ التي
تستخدم تلك الكَلِمَة، رأيتُ أننا يجب أن نتوقف فترة كافية؛ لنذكر أنَّ الله
يقول: هذه الآية قِيَّمة جدًّا، ويجب أن نتوقف عندها، ونفكر فيها..

في السنوات الأولى لمسيرتي مع الله، ركزتُ على أن أثق فيه لِيُساعدني
في كلِّ مرَّة أواجه فيها مُشكلة؛ تُشعرنني أنني لا أستطيع أن التصرف
معها. لكن بعد سنواتٍ قليلة، بدأتُ أدرك أنني لا أملك القدرة على فِعْل أي
شيءٍ دونه، لذا فإنني الآن أركِّز على أن أتعلَّم كيف أثق فيه في كلِّ الأوقات.
الطريقة التي أفعل بها ذلك هي أن أعيش بتوجه وأثق في أنَّ الله معيني.
نادرًا ما لا أقول عِدَّة مرَّات في اليوم: "أنا أثق فيك يا رَبُّ في كلِّ شيءٍ." إنَّ

الاعتراف بثقتك في الله هو نوع من التسبيح. أنا أثق في الله في أمور معيّنة. أنا على علم بأنها تحدث في حياتي؛ وحياة الآخرين. لكنني أثق فيه أيضًا في "كل شيء": أنا لست على علم به حتى الآن.

من الجهل أن تنتظر حالة طوارئ؛ أو أن تواجهنا مُشكلة خطيرة لنقرر أن نثق في الله. يُمكننا أن نعيش في توجّه الثقة. وعندما نفعل ذلك، نسير بالإيمان. لا يضمن هذا أننا لن نواجه أيّة مُشكلة في الحياة، لكنه يدل على أننا نستند على الله: لِيُسَاعِدَنَا فِي التَّغَلُّبِ عَلَى مِصَاعِبِنَا. حَتَّى إِنْ اخْتَارَ الْإِلَهَ أَنْ يَنْقِذَنَا مِنْهَا.

عندما كَانَ يَسُوعُ فِي بَسْتَانَ جَسْثِيمَانِي، كَانَ عَلَى عِلْمٍ بِالصَّعُوبَةِ وَالْمُعَانَاةِ وَالتَّجْرِبَةِ الَّتِي كَانَ هُوَ وَتِلَامِيذُهُ عَلَى وَشَكِّ مَوَاجِهَتِهَا. قَالَ لِتِلَامِيذِهِ "صَلُّوا لِكَيْ لَا تَجْرَبُوا" (لوقا ٢٢ : ٤٠). لَكِنْهُمْ فَضَّلُوا أَنْ يَنَامُوا. يَقُولُ الْكِتَابُ إِنَّهُمْ نَامُوا مِنَ الْحُزْنِ (انظُرْ لوقا ٢٢ : ٤٥). رُبَمَا كَانُوا مِنْهَكِينَ مِنَ الْقَلْقِ وَالْخَوْفِ، أَوْ رُبَمَا كَانَ النُّومُ هُوَ طَرِيقَتَهُمْ لِتَجَنُّبِ الْمُسْكَةِ. لَكِنْ يَسُوعُ قَضَى وَقْتَهُ وَهُوَ يَصَلِّي بِحِمَاسٍ. كَانَ يَثِقُ مَسْبَقًا أَنَّ أَبَاهُ إِذَا سَيَزِيلُ الْمُعَانَاةَ الْقَادِمَةَ، أَوْ سَيُعْطِيهِ الْقُوَّةَ لِيَجْتَازَهَا.

تَرَكَ يَسُوعُ الْإِخْتِيَارَ لِلَّهِ. وَبَدَلًا مِنْ أَنْ يَطْلُبَ أَنْ تَحَقِّقَ مَشِيئَتَهُ هُوَ، أَكْمَلَ صَلَاتَهُ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ: "لَكِنْ لِيَكُنْ مَا تُرِيدُهُ أَنْتَ (دَائِمًا)، لَا مَا أُرِيدُهُ أَنَا (لوقا ٢٢ : ٤٢). وَبَعْدَمَا فَعَلَ ذَلِكَ، أُرْسِلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ لِيَقْوِيَهُ فِي الرُّوحِ! (انظُرْ لوقا ٢٢ : ٤٣).

إِنَّ أَبَانَ السَّمَاوِي لَيْسَ فَقَطْ مَنْقِدْنَا، وَلَكِنَّهُ مَقْوِينَا أَيْضًا! إِنْ لَمْ يَعطِكَ
 إِنْقَاذًا فِي الْحَالِ، سَيَقْوِيكَ إِنْ كُنْتَ مُسْتَعِدًّا لِتَصْبِرَ، وَتَسْتَمِرَّ وَاثِقًا فِيهِ أَنَّهُ
 سَيَفْعَلُ الصَّوَابَ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ.

إِنْ كَانَتْ فِي حَيَاتِنَا نِقَاطُ ضَعْفٍ نَعْرِفُهَا جَيِّدًا؛ سَيَكُونُ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ
 نَسْتَمِرَّ وَاثِقِينَ فِي مَسَاعِدَةِ اللَّهِ لَنَا؛ وَفِي أَنَّهُ سَيُجَنِّبُنَا التَّجْرِبَةَ فِي هَذِهِ
 الْمَنَاطِقِ؛ بَدَلًا مِنْ أَنْ نَصِيرَ فَجَاءَةً فِي وَسْطِ التَّجْرِبَةِ.

إِحْدَى الضَّعْفَاتِ الَّتِي كَانَتْ فِيَّ لِسَنِينَ كَثِيرَةً هِيَ أَنَّنِي كُنْتُ إِمَّا أَتَحَدَّثُ
 كَثِيرًا، أَوْ أَقُولُ كَلَامًا بِلَا تَفْكِيرٍ. بِالطَّبَعِ كَانَ هَذَا يَسَبِّبُ مَشَاكِلَ كَثِيرًا
 جَدًّا. كَثِيرًا مَا صَلَيْتُ فِي الصَّبَاحِ قَبْلَ أَنْ أَبْدَأَ فِي التَّحَدُّثِ مَعَ الْآخِرِينَ كَيْ
 يُسَاعِدَنِي اللَّهُ لِأَكُونَ مُسْتَمِعَةً جَيِّدَةً؛ وَأَنْ أَسْتَعْمِدَ الْحِكْمَةَ فِي كُلِّ مَا
 أَقُولُهُ.

بفعل هذا، أنا لا أنتظر إلى أن أسبب
 مُشْكِلةً، وَأَكُونُ فِي حَاجَةٍ إِلَى التَّعَامُلِ
 مَعَ الْآثَارِ. أَنَا أَصَلِّي كَيْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ مِنْ
 الْإِسْتِسْلَامِ لِلتَّجْرِبَةِ حِينَ تَأْتِي. أَحَدُ أَحْكَمِ
 الْأُمُورِ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ نَفْعَلَهَا هِيَ أَنْ نَعْرِفَ
 ضَعْفَاتِنَا؛ وَنَتَكَلَّ عَلَى اللَّهِ لِيَمْنَحَنَا قُوَّةً كَيْ لَا نَسْتَسْلِمَ لَهَا. حَالِ بَطْرُسَ
 كَانَ سَيُصْبِحُ أَفْضَلَ إِنْ تَحَلَّى بِهَا يَكْفِي مِنَ الْحِكْمَةِ لِيَفْعَلَ ذَلِكَ.

أَحَدُ أَحْكَمِ الْأُمُورِ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ نَفْعَلَهَا هِيَ أَنْ نَعْرِفَ
 ضَعْفَاتِنَا؛ وَنَتَكَلَّ عَلَى اللَّهِ لِيَمْنَحَنَا قُوَّةً كَيْ لَا نَسْتَسْلِمَ لَهَا. حَالِ بَطْرُسَ
 كَانَ سَيُصْبِحُ أَفْضَلَ إِنْ تَحَلَّى بِهَا يَكْفِي مِنَ الْحِكْمَةِ لِيَفْعَلَ ذَلِكَ.

حَدَّرَ يَسُوعُ بَطْرُسَ وَقَالَ لَهُ إِنَّ إِبْلِيسَ كَانَ سَيَجْرِيهِ بِشِدَّةٍ، لَكِنْ بَدَلًا مِنْ
 أَنْ يَطْلُبَ مِنْ يَسُوعَ أَنْ يُسَاعِدَهُ، ظَنَّ بَطْرُسَ أَنَّهُ قَوِيٌّ جَدًّا. وَمِنَ الْمَسْتَحِيلِ

أن يسقط. انظر جيّدًا إلى هذه الفقرة الكتابيّة؛ وتأكد أنّ التوجه الذي يمثله بطرس ليس توجهك أبدًا:

”يَا سَمْعَانَ يَا سَمْعَانَ (بطرس). لَقَدْ اسْتَأْذَنَ الشَّيْطَانُ بِأَنْ يُغْرِبَكَكُمْ (جميعًا) كَمَا تُغْرِبُ الحُبُوبُ (أي يبعدكم عن قوة وحماية الله). لَكِنِّي صَلَّيْتُ مِنْ أَجْلِكَ (يا بطرس) لِكَيْلَا تَفْقِدَ إِيمَانَكَ. فَبَعْدَ أَنْ تَعُودَ إِلَيَّ، قَوِّ إِخْوَتَكَ. لَكِنَّ بَطْرُسَ قَالَ لَهُ: «يَا رَبُّ، أَنَا مُسْتَعِدٌّ أَنْ أَذْهَبَ مَعَكَ حَتَّى إِلَى السَّجْنِ وَإِلَى الْمَوْتِ.»»
(لوقا ٢٢: ٣١-٣٣)

أنكر بطرس المسيح ثلاث مرّات! (أنظر لوقا ٢٢: ٥٥-٦١). ربما لو أدرك بطرس ضعفه البشري. وطلب كلّ المُساعَدة التي يُمكن أن يحصل عليها من يسوع. لأصبح أقوى. لم يشأ يسوع أن ينقذه من التجربة. لكن أراد أن يمر بها بنجاح؛ ليُصبح لديه ما يكفي من الخبرة. التي تمكّنه من مُساعَدة الآخرين. لكن من الواضح أنّ بطرس ظنّ أنه أقوى من أن يُجرّب. كان هذا خطأ فادحًا. ومن الخطأ أن يُفكّر أيّ منّا بهذه الطريقة. إنّ المبالغة في تقدير ذواتنا أمر غير حكيم؛ يفتح الباب لسقوطنا (أنظر روما ١٢: ٣). يُجيبنا الله كثيرًا لدرجة أنه لا يُحب أن يتعامل مع كبريائنا لكي نتعلّم أن نعتمد عليه بالكامل.

يعلّمنا بولس أن نُصلّي في كلّ حين. وفي كلّ مناسبة. وفي كلّ موسم (أنظر أفسس ٦: ١٨). عندما نفعل ذلك، يُظهر أننا نضع ثقتنا في الله في كلّ حين.

اقض وقتًا لتعرف ما هي ضعفاتك. وتأكد أنك تثق في الله في كل حين ليقوبك فيها. ها هو وعد الله لنا:

”اسْتَجَبْتَ لِي يَوْمَ دَعَوْتُكَ، وَشَدَّدْتَ نَفْسِي (منحتني قوة وصلابة أمام التجربة).

(مزمو ١٣٨: ٣)

ربما تشعر أنك صليت لكي يُساعدك الله لتقاوم التجربة؛ لكنك ما زلت مستسلمًا لها. أحيانًا كنت أشعر بهذا الشعور. لكن إن استمررت واثقًا في الله، ستصبح أقوى وأقوى بمرور الوقت. امزج ثقتك بدراسة شاملة لكلمته لتحصل على أفضل نتيجة. قال يعقوب إنَّ الكَلِمَةَ بها قوة لخالص نفوسنا (أنظرُ يعقوب ١: ٢١).

عندما أصلي وأطلب من الله أن يُساعدني كي أتحكم في الكَلِمَات التي أقولها، أقتبس أيضًا آيات كتابيَّة مُختلفة من التي درستُها عن كَلِمَات الفم. وتكون صلاتي شيئًا كهذا:

”يا أبي. ساعدني اليوم لأتكلم كَلِمَات الفضيلة فقط. ساعدني لأكون مستمعة جيدة ولأفكر قبل أن أتكلم. أريد أن تمجدك كَلِمَاتي وتكون بركة لمن يسمعها. أنا أحتاج إليك يا رب. أنا لا شيء بدونك. قوني في كل ضعفاتي.“

ثم أصلي وأعترف بكَلِمَةَ الله؛ لأن تذكير الله بكلمته أمر قال إشعياء إننا يجب أن نفعله (أنظرُ إشعياء

٤٣: ٢٦). الله بكل تأكيد لا ينسى كلمته. إذن لماذا علينا أن نذكره بها؟
إلَيْكُمْ بَعْضِ الْأَسْبَابِ:

* عندما نذكر الله بكلمته، هذا يُظهر أننا نضع ثقتنا بالكمال فيه وفي
وعوده.

* النطق بالكلمة بصوت عالٍ أمر قويٌّ جدًّا؛ لأنها سيف الرُّوح الذي هو
أحد أسلحة حربنا الرُّوحية (انظر ٢ كورنثوس ١٠: ٤-٥؛ أفسس ٦: ١٧).

* يُساعد التحدث بكلمة الله في إكمال عملية تجديد أذهاننا (انظر روما
١٢: ٢). إنه جزء من عملية التأمل في كلمة الله، وهذا أمر يشجعنا الكتاب
المقدس كثيرًا لنفعله.

إلَيْكُمْ ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ آيَاتِي الْمَفْضَلَةِ بِخُصُوصِ كَلِمَاتِ الْفَمِ الَّتِي كَثِيرًا
مَا أَذْكَرُهَا فِي صَلَاتِي:

”أَعْنِي، يَا اللَّهُ، وَاضْبُطْ لِسَانِي. أَعْنِي فَأَنْتَبِهَ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْ
فَمِي.“

(مزمو ١٤١: ٣)

”يَا اللَّهُ، يَا صَخْرَتِي وَفَادِي، اقْبَلْ كَلِمَاتِ فَمِي وَأفْكَارَ قَلْبِي.“

(مزمو ١٩: ١٤)

”الْمَوْتُ وَالْحَيَاةُ تَحْتَ سُلْطَةِ اللِّسَانِ، وَمَنْ يُجِيبُ الْكَلَامَ
سَيَأْكُلُ ثَمَرَ كَلَامِهِ.“

(أمثال ١٨: ٢١)

يُمكنك أن تستخدم نَفْسَ فِكْرَةِ الصلاة هذه؛ وتُعرف بِكَلِمَةِ الله في آيَةٍ ناحية تحتاج فيها معونة. هل الغضب هو نقطة ضعفك؟ هل هو الإفراط في تناول الطعام؟ هل الأنانية؟ أيا كانت، يُمكنني أن أُعدَّكَ بأنَّ هناك آياتٍ كتابيَّةً فيها وعودٌ في كَلِمَةِ الله؛ يُمكنها أن تغطي نقطة ضعفك. استخدام البرامج الكتابيَّة المتاحة هذه الأيام على شبكة الانترنت يُسهِّل هذا الأمر. وأنا أشجِّعك بشِدَّة أيضًا أن تتذكر أنَّ الصواب الذي نفعه مرَّة أو مرتين ليس هو الذي يحضر النصر إلى حياتنا. أهم شيء هو أن تلتزم بالاستمرار في الاتكال على الله؛ وعلى كلمته في كلِّ حين، وسترى تغييرًا في الوقت المناسب.

الافتاء المُستمر

إنْ وثقنا في الله في كلِّ حين، إذن فبالطبيعة؛ يعني هذا أننا نثق في الله في أمور لا نفهمها، وأمور لا تبدو عادلة؛ بالضبط تمامًا كما نثق فيه في أي وقتٍ آخر. فَقَدْ تَعَلَّمْتُ أن الثِّقَةَ في الله عندما نحصل على ما نريده أمر، وأن نثق فيه عندما لا نحصل على ما نريده أمر مُختلِف تمامًا. على ما نريده أمر مُختلِف تمامًا.

أؤمن أنَّ هدفنا كمؤمنين يجب أن يكون أن نقول مع الرَّسول بُولُس: "... أَنْ أَكُونَ مُكْتَفِيًّا... بِمَا عِنْدِي" (فيلبي ٤: ١١). قال بُولُس إنه تعلَّم أن يكون راضيًا لدرجة ألا يكون مضطربًا سِوَاء في وقت الوفرة أو وقت الحاجة (انظُرْ فيلبي ٤: ١١-١٢).

لا يعني الاكتفاء ألا نريد أن نرى أبدًا أي تغيير، ولا يعني ألا تكون لنا رؤية
للأمور أفضل، لكنه يعني ألا نسمح للأمور التي نريدها ولا نمتلكها بعد أن
تسرق متعتنا بما نملكه في الوقت الحاضر.

قضيتُ بعض السنوات المحبِطة، وكانَ أصلُ المُشكِلة هو أنني لم
أكن مستمتعة بمكاني في الطريق إلى حيث كنت ذاهبة. يُحب الله
التقدم والنمو، لكن ما هو أكثر من ذلك أنه يُحب السلام!

فكّر في هذه الآية من كتاب الجامعة:

”الاکتفاء بما يملكه الإنسان (الاستمتاع بما هو متاح
للإنسان) أفضل من الرغبة بالمزيد. هذا أيضًا فارغ (جوع وزيف
وعدم) وكمطاردة الريح!

(جامعة ٦ : ٩)

يقول الكاتب (الذي يُعتقد أنه سليمان) إنه أمر فارغ (بلا فائدة وبلا هدف)
أن ترغب بشيئة فيما لا تملكه، وهذا يمنعك من الاستمتاع بما تملكه.

تعلم بؤس أن يكون مكتفيًا سواء حصل على ما يُريده أو لم يحصل،
ويجب أن يكون هذا هدفنا. الاكتفاء والشكر عندما نحصل على طريقتنا
الخاصة أمر طفولي جدًّا؛ ولا يُظهر نضجنا الرُّوحي أبدًا. كآباء، نحن نؤدب
أطفالنا عندما يسلكون هذا النوع من السلوك غير الناضج. نحن نذكّرهم
بكلِّ بركاتهم؛ ونقول لهم أن يكونوا شاكرين على ما عندهم. ربما نحتاج
أن نتذكر أن نكون مثلاً لهم؛ ليحتذوا به في طريقة سلوكنا عندما لا
نحصل على ما نريده.

تكون الثقة في الله أمرًا سهلًا عندما تسير كل الأمور كما نشاء: لكن يتحدث هذا الكتاب عن تعلّم الثقة في الله في كل حين.. لكي نكون راضين عندما تجرحنا الحياة، أو عندما يكون علينا أن ننتظر ونحن لا نعرف لماذا، يتطلّب هذا أن نصدّق أنّ الله صالح. وأن طُرقه مُخْتَلِفة عن طُرقنا. ما أريد أن أفعله لنفسي ربما لا يكون الأفضل لي. أنا مُتأكّدة أنّ ذلك سيجعلني أشعر شعورًا جيّدًا وهو يبدو الآن جيّدًا، لكن هل سيساعدني هذا على المدى البعيد؟ هل الحصول على الأمور بالطريقة التي أريدها طوال الوقت سيساعدني أن أكون أقل أنانية، وأكثر حُبًا، وأكثر تفهمًا. وأكثر رَأْفَةً بِالْآخَرِينَ عندما يكونون مجروحين؟ لا لن يحدث! إنّ الطريقة الوحيدة للتشابه مع الآخرين هي أن يكون لديك بعض الخبرة في التعامل مع أنواع الأمور التي يتعاملون معها. لسنا مضطرين أن نجتاز في كلّ الأمور التي يختبرها كلّ الناس كي نُساعدهم، لكن لا يُمكننا أن نفهم الإحباط أو الألم العاطفي، أو الألم البدني أو آية صعوبة أخرى إن لم نكن قد اختبرناها من قبل.

نحن نتوجه ليسوع في ألمنا لأنه رئيس الكهنة الذي يتفهم ضعفاتنا وعيوبنا. كيف يتفهم ذلك؟ إنه يتفهم لأنه جُرّب في كلّ شيء مثلنا ولم يخطئ (انظر عبرانيين ٤: ١٥). من السهل علينا أن نذهب إلى يسوع طالبين المعونة؛ لأننا نُؤمّن أنه يفهمنا! لقد عرف المَرَض والحزن والألم الرفض. ومثلما يُمكننا أن نأتي إلى يسوع، يجب أن نرغب أيضًا في أن يكون من السهل على الآخرين أن يأتوا إلينا بالثقة بنفسها واثقين أننا سنتفهمهم.

بينما نجتاز بأمور في الحياة، تُسلّحنا هذه الخِبرات كي نستخدمنا

الله لنعزي ونشجع الآخرين من المحتاجين. ربما لا نفهم (وغالبًا لن نفهم) طُرُق الله دائمًا (انظر إشعياء ٥٥: ٩). لكن يُمكننا أن نكرمه بأن نستمر واثقين في أنه صالح وأنَّ طُرُقه دائمًا صحيحة!

الثقة تتطلب صبرًا

دائمًا ما تتطلب الثقة في الله صبرًا؛ لأن الله لا يعمل بحسب جدولنا الزمني. يجعلنا الصبر نستمتع بالحياة أثناء الانتظار! ربما يكون صعبًا علينا أن يجعلنا الصبر نستمتع بالحياة أثناء الانتظار!

أحيانًا نفهم لماذا لا يفعل الله أمرًا. نعرف أن بإمكانه فعله بكل سهولة إن أراد. وعندما يحدث هذا، بالطبع تكون له أسبابه. ربما يكون السبب هو اختبار إيماننا؛ أو ليمدد إيماننا؛ لتنمو سعوتنا للعيش بإيمان. وربما يكون السبب هو أن الله يريد أن يفعل شيئًا أفضل من الذي نريده. أو من الذي يُمكننا أن نتعامل معه في الوقت الحالي. كلُّ هذه الأسباب (وغيرها الكثير) هي فرصٌ لنبقى في سلام عن طريق الثقة في سلطان الله، وصلاحه، وحكمته.

عادة ما لا يكون الصبر من ثمار الروح التي يُمكن بسهولة الحصول على كمية وافرة منها في حياتنا. اكتشفتُ أنني صبورة في بعض النواحي؛ وغير صبورة في نواحٍ أخرى. وأنا بكل تأكيد ما زلتُ أنمو في الصبر. كلُّنا نصبر على أمورٍ ما. إن الصبر ليس اختيارًا. لكن سلوكنا وتوجهنا أثناء الانتظار هو ما نختاره. يُعرّف ثمر الصبر جزئيًا في قاموس الكرمة

التفسيري Vine's Expository Diction- ary بثمر الرُّوح الذي ينمو فقط تحت التجربة. يا للجمال! ألا تَفْضِّل أن يكون التعريف مُخْتَلِفًا؟ أنا كنتُ أَفْضِّل ذلك!

أريد أن أصلِّي؛ وأطلب المزيد من الصبر؛ فيملأني الله به. لكن الأمر لا يسير بهذه الطريقة. كأبناء لله. نحن نحمل ثمرة الصبر فينا. لكن يجب أن تتطور؛ ويُسَمَّح لها بأن تسري فينا من الداخل إلى الخارج. يجب أن تكون أكثر من مُجَرَّد نظرية روحية. أو فكرة روحية. يعمل الصبر الحقيقي في حياتنا اليومية؛ وفي المواقف التي نتعرض إليها يوميًا. نحتاج الصبر بصفة خاصّة عندما يكون علينا أن ننتظر شيئًا نريد أن يحدث الآن!

سواء أكانا ننتظر في طابورٍ في السوق. أو وسط زحام المرور أو ننتظر شخصًا تأخر عن مواعده. أو ننتظر الله ليستجيب صلواتنا. نحتاج بالتأكيد إلى الصبر في هذه الحياة؛ إنْ كُنَّا نريد أن يكون لدينا سلام. ونستمتع بحياتنا. قال القديس أغسطينوس: "الصبر هو رفيق الحكمة."^٦ ربما يبدو الصبر مُرًّا وكريهًا. لكن ثمرته حلوة.

غالبًا ما يطلب الله مِنَّا أن ننتظر؛ ببساطة لأنه يستخدم صعابنا؛ لِيُنشئَ فينا صبرًا. إنَّ تَعَلُّمَ الصبر أمر مهم جدًّا بالنسبة لله؛ لدرجة أنه يمنع نفسه من إعطاء أولاده ما يُريدونه في الحال ليعلمهم إياه. هذا أمر يحتاج الكثير من الآباء والأمهات أن يتعلموه. للأسف. عالمنا مملوء بمن لم يتعلّموا هذا المبدأ المُهم للغاية في حياتهم. وهم يطالبون الآن بالإشباع الفوري. إنَّ الرغبة في الإشباع الفوري تجعلنا نتخذ قرارات

كثيرة غير حكيمة. مثلاً، يستدين البعض بمبالغ كبيرة تسبب ضغطاً هائلاً في حياتهم. ويتزوج البعض من شخص غير مناسب لهم؛ لأنهم يتبعون مشاعر غير ملجمة. الاعتقاد الخاطيء بأننا يجب أن نحصل على إشباع فوري، نتج عنه حياة غير سعيدة؛ وتوجهات سيئة كثيرة، وبعض الاختيارات السيئة أيضاً.

ولأنني أعرف طبيعة الله، أشك في أنه يُبقي شخصاً منتظراً؛ إلا إن كان يعرف أن هذا سيكون أفضل شيء له. صعبٌ علينا أن تصديق أن الانتظار أمرٌ جيّد لنا، لكن هذا سببه التدريب الخاطيء والطبيعة البشرية. إن الانتظار أمرٌ جيّد - إذ يجعلنا شاكرين أكثر عندما نحصل في النهاية على ما نريده.

إن عدم الصبر يُضيف ضغطاً على حياتنا، لكن الثقة بالله أثناء الانتظار تزيل ذلك الضغط؛ وتسمح لنا بأن ننتظر بتوجه يمجد الله. إن فوائد الثقة جميلة حقاً. عندما نثق أن الله يتولى أمراً ما يضايقنا، يُفرغ هذا أذهاننا؛ لنركز على أمور أخرى ستمنحنا أثماراً جيدة. كما يُساعدنا هذا لنتمتع بصحة جيدة، وحياة طويلة. أوّمن أنه يُساعدنا أيضاً لنعيش بسلام بشكلٍ أسهل. الثقة تزيل الإحباط والضغط من حياتنا، وهذان مصدران من المصادر الرئيسية التي تجعل الناس عابسين، وسريعي الغضب في تعاملهم مع الآخرين. ليس من الضروري أن نكون راغبين في إيذاء الناس، ومعاملتهم بقسوة. لكن عندما تكون نفوسنا مليئة بالاضطراب، نُركّز على ما نشعر به؛ أكثر ممّا نُركّز على أسلوب تعاملنا مع الآخرين. غالباً ما

لا نكون مدركين كم نحن قساة وعنفاء. لكن الناس يشعرون بذلك. وفي النهاية سيتجنبوننا إن استمرينا بإيذائهم.

أنا أحب جداً أن يكون لي امتياز الثقة في الله! كما أنني أكره جداً أن أكون قلقة وخائفة ومحبطة ومحمّلة بالضغط! إن كنت تتخذ قراراً الآن بخصوص الاتجاه الذي ستسير فيه في موقفك الحالي؛ وكيف سترتقي بحياتك، يُمكنني أن أضمن لك أن الثقة في الله هي الاختيار الأفضل.

الفصل الثامن

إِنْ كَانَ اللَّهُ صَالِحًا، فَلِمَاذَا يَتَأَلَّمُ النَّاسُ؟

”فَأَنَا أَعْتَبِرُ الْأَمَنَّا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ لَا شَيْءَ بِالْقِيَاسِ مَعَ مَجْدِ
الْمُسْتَقْبَلِ الَّذِي سَيَكْشِفُهُ اللَّهُ لَنَا.“

(روما ٨ : ١٨)

إِنَّ موضوع الألم من أصعب الموضوعات التي يُمكن أن نَعْلَمَ عنها. لذا
عندما أقترِبُ إليه، أصَلِّي كثيرًا، وأحب أن أبدأ بقول إنني لا أشعر أبدًا أَنَّ لَدَيَّ
إجاباتٍ عن كلِّ الأسئلة. مع ذلك؛ لا يُمكنني أن أكتب كتابًا عن الثقة بالله
دون أن أتطرَّقَ إلى هذا الموضوع؛ لأنَّ أحد أكثر الأسئلة تكرارًا هو: ”إِنْ كَانَ
اللَّهُ صَالِحًا، فلماذا يتألم الناس؟“.

كَمُؤْمِنِينَ - ربما لا نتساءل لماذا يُعاني غير المُؤمنين - فعلى أي حال.
إِنْ كَانَ الشَّخْصُ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ، فعلى الأغلب يُمكننا أن نتفهم معاناته.
لذا يُصبح سؤالنا: ”لماذا يُعاني المُؤمنون؟“ لقد تعلَّمنا أن نُؤْمِنَنَّ أَنَّ اللَّهَ

يُحِبُّنَا، وَيُرِيدُنَا أَنْ نَحْظِيَ بِحَيَاةٍ هَادِئَةٍ وَسَعِيدَةٍ. وَهُوَ يُرِيدُ ذَلِكَ، لَكِنَّهُ يَعْلَمُنَا أَيْضًا أَنَّهُ يُمْكِنُنَا أَنْ نَحْظِيَ بِذَلِكَ فِي وَسْطِ الْأَلَمِ.

أَسْمَعُ أَسْئَلَةً مِثْلَ:

- * "هل يجلب الله الألم؟".
- * "هل يسمح الله بالألم؟".
- * "إِنْ كَانَ لِلَّهِ سُلْطَانٌ، لِمَاذَا لَا يُوقِفُ الْأَلَمَ؟".
- * "لِمَاذَا يَسْمَحُ بِالْجُوعِ وَالْإِسَاءَةِ وَالْمَرَضِ وَآلَافٍ مِنَ الْأَوْضَاعِ الْأُخْرَى الَّتِي تَسَبِّبُ الْمُعَانَاةَ؟".
- * "لِمَاذَا يُعَانِي الْأَطْفَالُ أحيانًا مِنَ السَّرْطَانِ؟".
- * "لِمَاذَا يَمُوتُ الصَّالِحُونَ أحيانًا فِي سِنِّ الشَّبَابِ؟".
- * "لِمَاذَا فَقدْتُ وَظِيفَتِي وَكُلَّ مِكَافَأَةِ نِهَايَةِ خِدْمَتِي؟".
- * "لِمَاذَا لَا يَفْعَلُ اللَّهُ شَيْئًا فِي أَمْرِ الْمَجَاعَاتِ أَوْ الْإِبَادَاتِ الْجَمَاعِيَّةِ؟".

كَلِمَةٌ "لِمَاذَا؟" يُمكِنُ أَنْ تَقُودَ الْإِنْسَانَ إِلَى مَا يَشْبَهُ الْجُنُونِ؛ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَصِلَ إِلَى إِجَابَةٍ لَهَا. إِنْ كَانَ عَلَيَّ أَنْ أُجِيبَ عَنْ تِلْكَ الْأَسْئَلَةِ، سَأَبْدَأُ بِكُلِّ بَسَاطَةٍ بِقَوْلٍ: "لَا أَعْرِفُ." مَا أَعْرِفُهُ هُوَ أَنَّ اللَّهَ صَالِحٌ؛ لِذَا أُخْتَارَ أَنْ أُرَكِّزَ عَلَى ذَلِكَ؛ بَدَلًا مِنْ أَنْ أُرَكِّزَ عَلَى مَا لَا أَفْهَمُهُ جَيِّدًا.

فِي صَلَاحِ اللَّهِ يَسْمَحُ لَنَا بِالتَّعَامُلِ مَعَ الْمُعَانَاةِ الشَّخْصِيَّةِ؛ وَمَعَ مُعَانَاةِ

مَنْ حولنا دون الوقوع في أسْر الحيرة. إِنْ كَانَ دخولك إلى غرفة ما لتصرخ: "لماذا يا رب؟ لماذا حدث هذا؟" سيُسَاعِدُكَ، اذهب. وافعل ذلك. لكن لتكن مُسْتَعِدًّا لاحتمال عدم حصولك على إجابة. واستمرار وجود الاختيار أمامك. ما بَيْنَ الثِّقَةِ في الله: أو إحباط نَفْسِكَ إحباطًا غير محتمل.

يجب أن أعترف أنني قضيتُ السنوات الأولى من مسيرتي مع الله وأنا أسأل "لماذا؟" عن كلِّ شيءٍ لَمْ أكن أفهمه. لكنني قضيتُ أيضًا وقتًا طويلًا في حيرة وإحباط. كانت أسئلتِي التي بدون إجابة تؤثر سلبيًا على علاقتي بالله؛ لذا توقفتُ في النهاية عن مطالبته بإجابات؛ وقررتُ أن أثق فيه ثقةً كامِلة. خاصَّة في وقت معاناتي؛ أو عدم فهمي لما يحدث في حياتي.

بعد أن عانيتُ مُعَانَةَ شديدة لمدة خمسة عشر عامًا بسبب الاعتداء الجنسي الذي حدث لي من والدي. ثم خمسة وعشرين عامًا أو أكثر من

المُعَانَةَ بسبب آثار ذلك الاعتداء. يُمكنني أن أقول لكم إنه كَانَ لديَّ الكثير من الأسئلة. عندما كنتُ طفلة صليتُ، وطلبتُ من الله أن يُخرجني من الوضع الذي كنتُ فيه، لكنه لَمْ

كثيرًا جدًّا ما ننظر إلى ما لم يفعله الله لنا بدلًا من أن ننظر إلى ما فعله لنا بلفعل.

يفعل. ورغم أنه لَمْ ينقذني ممَّا كنتُ فيه. إلا أنه أعطاني القوَّة لأجتازه؛ والنعمة لأشفي منه. كثيرًا جدًّا ما ننظر إلى ما لم يفعله الله لنا؛ بدلًا من أن ننظر إلى ما فعله لنا بالفعل. أعتقد أنَّ هذا أحد أكبر الأخطاء التي نرتكبها! يُمكنك أن تقرر أن تفرح بما عندك؛ بدلًا من أن تحزن على ما لا يبدو عادلاً أو منصفًا في حياتك. لا تسمح لأمر لا تفهمه أن يعميك عن إحسان الله.

لا أعتقد أنّ الله يُبقينا دائمًا في ظلام فيما يخص أسباب حدوث أمورٍ ما. أو عدم حدوثها. لكن هناك بالتأكيد الكثير من الأمور المخبّأة في حكمة الله غير المفهومة - أمور يصعب فهمها؛ وستبقى غامضة بالنسبة لنا إلى أن نذهب إلى السماء. فكّر في هذه الآية:

”فَمَا أَغْنَى اللَّهُ فِي الرَّحْمَةِ! وَمَا أَعَمَّقَ حِكْمَتَهُ وَمَعْرِفَتَهُ! مَنْ
ذَا الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَخَيَّلَ عُمُقَ (غموض) أَحْكَامِهِ (قراراته).
أَوْ أَنْ يَسْتَوْعِبَ طُرُقَهُ؟“

(روما ١١: ٣٣)

يَعِدُ اللهُ بِأَنْ يُعْطِينَا البصيرة لنفهم أسرارهِ وغوامضهِ إِنْ طلبناه (انظُرْ أفسس ١: ١٧). كما قال لنا الرَّسول بُولُسُ أيضًا إننا نعرف ”بعض“ المَعْرِفَةِ فقط. وإننا لن نعرف كلَّ شيءٍ إلى أن نكون مع يسوع. وجهًا لوجه (انظُرْ ١ كورنثوس ١٣: ٩-١٠).

كثيرًا ما أقول إنَّ الثِّقَةَ تتطلب أسئلة لا إجابة لها. يكشف الله لنا الكثير من الأمور؛ ويُعطينا إجابات لمشاكل معقدة. لكن الثِّقَةَ تتطلب أسئلة لا إجابة لها.

أحيانًا لا يُمكننا أن نتلقى الإجابة على أمرٍ ما. حتى إِنْ أعطانا الله إياه. لا أعتقد أن أذهاننا المحدودة تستطيع أن تستوعب بعض الأمور التي يعرفها الله فقط. أو من بشّدة أنه يرينا ما يُمكننا أن نعرفه. ويخفي عنّا أمورًا لا يُمكننا أن نعرفها.

نحن نعيش الحياة سائرين للأمام. لكننا كثيرًا ما لا نفهمها إلا إن نظرنا للخلف. هناك أمور مؤلمة كثيرة لم أفهمها عندما كانت تحدث لي. لكنني عندما أنظر الآن للخلف، أرى الأمور بطريقة مُخْتَلِفَةٍ عَمَّا قَبْلُ؛ لأنني أرى المنفعة التي حدثت نتيجة الألم الذي عانيتُ منه في الماضي؛ أو لأنني كبرتُ روحيًا. قال داود: "يَا اللَّهُ، مَا أَنَا بِالْمُتَكَبِّرِ أَوْ الْمُنْتَفِخِ. وَفِي أُمُورٍ أَعْظَمَ مِنِّي وَمَسَائِلٍ عَوِيصَةٍ لَا أَقْجِمُ نَفْسِي" (مزمو ١٣١: ١).

أعتقد أنّ داود كَانَ يقصد أن يقول ببساطة إنَّ هناك أمورًا مخفية في غوامض الله لا يُمكن للإنسان أن يفهمها. ربما علينا أن نقلل عدد أسئلتنا. وببساطة نثق في الله أكثر! أحب هذه الجملة التي سمعتها من لي ستروبل Lee Strobel: "إنَّ إجابة الله النهائية عن أسئلتنا بخصوص الألم ليست تفسيرًا؛ الإجابة تمثلت في التجسد." ٧ أرسل الله يسوع ليتألم ويموت من أجل خطايانا. ووعد بأن ينجي كلَّ مَنْ يثق فيه، لكنه لم يُخبرنا أبدًا كيف ومتى ستأتي نجاتنا. إلى أن تأتي، لدينا امتياز الثقة في الله، واستقبال تعزيبته طوال فترة تعرُّضنا للمصاعب.

عندما نرى شخصًا نحبه يموت جرّاء مرض وهو لا يزال شابًا، ربما نقول: "لَمْ تَأْتِ نجاته، فكيف لي أن أؤمن أنّ الله ينجينا دائمًا؟" أنا واثقة أنه دائمًا ما ينجي أولئك الذين يثقون به. ربما لا تأتي النجاة دائمًا، ونحن هنا على هذه الأرض، لكن حالما نكون معه في السماء، لن يكون هناك المزيد من الألم ولا الدموع ولا أي نوع من المُعاناة.

سمعتُ ذات مرّة قصّة قوية عن شاب سقط من على سُلَّم وهو طفل وكُسِرَ ظهره. ظل يرتاد المستشفيات طوال حياته. وحين صار عمره سبعة

عشر عامًا كَانَ قد قضى ثلاثة عشر عامًا من حياته في المستشفيات. قال إنه يعتقد أَنَّ الله كَانَ عادلاً. وعندما سؤِل: "كيف يُمكنك أن تعتقد هذا الاعتقاد؟" أجاب: "حسنًا، الله لديه الأبدية كلها ليشرح لي هذا الأمر." من الصعب أن أشرح ما أشعر به في روعي بالضبط عندما أسمع قصصًا كهذه. أو عندما أقابل أناسًا مَمَّن اجتازوا مُعَانَاة رهيبة، لكنهم ما زالوا يثقون بالله. كُلُّ ما أستطيع أن أقوله هو أنني أشعر بجمالٍ في ثقتهم، وأنهم مثال عظيم لِمَن لديه ثقة في الله في كُلِّ مواسم حياته. أن يثق شخص في الله عندما تسير الأمور حسبما يشاء وتُسْتَجَاب صلاته بسرعة، أمر. وعندما تثق في الله أثناء معاناتك أو عندما تصلِّي ربما لوقت طويل، ولا تزال منتظرًا احترافًا، أمر مُخْتَلِف تمامًا. إنَّ رأبي هو أنَّ الوضع الأخير يحتاج إيمانًا أكثر بكثير.

هل الله صالح؟

نعم، صالح! إنَّ طبيعته هي الصلاح ولا يُمكنه أن يكون غير ذلك. عندما يبدو شيء ما غير جيِّد أو عندما نشعر بأنَّ شيئًا ما ليس جيدًا، هذا ليس معناه أَنَّ الله ليس صالحًا. هناك حوالي سبعمئة آية كتابية تقول لنا إنَّ الله صالح. أحب هذه الآية من رسالة يعقوب:

"فَكُلُّ عَطِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَكُلُّ مَوْهَبَةٍ كَامِلَةٍ (مجانية وكبيرة وممتلئة)، تَأْتِي مِنْ فَوْقٍ، أَيُّ مِنْ عِنْدِ الْآبِ الَّذِي خَلَقَ أَنْوَارَ السَّمَاوَاتِ وَعَلَى خِلَافِ تِلْكَ الْأَنْوَارِ، هُوَ لَا يَتَغَيَّرُ كِظَالِهَا الْمُتَقَلِّبَةِ. . .

(يعقوب ١: ٢٧)

كُلُّ شَيْءٍ صَالِحٍ يَأْتِي مِنَ اللَّهِ - هذا هو كُلُّ مَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَفْعَلَهُ. وهذه الحقيقة لا تتغير. أنا مُتَأَكِّدَةٌ أَنِّي عِنْدَمَا أَقُولُ هَذَا، رُبَّمَا يُرِيدُ بَعْضُ الْقُرَّاءِ أَنْ يَجِيبُونِي قَائِلِينَ: "إِنْ كَانَ اللَّهُ صَالِحًا دَائِمًا، إِذَنْ لِمَاذَا يَتَأَلَّمُ النَّاسُ؟ هُنَاكَ أَسْبَابٌ كَثِيرَةٌ لِأَلَمِنَا، لَكِنْ تَرْتِيبُ اللَّهِ لَيْسَ وَاحِدًا مِنْ تِلْكَ الْأَسْبَابِ. إِنَّهُ لَا يَدْبِرُ الْأَلَمَ، إِبْلِيسُ هُوَ الَّذِي يَدْبِرُهُ! رَغْمَ أَنْ شَيْئًا مَا قَدْ لَا يَكُونُ جَيِّدًا فِي ذَاتِهِ، لَكِنْ؛ وَلِأَنَّ اللَّهَ صَالِحٌ، يُمَكِّنُهُ أَنْ يُخْرِجَ الْخَيْرَ مِنْ أَيِّ وَضْعٍ فِي حَيَاتِنَا. رُبَّمَا تَكُونُ فِي وَضْعٍ، أَوْ تَعْرِفُ وَضْعًا، سَيِّئًا لِلغَايَةِ؛ لِدرَجَةِ أَنَّهُ جَعَلَكَ تَقُولُ فِي قَلْبِكَ: "لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ أَيُّ خَيْرٍ فِي هَذَا الْأَمْرِ، لَكِنْ كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لَدَى اللَّهِ.

يُمَكِّنُنِي أَنْ أَقُولَ دُونَ تَرَدُّدٍ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَخَذَ الْإِعْتِدَاءَ الَّذِي عَانَيْتُ مِنْهُ فِي طِفُولَتِي؛ وَحَوَّلَهُ إِلَى خَيْرٍ لِي؛ وَخَيْرٌ لكَثِيرِينَ آخَرِينَ مِمَّنْ كَانَ لِي امْتِيَاظٌ تَعْلِيمُهُمْ. أَنَا لَمْ أَتَفْهَمِ الْأَمْرَ هَكَذَا عِنْدَمَا كُنْتُ أَشْعُرُ بِالْمَرَارَةِ؛ وَعِنْدَمَا كُنْتُ مَمْتَلِئَةً بِالشَّفَقَةِ عَلَى نَفْسِي وَبِالكَرَاهِيَةِ حِيَالِ مَنْ اعْتَدَوْا عَلَيَّ. بَدَأْتُ أَتَفْهَمُ شَيْئًا فَشَيْئًا بَيْنَمَا كُنْتُ أَثِقُ أَنَّ اللَّهَ سَيَأْخُذُ الْأَمْرَ السَّيِّئَ وَيُخْرِجُ مِنْهُ خَيْرًا. الشَّيْءُ نَفْسَهُ يُمَكِّنُ أَنْ يَحْدُثَ مَعَكَ. أَشْجَعُكَ أَنْ تَثِقَ بِاللَّهِ فِي كُلِّ حِينٍ؛ لِأَنَّي أُوْمِنُ أَنَّ هَذَا هُوَ الْخِيَارُ الْوَحِيدَ الَّذِي سَتَنْتُجُ عَنْهُ الْمَعُونَةُ الَّتِي تَحْتَاجُهَا. إِنْ لَمْ نَثِقْ بِاللَّهِ، لَنْ يَتَبَقَّ لَنَا سِوَى الْحَيْرَةِ وَالْمَرَارَةِ جَزَاءَ كُلِّ الْأُمُورِ الْمَأْسَاوِيَةِ الَّتِي نَرَاهَا وَنَحْتَبِرُهَا فِي الْحَيَاةِ.

اللَّهُ صَالِحٌ وَيَفْعَلُ أُمُورًا صَالِحَةً (النُّظْرُ مَزْمُور ١١٩: ١٨). إِذَنْ هَلْ مِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ يَكُونَ الْأَلَمُ لَخَيْرِنَا؟ عِنْدَمَا يَعْذِبُنَا الْأَلَمُ، هَلْ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَأْخُذَ اللَّهُ وَقْتًا أَطْوَلَ مِمَّا نُرِيدُ؛ لِنَجِينَا؛ لِأَنَّهُ يَقْصِدُ أَنْ يَسْتَخْدِمَ الْأَمْرَ

السيء ليصنع خيرًا ما فينا؟ بالطبع هذا مُمكن جدًّا، ويستطيع معظمنا أن يشهد أنّ هذه الأمور الرائعة قد حدثت فينا نتيجة الأمور التي مررنا بها. ولم نكن نُريد أن نختبرها. لو كَانَ الأمر باختيارنا، كُنَّا سنجنب كلَّ الآلام. لكننا لا نملك حرية الاختيار دائمًا؛ لكننا نملك حرية اختيار أن نثق بأن الله يُخرج خيرًا من ذلك الألم.

أريد أن أناقش هذا الأمر بأكثر تفصيل لاحقًا. لكن قبل أن نتمكن من التقدم في محاولة فهم بعض آلامنا على الأقل، يجب أن يكون لدينا أساس من الإيمان الثابت في قلوبنا؛ بأنَّ الله صالح. وهو يفعل الصالح. في البدء. بعد أن خلق الأشياء التي نستمتع بها الآن. نظر إليها جميعًا. وقال بحسب التكوين ١: ٣١ "وَنَظَرَ اللهُ إِلَى ذَلِكَ بِرِضَى كَبِيرٍ . . ."

سأل بعض الناس هذا السؤال: "إِنْ كَانَ اللهُ صَالِحًا، إِذْن لِمَاذَا لَمْ يَخْلُقْ عَالَمًا دُونَ آلامٍ وَمَأْسٍ؟" في الواقع، لقد فعل الله هذا! كلُّ ما علينا فعله هو أن ننظر إلى جنة عدن؛ وإلى الخُطة الأصلية التي خططها الله للإنسان. وسنرى أنّ كلَّ شيء كَانَ جيدًا. لكن الله أعطى الإنسان حرية الإرادة، وللأسف، كَانَ الألم هو نتيجة ذلك. إنه يُريدنا أن نحبه بحريتنا، ليس كالدمى المتحركة التي لا تختار ما تفعله. إنه يُريدنا أن نستخدم حرية إرادتنا لنختار مشيئته. لَمْ يَخْتَرِ آدَمُ وحواء مشيئة الله. وكانت النتيجة هي دخول الألم إلى العالم. جاء يسوع ليحررنا من اختيار آدم وحواء المأساوي. لكننا لن نرى كمال ما فعله يسوع عندما نذهب إلى السماء. قال بولس في أفسس ١: ١٤ "فِي أفسس ١: ١٤" عَلَى كُلِّ مَا لَنَا عِنْدَ اللهِ، إِلَى أَنْ يَفْتَدِينَا اللهُ كُلِّيًّا . . ." (أفسس ١: ١٤)

تكشف هذه الآية لنا الكثير من الأمور.

عندما نَقَبَل يَسُوع كمخلص ورب لنا، تتحسن أمور حياتنا. وكلما تعلمنا عنه أكثر ينجينا الله من أعدائنا شيئًا فشيئًا، وكلما تعلمنا عن كيفية السير في طاعة مشيئته، تتحسن أمورنا أكثر. قال سليمان إِنَّ طَرِيقَ الْبِرِّ نُورٌ يَشْعُ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ حَتَّى ظَهِيرَةَ النَّهَارِ (انظر أمثال ٤: ١٨). مكتوب في سفر التثنية ٧: ٢٢ إِنَّ اللَّهَ يَنْجِينَا مِنْ أَعْدَائِنَا شَيْئًا فَشَيْئًا.

حتى الأرض تئن منتظرة الفداء الكامل لأبناء الله. يُقَدِّم الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ هذه الحقيقة بطريقة قوية:

”وَلَيْسَ الْعَالَمُ الْمَخْلُوقُ وَحْدَهُ، بَلْ نَحْنُ أَيْضًا نَائِنٌ فِي أَعْمَاقِنَا. نَحْنُ الَّذِينَ أَخَذْنَا الرُّوحَ الْقُدُسَ كَأَوَّلِ حَصَادِ بَرَكَاتِ اللَّهِ. وَنَحْنُ أَيْضًا نَنْتَظِرُ بِشَوْقٍ أَنْ يَتَبَّنَّأَنَا اللَّهُ بِشَكْلِ كَامِلٍ، حِينَ يُحَرِّرُ أَجْسَامَنَا“.

(روما ٨: ٢٣)

لدينا الآن أول حصاد بَرَكَاتِ اللَّهِ، لكن سيأتي يوم سنستمع فيه بكلِّ تِلْكَ الْبَرَكَاتِ. طالما تُوَجَد شهوة الجسد، ستكون هناك خطيئة، وطالما هناك خطيئة سيكون هناك ألم. لَمْ يَعِدْنَا اللَّهُ أَبَدًا بأنه سينجينا من كلِّ الآلام؛ ونحن على الأرض، لكنه وَعَدَ بأننا نستطيع أن نستمع بقوة قيامته التي ترفعنا فوق الآلام (انظر فيلبي ٣: ١٠). بمعنى آخر إنه يجعلنا نستطيع أن نتحمل الآلام بفرح وسمود. قال لنا يَسُوعُ إِنْ فِي الْعَالَمِ سَيَكُونُ لَنَا ضِيقٌ، لَكِنْ يَجِبُ أَنْ نَفْرَحَ لِأَنَّهُ غَلَبَ الْعَالَمَ (انظر يوحنا ١٦: ٣٣).

أنا أستمتع بصلاح الله قَدْرَ الإمكان بينما أنا موجودة هنا على الأرض. وأنا أنتظر أن تحدث أمور أفضل عندما أصبح خارج جسدي. وأكون في موطني مع الرب. إلى أن يأتي ذلك اليوم. أصلي ألا أقول أي شيء سوى "الرب صالح!" "أَيَّا كَانَ مَا نُعَانِي مِنْهُ، وَأَيَّا كَانَتْ كَمِيَةِ الْمَآسِي الَّتِي نَرَاهَا عَلَى الْأَرْضِ، هَذَا لَيْسَ خَطَأَ اللَّهِ - الرَّبِّ صَالِحًا!"

الألم ليس دائمًا

أحد أكثر الأمور المشجعة التي عليك أن تتذكرها وأنت تتألم هي أنّ الألم لن يستمر إلى الأبد. لن يستمر للأبد على الأقل بالنسبة لمن يؤمنون بيسوع. لأنه مهما كانت الأمور سيئة هنا على الأرض، يُمكننا أن نتطّلع إلى الأبدية مع الله حيث لنا وعد أن نكون بلا ألم من أي نوع.

"وَسَيَمْسُحُ اللَّهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ. وَلَنْ يَكُونَ هُنَاكَ مَوْتُ أَوْ نَوَاحٌ أَوْ بُكَاءٌ أَوْ أَلَمٌ؛ لِأَنَّ الْأَشْيَاءَ الْقَدِيمَةَ قَدْ زَالَتْ."

(رؤيا ٢١ : ٤)

معظم الأمور المؤلمة تُحلُّ قبل أن نموت ونذهب للسماء. لكن حتى إن نظرنا إلى الاحتمال البعيد بأن نستمر متألمين طوال حياتنا، هذا أيضًا سينتهي ويُستبدل بمتعة تفوق الخيال.

فكّر بطريقة "سينتهي هذا أيضًا" عندما تكون مجروحًا؛ لأن هذا سيُسَاعِدُكَ أَلَّا تشعر بالانسحاق. أُصِبْتُ مَوْخَرًا بِالنَّهَابَاتِ فِي الْجُيُوبِ

الأنفية سببت لي صداغًا استمر خمسة وثلاثين يومًا. كنت أقول كثيرًا: "سينتهي هذا أيضًا." وفي آخر الأمر انتهى فعلاً. لكننا عندما نتألم لفترة، عادة ما نقول في قلوبنا: "لن ينتهي هذا أبدًا." رغم أن معظم الأمور تنتهي في آخر الأمر. تُشَفَى القلوب المكسورة، أو على الأقل يُمكن أن تُشَفَى إِنْ سمحنا ليسوع أن يعمل في حياتنا. يقول مزمور ١٤٧: ٣ "يَشْفِي الْمَكْسُورِي الْقَلْبِ."

تُشَفَى الجروح، وتتحول الإحباطات إلى أحلام جديدة، ونهاية أمر تفتح

تُشَفَى الجروح.
وتتحول الإحباطات
إلى أحلام جديدة.
ونهاية أمر تفتح الباب
لبداية أمر آخر.

الباب لبداية أمر آخر. يُمكننا جميعًا أن ننظر إلى حياتنا السابقة، ونتذكر ظروفًا كثيرة كانت مؤلمة جدًّا، لكن، ورغم ذلك، تمَّ حل هذه الظروف ونحن لم نعد متألّمين بسببها. كنت أعاني من ألم مزمن في ظهري لمدة

ثلاثين عامًا، كَانَ يحدُّ من الأمور التي كَانَ بإمكانني أن أقوم بها. منذ سنتين، رأيت طبيبًا جديدًا، وكان حكيماً جدًّا؛ فأرسلني لأجرى اختباراً لم أجره من قبل. واكتشفوا أنني على الأغلب كنت أعاني من عيب خلقي في وركي؛ كَانَ هو السبب في مشاكل ظهري. ومن خلال التكنولوجيا المذهلة المتاحة لنا اليوم، تمَّ استبدال وركي، ولم أعد أعاني من آلام الظهر. يُمكنني أن أقوم بأمر كثيرة لم أكن أستطيع أن أقوم بها في الماضي. إِنْ عانى أحد من نفس هذه المُشكلة لمدة ثلاثين عامًا؛ سيظن أنه وضع دائم، لكن في حالتي. كانت هناك نهاية لذلك الأمر؛ وأعطتني تلك النهاية بداية جديدة.

لا أعتقد أننا يجب أن نفقد الأمل في الشفاء من أي نوع من الألم. إنَّ الأمل في التحسن أفضل كثيرًا من أن نكون بلا أمل! هل يُمكن أن يُشفي قلبك بعد فقدان فجائي مدمر لشخص عزيز؟ نعم؛ لأن الله هو إله كلِّ تعزية وكلِّ شيء مستطاع لديه.

اختبرَ الرَّسول بُولس أُلْمًا يفوق ما يُمكن أن يختبره معظمنا. ورغم هذا يقول عنه ضيقة مؤقتة خفيفة:

”فَضِيقَتُنَا الْمُؤَقَّتَةُ الْخَفِيفَةُ (الضيق الطفيف في هذه الساعة العابرة) تُنتِجُ لَنَا مَجْدًا أَبَدِيًّا (يتجاوز أي مقياس، ويفوق كثيرًا جميع المقارنات وجميع الحسابات، مجدًا شاسعًا وفائقًا وبركة لن نتوقف أبدًا!) يَفُوقُ تِلْكَ الضَّيْقَةَ بِشَكْلِ كَبِيرٍ.“

(٢ كورنثوس ٤: ١٧)

كان بُولس لديه توجه، وهذا التوجه متاح لنا إنْ اخترنا أن نثق بالله. قال إنه لا ينظر إلى الأمور التي يُمكنه أن يراها، بل إلى التي لا يُمكنه أن يراها بعد (انظُرْ ٢ كورنثوس ٤: ١٨). بمعنى آخر، كَانَ بُولس ينظر إلى الحياة بالرُّوح بدلًا من الجسد. كَانَ يُؤْمِنُ بِصَلاَحِ اللَّهِ حتى وسط آلامه، وَكَانَ يُؤْمِنُ، بناءً على كَلِمَةِ اللَّهِ، أنه سيقضي الأبدية في مكان مجيد؛ حيث ستتحول كلُّ آلامه إلى نعيم.

الفصل التاسع

هل "يسمح" الله بالآلَم؟

"كُلُّ مَا يَشَاءُ اللَّهُ يَفْعَلُهُ. فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ وَحَتَّى فِي
أَعْمَقِ أَعْمَاقِ الْمُحِيطَاتِ."

(مزمو ر ١٣٥ : ٦)

ربما يقول أحد: "لا أصدق أن الله يجلب الآلام والمآسي. "لا أصدق أنه مصدرها، لكن هل يسمح بها؟ وإن كان يسمح بها، فما هو الهدف. وما الفرق بين أن يسمح بها وأن يفعلها هو؟ كيف يُمكنني أن أثق في إله يُمكن أن يسمح بأن أعاني من الشر والمآسي؟" أعرف أن هذه الأسئلة موجودة؛ لأن الناس طلبوا مني أن أجيب عنها.

سمعتُ أيضًا شخصًا يقول: "ليس العلم هو الذي جعلني لا أؤمن بوجود كائن أسمى. بل كلُّ هذه المُعاناة والشر الذي في العالم." لم يستطع ذلك الرجل أن يوفِّق بين الشر الذي رآه ووجود إله يُقال إنه صالح. بالنسبة للبعض منّا، يسمو الإيمان فوق كلِّ هذه الأسئلة، لكن هناك كثيرين يطلبون إجابة لكي يُؤمنوا.

إِنَّ الأَلمَ الذِي اخْتَبَرْتُهُ مِنْ أبٍ شَرِيرٍ هُوَ الذِي قَادَنِي لِلإِيمَانِ بِاللهِ. كَأنَ الأَلمَ والمُعَانَاةَ أَكثَرِ مِمَّا أُسْتَطِيعُ أَنْ أَتَعَايَشَ مَعَهُ. وَوَجَدْتُ السَّلَامَ والأَمَلَ والشِّفَاءَ فِي عِلَاقَتِي مَعَ اللهُ. إِنَّ الفَوَائِدَ الَّتِي تَلْقِيْتُهَا مِنْ مَعْرِفَةِ اللهُ والإِيمَانِ بِهِ فَاقَتِ الأَسْئَلَةَ الَّتِي كَانَتْ لَدَيَّ بِكَثِيرٍ. وَأَنَا الآنَ قَادِرَةٌ عَلَى وَضْعِهَا جَانِبًا إِلَى أَنْ يَأْتِيَ اليَوْمَ الذِي فِيهِ: إِمَّا سَأَتَلْقَى إِجَابَاتٍ مِنَ اللهُ. أَوْ سَأَكُونُ مَعَهُ فِي السَّمَاءِ حَيْثُ سَتَتَضَحَّ إِجَابَةً كُلِّ سَؤَالٍ.

لَكِنِّي أَتَفْهَمُ الأَسْئَلَةَ الَّتِي يَسْأَلُهَا النَّاسُ. وَلَا أَعْتَقِدُ أَنَّ مِنَ الخَطَأِ أَنْ يَسْأَلُوا هَذِهِ الأَسْئَلَةَ. إِنَّ اللهُ لَا يَسْتَأْ مِنْ أُسْئَلْتَنَا، لَكِنَّهُ لَا يَرَى دَائِمًا أَنْ مِنَ المُنَاسِبِ أَنْ يَجِيبَ عَنهَا. أَيًّا كَأنَ عِدَدَ الأَسْئَلَةِ الَّتِي نَجِدُ لَهَا إِجَابَاتٍ. سَتَكُونُ هُنَاكَ دَائِمًا أُسْئَلَةُ أُخْرَى تَتَطَلَّبُ أَنْ نَقْرُرَ. مَا إِنْ كُنَّا سَنَثِقُ بِاللهِ حَتَّى عِنْدَمَا لَا يَبْدُو أَنَّ هُنَاكَ مَعْنَى لِلحَيَاةِ أَمْ لَا.

سَأَفْعَلُ كُلَّ مَا فِي وَسْعِي لِأَحَاوِلُ أَنْ أُجِيبَ عَن سَؤَالٍ مَا إِنْ كَأنَ اللهُ "يَسْمَحُ" بِالأَلمِ. لَكِن قَبْلَ أَنْ أُجِيبَ أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ إِنَّ إِجَابَاتِي سَتَكُونُ غَيْرَ كَامِلَةٍ. خَاصَّةً بِالنَّسْبَةِ لِمَنْ يَبْحَثُ عَن عِذْرٍ كِي لَا يَثِقُ بِاللهِ. كَمَا سَتَكُونُ الإِجَابَاتُ غَيْرَ مَشْبَعَةٍ لِلشَّخْصِ الذِي يَشْعُرُ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَفْهَمَ بِعَقْلِهِ كُلَّ شَيْءٍ. إِنَّ بَحْثَنَا عَنِ المَعْرِفَةِ أَمْرٌ جَيِّدٌ. لَكِنَّهُ يُمَكِّنُ أَنْ يَصِيرَ خَرَابًا لَنَا إِنْ زَادَ عَنِ اللُّزُومِ. الجِزءُ الكِتَابِيُّ الذِي اسْتَمَرَّ مَعِي طَوَالَ حَيَاتِي مَوْجُودٌ فِي كِتَابِ الأَمْثَالِ:

"ثِقُ بِاللهِ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَلَا تَتَّكِلْ عَلَى فَهْمِكَ. اعْرِفُهُ فِي كُلِّ سُبُلِكَ، وَهُوَ سَيَهْدِي طُرُقَكَ. لَا تَتَمَسَّكْ بِحِكْمَتِكَ . . ."

لا يُمكن أن نجد السلام في الاتكال على فهمنا. لماذا حدث هذا أو ذلك، ولماذا حدث لي؟ هذا هو أول فُكر خادع يهمس لنا به إبليس عدونا. في مجهوداته ليسحبنا بعيدًا عن علاقتنا بالله. لا يُمكن أن نجد السلام في الاتكال على فهمنا. يُمكننا أن نعود إلى جنة عدن. ونقرأ كيف همس بأسئلة لحواء قاداتها هي وآدم في النهاية إلى الخطيئة، التي غيرت مسار خطة الله التي كان يُريدها للإنسان. قال لها إبليس: "أَحَقَّ قَالَ اللهُ لَكُمْ: لَا تَأْكُلَا مِنْ أَشْجَارِ الْحَدِيقَةِ كُلَّهَا؟" (تكوين ٣: ١). فتح السؤال الطريق لسؤال آخر لم يكن إبليس مضطرًا أن يسأله حتى إن كان كل ثمر الأشجار في الحديقة جيدًا، وهو "لماذا يُريد الله أن يمنع أي ثمر منها عني؟" ثم بدأت حواء تفكر، وقادها تفكيرها إلى الانخداع الذي غيّر مسار حياتها.

خلق الله عالمًا كان مثاليًا لم يكن فيه ألم ولا مأس. كان يُريد أن يعمل آدم وحواء بسلاطن ويخضعوا للأرض. مستخدمين كل مواردها الهائلة في خدمة الله والإنسان (أنظر تكوين ١: ٢٨). لم يكن الله من استجلب الألم إلى العالم؛ بل الرجل والمرأة اللذان خلقهما. حالما سمعا لإبليس بدلًا من الله؛ وأكلا الثمر الذي قال لهما الله ألا يأكلاه. بدأت معاناتهما. بقرار واحد، تحولوا من العيش بحرية في محبة الله، وعلاقتهما معه، التي كانا مستمتعين بها، إلى الاختباء منه في خوف (أنظر تكوين ٣: ٨).

إنَّ الله ملكٌ ذو سيادة، ويُمكنه بالطبع أن يفعل أي شيء، في أي وقت، وفي أي مكان، ولأي شخصٍ يختاره. نحن نصلي، وتعتمد هذه الصلوات على سيادة الله. نحن نعتد على الوعد القائل إنه مع الله كلُّ شيء مستطاع (أنظر متى ١٩: ٢٦). لكن، اختار الله أن يمنح الإنسان حرية الإرادة، وهذا

يغيّر ديناميكية احتمال معاناتنا من الشر. هل سنطيع الله. أم سنسير في طريقنا الخاص؟

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّنَا وَيُرِيدُنَا أَنْ نَحْبَهُ، لَكِنَّ الْحُبَّ لَا يَكُونُ حَقِيقِيًّا إِنْ كَانَ مَفْرُوضًا عَلَى الشَّخْصِ. يَجِبُ أَنْ يُعْطَى حَرِيَّةً لِيَكُونَ لَهُ مَعْنَى. نَحْنُ دَائِمًا مَا نَعْطِي الْحَرِيَّةَ لِأَوْلَادِنَا الَّذِينَ نَحْبُهُمْ بِحَقِّهِمْ. سَمِعْتُ هَذَا الْأَمْرَ يُقَالُ هَكَذَا: يَتَطَلَّبُ الْحُبُّ اخْتِيَارًا حُرًّا، وَحَيْثُ تَوَجَّدَ الْإِرَادَةُ الْحُرَّةُ، سَيُوجَدُ الشَّرُّ دَائِمًا. لَكِنَّ حَيْثُ يُوجَدُ الشَّرُّ، يُمَكِّنُ أَنْ تَجِدَ مَخْلَصًا، وَحَيْثُ يُوجَدُ الْمَخْلَصُ، يُمَكِّنُ أَنْ تَجِدَ فِدَاءً، وَحَيْثُ يُوجَدُ الْفِدَاءُ، يُمَكِّنُ أَنْ تَجِدَ شِفَاءً.

أَعْطَى اللَّهُ الْإِنْسَانَ حَرِيَّةَ الْاِخْتِيَارِ، وَهُوَ يَعْرِفُ أَنَّهُ سَيَخْتَارُ اخْتِيَارًا خَاطِئًا. وَأَنَّ ذَلِكَ الْاِخْتِيَارَ سَيَفْتَحُ الْبَابَ لِلْأَلَمِ وَالْمُعَانَاةِ. لَكِنَّ اللَّهَ لَمْ يَتْرَكْنَا دُونَ مَنْفَعَةٍ، أَوْ مُسَاعَدَةٍ. مِنْ وَجْهِهِ النَّظَرِ هَذِهِ، سَمَحَ اللَّهُ لِلْأَلَمِ أَنْ يَدْخُلَ الْعَالَمَ، لَكِنَّ حَتَّى هَذَا كَانَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ يَخْلُقَ إِنْسَانًا كَالدَّمِيَّةِ. لَيْسَ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يَخْتَارَ إِنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يُحِبَّ أُمَّ لَا، أَوْ كَيْفَ يُرِيدُ أَنْ يَتَصَرَّفَ.

لَا يُوَاكِهَ اللَّهُ آيَةً مُشْكِلَةً لَا حَلَّ لَهَا! لِأَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ مَا سَيَحْدُثُ، إِذْ خَطَّطَ مِنَ الْبَدَأِ أَنْ يَرْسِلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، يَسُوعَ، لِيُدْفَعَ ثَمَنَ الْخَطِيئَةِ، وَيَفْتَحَ طَرِيقًا لِلَّهِ؛ لِيَكُونَ لَهُ عَلاَقَةٌ مَعَ أَبْنَائِهِ مَرَّةً أُخْرَى. لَمْ يُوْفَرْ اللَّهُ مَهْرِيًّا مِنَ الْأَلَمِ؛ لِأَنَّ الْخَطِيئَةَ مَا زَالَتْ مَوْجُودَةً فِي الْعَالَمِ، وَحَالِهَا هِيَ مَوْجُودَةٌ، سَيَكُونُ هُنَاكَ أَلَمٌ. لَكِنَّ مِنْ خِلَالِ يَسُوعَ، قَدَّمَ اللَّهُ غَفْرَانًا لِلْخَطِيئَةِ، وَعِزَاءً، وَنِعْمَةً، وَقُوَّةً، وَكُلَّ الْمَعُونَةِ الَّتِي نَحْتَاجُهَا لِنَحْتَمِلَ الْأَلَمَ بِصَبْرٍ عِنْدَمَا يَتَوَجَّبُ

علينا ذلك. وفعل ما هو أكثر من ذلك؛ وقال إنا إن وثقنا فيه، سيجعل حتى أكبر معاناتنا تتحول لخيرنا:

"وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ (بما أنه شريك في عملها) يَجْعَلُ كُلَّ الْأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِخَيْرِ الَّذِينَ يُحِبُّونَهُ. الْمَدْعُوِينَ حَسَبَ إِرَادَتِهِ." (روما ٨: ٢٨).

ليس من الضروري أن يكون الأمر جيّدًا لكي يُنتج عنه خير. إن هذا في حدّ ذاته دليل على أنّ الله صالح، وأنّ صلاحه يقدر أن يبتلع كلّ التأثيرات السيئة للظلم والمُعانة الشخصية. إذن ليس من الضروري أن يكون الأمر جيّدًا لكي يُنتج منه خيرٌ.

لم يكن هناك أي سبب آخر. فمن أجل هذا فقط يجب أن نختار أن نثق في الله. سواء آمنّا بالله أو لم نؤمن. سنختبر الألم في هذه الحياة. قال لنا يسوع إنا سنواجه ضيقًا في العالم، لكن بعد أن قال لنا هذه الحقيقة وعدنا هذا الوعد الرائع: أنه غلب العالم (أنظر يوحنا ١٦: ٣٣). سببت الخطيئة ألمًا. ويسوع هو حلّ الألم! لم يتركنا الله عاجزين!

إن كُنّا سننتالم بدون الله، إذن لماذا لا نتالم معه. ونحن واثقين أنه، إمّا سينجيننا منه في الوقت المناسب، أو سيُخرج منه خيرًا. بالنسبة لي، ما يفهمه عقلي هو الثقة في الله. تفتح الثقة في الله احتمال أن نتلقّى المعونة، بينما عدم الثقة في الله، أو عدم الإيمان به، تجعل مصيرنا هو المُعانة دون أمل في النجاة أو الشفاء.

يجعل الله كلَّ الأشياء تعمل معًا للخير للذين يُحبونه، ويثقون فيه، ويريدون مشيئته! لقد وُلدنا بإرادة حرة، وعندما نتألم، يكون اختيارنا أيضًا أن نثق في الله، أو لا نثق.

كلُّ الألم هو نتيجة للخطيَّة

إنَّ لم تكن هناك خطيَّة، ما كَانَ هناك ألمٌ. كلُّ الألم والشر هو نتيجة للخطيَّة. ربما يكون نتيجة مباشرة لخطيتنا نحن أو خطيَّة شخص آخر. أو نتيجة غير مباشرة للعيش في عالم ساقط. إنَّ إبليس هو مصدر الخطيَّة. إنه المجرَّب والمخادع. لذا يُمكننا أن نقول بحق إنَّ إبليس هو مصدر مَشَاكِلنا. لكن يجب أن نتحمل أيضًا بعض المسؤولية بأن ندرك أنَّ اختيارنا لَمَن سنسمع له، ونتبعه، ما زال أمرًا يعتمد على إرادتنا الحرة. هل سنؤمن بالله، ونستمتع بخضوع لتعليماته التي يُعطيها لحياتنا، أم سنسمح للجسد أن يحكمنا من خلال أكاذيب إبليس؟ يمنحنا إبليس بهجة مؤقتة، تروق لَمَشَاعِرنا، بالضبط كما فعل مع حواء، أمَّا الله فيقدم لنا حياة أعظم بكثير من مُجرَّد بهجة مؤقتة. إنه يمنحنا علاقة صحيحة معه، وسلامًا، وفرحًا، وحياءً هادفةً من خلال الشَّرِكَة والعِشرة معه.

دعني أنبهك ألا تحاول جاهدًا أن تربط بين معاناتك وبين خطيَّة شخصيَّة معيَّنة. أضاف مرضى كثيرون إلى بؤسهم بأن سقطوا فريسة للشعور بالذنب على ما يُمكن أن يكونوا قد أخطأوا فيه ليفتحوا الباب لمرضهم. رغم أننا يُمكن أن نفتح الباب للمرض عن طريق الخطيَّة الشخصيَّة، غير أنه من المُمكن جدًّا ألا نكون قد فعلنا أي خطأ كَانَ سببًا في المُشكلة؛

وهي ببساطة نتيجة لوجودنا في عالم خاطئ؛ حيث الاضطراب والمرض هما بعض التأثيرات الناتجة عنه. لا تضايق نفسك بالشعور بالذنب عندما تعاني بالفعل من حدث مؤلم أو حدث مأساوي آخر. حتى عندما يختار الله أن يرينا أننا فعلنا خطأ ما، لا يجعلنا نشعر بالذنب أثناء هذه العملية. قد يرينا الله ذنبنا؛ لكن يُعطينا فرصة للتوب ونقبل غفرانه. الله لا يديننا؛ هذا عمل الشيطان.

يُريد الناس أن يعرفوا هدفهم في الحياة أكثر مما يريدون أن يعرفوا لماذا يتألم الناس، ولماذا يمتلئ العالم بالشر. يُريدون أن يشعروا أن لهم قيمة. إنَّ مُشكلة الإنسان ليست الألم، بل المتعة المفرطة التي لم تُعد تشبعه أبدًا. مثلًا دولة مثل الهند مليئة بكل أنواع الألم وهي دولة متدينة جدًا. رغم أنها مليئة بالأديان المزيفة إلا أن أفراد شعبها يبحثون عن الله. يُؤمنون بعبادة شيء ما غير أنفسهم. لكن العالم الغربي، الذي وُلد من إيمان عظيم بالله، استمتع بكل أنواع المتع، ورغم ذلك يبدو أنه يبتعد أكثر وأكثر عن الله. قال العالم الغربي لله ما معناه إنه لم يعد مرحب به. نحن كدول نتحول إلى النزعة الإنسانية، وهي أن يكون الإنسان متحكمًا بدون الله.

كلما ازدادت الخطيئة، ازداد الألم والشر. لكن مهما تحولت الأمة بعيدًا عن الله، فأى فرد يلتفت إليه، واثقًا فيه في كل الأمور، سيختبر جمال قبول معونة الله في شدائده. سيختبر ذلك الشخص التحرير أيضًا، وقدَّرًا كبيرًا من الحماية من الشر. لكن الكتاب المقدس لا يعد أبدًا أنه يُمكننا أن

تجنب الشر بشكل كامل. نحن في العالم، والعالم ملئ بالخطية؛ لذا لا يمكننا أن نتجنب كل تأثيرها.

يمكن تقسيم الألم إلى قسمين. القسم الأول هو الناتج عن القرارات الأخلاقية، والقسم الثاني، وهو الألم الطبيعي، الذي يتضمن الكوارث الطبيعية مثل الفيضانات والحرائق والعواصف وما شابه. هل هذه الكوارث من الله أو بسماع من الله؟ يرى بعض اللاهوتيين أنها منه، ويرى آخرون أنها ليست منه. بدلاً من أن ندخل في نقاش لاهوتي عن هذا الأمر، أفضل أن أرى أن الكوارث هي أين الأرض تحت حمل الخطية.

هناك دائماً أناس صالحون وأبرياء يدّمرون من جرّاء الخسارة والمعاناة الناجمين عن الكوارث الطبيعية. أفضل في المقام الأول أن أحاول مساعدة هؤلاء، بدلاً من أن أتناقش في سبب حدوث الكوارث. هناك من يؤمنون بالله ويثقون فيه، لكنهم متأثرون سلباً من جرّاء الكوارث الطبيعية بالضبط مثل الأشرار، وهذه أمور لا يمكننا تفسيرها - على الأقل أنا لا يمكنني تفسيرها. لكن من يثقون بالله يمكنهم الحصول على أمل في المعونة والتعويض. تنتصر الرحمة والشفقة دائماً على الدينونة.

متى ستأتي المعونة؟

يبدو أن الله يعينني أحياناً، وفي أحيان أخرى لا. رغم أن الأمر يبدو لي هكذا، إلا أنه ليس هكذا. عندما لا يمنحني الله المعونة التي أريدها، بالطريقة التي أريدها، تُساعدني معرفتي بشخصية الله أن أثق بأنه

يُسَاعِدُنِي دَائِمًا بالطريقة الأفضل لي. عندما أطلب منه ذلك. كثيرًا ما تكون كلُّ غايتنا أن نحصل على ما نُريد لدرجة أننا ربما نشعر أن الله إن لم يعطنا إياه، فهو لا يُسَاعِدُنَا أبدًا. إنَّ الانشغال الزائد بالإرادة الشخصية ربما يعمينا عمًّا يفعله الله لمساعدتنا.

هناك موضوع التوقيت أيضًا. أحيانًا نُصَلِّي فيُسَاعِدُنَا اللهُ وينقذنا في الحال، وأحيانًا أخرى تأتي معونته بجدول زمني لا نفهمه. إن كنتُ أُمُرُّ بأمر ما يسبب لي مُعَانَاة، والله سينقذني، إذن لماذا ينتظر شهورًا أو حتى سنين حتى ينقذني؟ دائمًا يكون لديه أسبابه، لكنه نادرًا ما يُشَارِكُنَا بها. إنه يستخدم معاناتنا أحيانًا ليعمل أمرًا ما فينا لم نكن سنسمح له أن يعمل في أوقات الحرب.

قال سي. إس. لويس C. S. Lewis: "يُصر الألم على أن يكون موجودًا. يهمس الله لنا في وقت فرحنا، يتكلم في ضمائرنا، ولكنه يصرخ في وقت ألمنا. إنَّ الألم هو بوق الله الذي يستخدمه ليوقظ عالمًا أصم." ٨

عندما نسمع صوت الله، لا تكون بالضرورة هذه أول مرّة يتحدث فيها إلينا. اكتشفتُ أن أفكارِي الشخصية عن موضوع معيّن أحيانًا ما كانت تمنعني من قبول أفكار الله، التي كانت مُختلِفة تمامًا عن أفكارِي. ذكرتُ من قُبَل أنَّ استجابة الله في موضوع جفاف عيني كانت أن أشرب مزيدًا من الماء، لكن. ولأنني كنتُ أعتقد أنني أشرب بالفعل الكثير من الماء، لم أكن أقبل استجابته. أنا أنظر إلى الماضي الآن. وأدرك أنه استخدم العديد من

الأشخاص ليقول: "ربما تحتاجين أن تشربي المزيد من الماء." لكنني كنت أجيب بسرعة: "أنا أشرب الكثير من الماء بالفعل؛ ليس هذا هو الحل!".

هناك رجل في ٢ ملوك أصحاب ٥ يدعى نعمان. كَانَ قائد الجيش السوري. وَكَانَ رَجُلًا عَظِيمًا وَشَجَاعًا. لَكِنَّهُ كَانَ أَبْرَصًا. جَاءَتْ إِلَيْهِ رِسَالَةٌ عَبْرَ خَادِمَةٍ تَقُولُ إِنَّ النَّبِيَّ أَلِيْشَعَ يَقْدِرُ أَنْ يَشْفِيَهُ. فَأَخَذُوا نَعْمَانَ إِلَى أَلِيْشَعَ. وَمَعَهُ رِسَالَةٌ مِنْ مَلِكِ سُورِيَا يَطْلُبُ مِنْهُ فِيهَا أَنْ يُسَاعِدَ الْقَائِدَ. عِنْدَمَا وَصَلَ نَعْمَانَ، لَمْ يَتَحَدَّثْ إِلَيْهِ أَلِيْشَعَ بِنَفْسِهِ، وَلَكِنَّهُ أَرْسَلَ إِلَيْهِ رِسَالَةً تَقُولُ إِنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَذْهَبَ وَيَغْتَسِلَ فِي نَهْرِ الْأُرْدُنِّ سَبْعَ مَرَّاتٍ وَسَيُشْفَى. غَضِبَ نَعْمَانَ وَرَحَلَ لِأَنَّهُ كَانَ "يَعْتَقِدُ" أَنَّ رَجُلَ اللَّهِ سَيَخْرِجُ إِلَيْهِ وَيَشْفِيَهُ بِمِرَاسِمٍ عَظِيمَةٍ. يَبْدُو أَنَّهُ، وَإِذْ كَانَ قَائِدًا عَظِيمًا، كَانَ مَعْتَادًا عَلَى أَنْ يِعَامِلَهُ النَّاسُ بِعَظْمَةٍ وَجَلَالٍ. لَكِنْ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ كَانَ الْوَضْعُ مُخْتَلِفًا.

يقول الكتاب إِنَّ نَعْمَانَ خَرَجَ غَاضِبًا، وَهُوَ يَقُولُ إِنَّهُ إِنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي نَهْرِ، لَمْ يَكُنْ فِي حَاجَةٍ لِأَنْ يَسَافِرَ كُلَّ هَذِهِ الْمَسَافَةِ لِيَفْعَلَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ هُنَاكَ أَنْهَارًا أَفْضَلَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ يَعِيشُ فِيهِ. لَكِنْ وَاحِدًا مِنْ خَدَمِهِ قَالَ لَهُ: "يَا (أَبِي)، لَوْ طَلَبَ مِنْكَ النَّبِيُّ أَنْ تَفْعَلَ شَيْئًا صَعْبًا، أَمَا كُنْتَ تَفْعَلُهُ؟" (٢ ملوك ٥: ١٣). اسْتَخْدَمَ اللَّهُ ذَلِكَ الْخَادِمَ الصَّغِيرَ لِيَتَحَدَّى كَبِيرَاءَ نَعْمَانَ. الْكَبِيرَاءُ الَّذِي كَانَ يَمْنَعُهُ مِنْ قَبُولِ الشِّفَاءِ الَّذِي كَانَ فِي حَاجَةٍ مَاسَةً إِلَيْهِ. كَمْ مَرَّةً "اعْتَقَدْنَا" أَنَّ أَمْرًا مَا يَجِبُ أَنْ يَسِيرَ بِطَرِيقَةٍ مَعَيَّنَةٍ. وَعِنْدَمَا يَعْرِضُ اللَّهُ عَلَيْنَا طَرِيقَةً أُخْرَى (طَرِيقَتَهُ) نَلْفُظُهَا؛ لِأَنَّهَا لَا نَفْهَمُهَا أَوْ رُبَّمَا؛ لِأَنَّهَا مُسْتَاوُونَ مِنْهَا؟

تقول كَلِمَةَ اللَّهِ: "... عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ مُسْرِعًا فِي
الاسْتِمَاعِ (مُسْتَعِدًّا لِلِاسْتِمَاعِ). مُبْطِئًا فِي الْكَلَامِ، وَمُبْطِئًا فِي الْغَضَبِ"
(يعقوب ١: ١٩). أعتقد أننا ربما نتلقى بعض الاستجابات التي نحتاجها إن
استمعنا بشكل أفضل قليلاً ممَّا اعتدنا عليه. على الأقل أنا أعرف أنَّ هذا
هو الوضع بالنسبة لي.

لقد أحببتُ نفسي كثيرًا عندما كنتُ أصغر وأقل نضجًا في الإيمان:
لأنني كنتُ دائمًا أريد أن أعرف "سبب" كلِّ شيء لا يعجبني أو لا أفهمه.
يا ربُّ، لماذا مرَّ وقت طويل ولم تنمُ خدمتي؟ يا ربُّ، أنا أصلي. لماذا إذن لا
تغيِّر ديف Dave وأولادي؟ الإجابة واضحة أمامي الآن: لم يكن يغيِّر خدمتي
وعائلتي لأنني كنتُ الشخص الذي يحتاج أن يتغير. لم أكن ناضجة بكفاية
لأدرك هذا الأمر في ذلك الوقت.

علَّمتني تلك الاختبارات أنَّ الله يتأخر
أحيانًا في الإجابة؛ لأننا نسأل السؤال الخطأ.
وأحيانًا لا نكون مُستعدين لتلقِّي ما نطلبه.
خُلاصة القول هي: أَيَّا كَانَ السُّؤَالِ، الإجابة هي
نفسها دائمًا: ثِقْ بِاللَّهِ!

يتأخر الله أحيانًا في
الإجابة؛ لأننا نسأل
السؤال الخطأ.

الفصل العاشر

أسباب آلامنا

(الجزء الأول)

”اشكروا الله كُلَّ حِينٍ (أَيَّا كَانَتِ الظُّرُوفُ. كُونُوا شَاكِرِينَ
وَاشْكُرُوا). فَهَذِهِ هِيَ مَشِيئَةُ اللَّهِ لَكُمْ (الَّذِي فِي الْمَسِيحِ
يَسُوعَ . . .“.

(١ تسالونيكي ٥ : ١٨)

رغم أننا لن نفهم الألم أبداً فهماً كاملاً. إلا أن هناك أموراً يُمكن أن نتعلّمها منه. ومن الحكمة أن نفعل ذلك. عندما نفهم أمراً ما. عادةً ما يكون احتمالنا له أسهل ممّا لو كنّا مختارين فيه حيرةً كاملة. عندما لا نكون فاهمين. يُمكن أن يضاعف هذا صعوبة احتمال الثقل. لقد اكتشفتُ أنّ الكثير من الإجابات التي كنتُ أبحثُ عنها في موضوع ”لماذا نتألم؟“ وصلت إليّ من خلال عملية النضوج الروحي. مثلاً. تعلمتُ أنّ بعض الآلام في الواقع مفيدة لي. بعضها أحتاج أن أحتضنه. وأسمح له أن يقوم بالعمل المطلوب منه فيّ. وبعضها أحتاج أن أقف ضده بثبات؛ لأن هدف إبليس منه هو أن يدمرني. في المُستقبل. وبينما أستمر في النمو مع الله. ربما سأفهم أكثر. لكن في الوقت الراهن. سأشارك معك ما تعلمته.

أن نكون شاكرين على بَرَكَات كثيرة في حياتنا. أمر منشط للنفس المتألّمة. كُلَّمَا ركزنا على آلامنا، ازداد ألمنا، لكن من المفيد جِدًّا أن نبحث عن أمور نشكر عليها ونركز عليها. إِنْ آمَنَ أحدٌ أَنَّ اللهَ صَالِحٌ، فحتى وسط أسوأ مُعَانَاةٍ يُثَبَّتْ أَنَّ ثِقته في الله قوية، وَيَقْدِرُ أَنْ يتحملَ كُلَّ ما في الحياة. إِنْ كَلِمَاتِ الامتنانِ الخارجةِ مِنَّا في وجه الألمِ، خاصَّةً ألمِ الظلمِ، هي دليل على ثقتنا في الله، وهي أقوى من أي شيءٍ آخَرَ أعرفه.

إِنَّ الألمَ أمرٌ حقيقيٌّ ومُؤَلِّمٌ. أحيانًا ما يكون مرعبًا جِدًّا، ويبدو غير محتملٍ. ربما يكون ألمًا جسديًّا أو روحيًّا أو عاطفيًّا أو ماديًّا أو في العلاقات. احتمالٌ يَسُوعَ آلامًا أكثر من الآلام التي يُمكن أن يواجهها أي شخصٍ فينا. ورغم ذلك تقول كَلِمَةَ الله إنه تَعَلَّمَ الطاعة مِنَّا تألم به (انظُرْ عبرانيين ٥: ٨). لَمْ يكن يَسُوعَ غير طائعٍ أبدًا. ظلَّ شاكرًا، وكان يتبنى دائمًا توجُّهًا مُجَبَّبًا. لكن من خِلال عذاباته، اختبر التكلفة التي غالبًا ما تُقدِّمُ ثمنًا للطاعة، وكان مُستَعِدًّا ليدفع الثمن كي يتسلح ليخدم كصانع خلاصنا ومُصدِّره (انظُرْ عبرانيين ٥: ٩؛ ١٢: ٢). إنه رئيس الكهنة الذي يفهم كلَّ ألمٍ نخبره في هذه الحياة (انظُرْ عبرانيين ٤: ١٥).

لا يطلب يَسُوعَ مِنَّا أبدًا أن نذهب إلى مكان لَمْ يذهب هو إليه من قَبْل. أرتاح حين أعرف أنه يتقدمني دائمًا، ويجهز الطريق؛ حتى أستطيع أن أسير فيه.

لا يطلب يَسُوعَ مِنَّا أبدًا أن نذهب إلى مكان لَمْ يذهب هو إليه.

ضع هذه الأمور في ذهنك، ودعني أعطيك القليل من الأمور لتفكر فيها أثناء تعاملنا مع الألم الذي نواجهه أحيانًا في هذه الحياة.

الخطيئة هي السبب الأساس لكل الآلام.

لقد أثبتنا أنّ خطايانا أو خطايا الآخرين أو نتيجة العيش في عالم خاطئ وساقط هي السبب في كل الآلام. لكنني أود أن أفضي بالمزيد من مكنون صدري عن هذا الأمر كي نحصل على فهم أفضل له. لم يكن قصد الله الأساس للإنسان أن يختبر الألم والعذاب، وليس من العدل أن نلومه عليهما.

إحدى الطرُق التي تجعل معظمنا يُعاني في كثير من أوقات في حياتنا تكون من خلال المرض. عندما نسمع أنّ الخطيئة والمرض كثيرًا ما يكونان مرتبطين. من السهل أن نتجه نحو محاولة تحديد خطايانا. قد يكون صحيحًا أن أمرًا ما فعلته سبب المرض، إلا أنّ هذه ليست الحال دائمًا، ولا حتى عادة.

لا يُوجد أي مثال في الكتاب المقدّس عن يسوع وهو يربط خطيئة معيّنة بمرض أو سقم معيّن. إنه شافينا، وكثيرًا ما كان يستخدم الشفاء كطريقة لإقناع الناس بأنه إن كان يُقدر أن يشفي الأمراض، إذن فهو يُقدر بالتأكيد أن يغفر الخطايا أيضًا (انظر مرقس ٢: ٩-١٠). تُظهر الدراسة الجيدة والشاملة لكلمة الله أنّ الشفاء وغفران الخطايا جزء من كفارة المسيح (انظر إشعياء ٥٣: ٤-٥). ببساطة، لا يُمكن أن يكون الله شافينا. وفي الوقت نفسه سبب المرض. دعونا نُفصل الأمر بشكل نهائي في قلوبنا، ونقول إنّ الله صالح والشيطان شرير!

عندما يأتي موسم البرد والإنفلونزا كلّ عام، يُعاني جميع الناس من

أثار هذه الأمراض - الصالحون والأشرار، الشباب والكبار! إن الأمر عشوائي جدًا. ومن المشكوك فيه جدًا أن يكون من يصابون بالبرد أو الإنفلونزا هم الخطاة. ومن لا يصابون هم غير الخطاة! مع ذلك، عندما نختبر المرض، أعتقد أن من الحكمة سؤال الله إن كنا قد فتحنا بابًا للمرض بطريقة ما. كثيرًا جدًا لا نتصرف بحكمة في طريقة اهتمامنا بأنفسنا، ويكون هذا سببًا في إضعاف جهاز المناعة لدينا. فنكون معرّضين للمرض أكثر من لو كنا قد سلكنا بشكل مختلف. رغم أن الله يمكن أن يكشف لنا أمرًا يجب أن نتجنبه في المستقبل، إلا أن هناك أوقات أيضًا فيها لا يكشف لنا ذلك. عندما يصمت، أطلب الشفاء ببساطة، وأثق أن الله سيخرج خيرًا من هذا الأمر.

من السهل أن نفهم الأمر حين نتحدث عن البرد أو الإنفلونزا، لكن الأمر يصبح أكثر صعوبة عندما يكون المرض سرطانيًا، أو يكون الوضع أكثر ألمًا، وأكثر خطرًا على الحياة. وكلما كان الوضع أكثر ألمًا، ازدادت صعوبة فهمنا له.

أصبت بسرطان الثدي عام ١٩٨٩، وأدركت من فترة وجيزة فقط أنه كان من الممكن أن أتجنبه إن كنت أكثر حكمة في طريقة اهتمامي بجسدي. في ذلك الوقت في حياتي، كانت خدمتنا جديدة، وكنت أعيش تحت ضغط مستمر لأنني لم أكن قد عرفت الكثير عن الثقة بالله، وعن الصبر. بالإضافة إلى محاولة تطوير الخدمة، كنت أمر بعملية شفاء داخلي مع الله كانت أيضًا مؤلمة وصعبة. لم أكن آخذ كفايتي من النوم، ولم أكن أمارس الرياضة بشكل جيد. كنت أعمل بجهد، ولم أكن آخذ ما يكفي من

الرَّاحَة. كنتُ أكلُ الكثير من الوجبات السريعة، وأشرب الكثير من القهوة. لم أكن أشرب كمية كافية من الماء، وكنتُ أغضب وأتضايق كثيرًا جدًّا. وكنتُ أصاب بالإحباط - وتطول القائمة. كانت النتيجة أنَّ الضغط سبَّب اختلالًا في التوازن الهرموني ممَّا أثر على دورتي الشهرية، وانتهى بي الأمر بالذهاب إلى طبيب نصحني بأن أجرى استئصالًا للرحم ثم أخذُ حَقْنَ إستروجين. ساعدني هذا كثيرًا. وفي النهاية كنتُ أخذ حقنة كلِّ عشرة أيام. وبعد حوالي عام، أُصِبْتُ بورم في الثدي مُعالٍ من الإستروجين. بمعنى آخر، كانَّ الورم يتغذى وينمو بسبب الإستروجين. كانَّ نوعًا من السرطان الخطير والسريع النمو، وكانَّ ينبغي أن أجرى جراحة شديدة.

في هذا الموقف، لم يعاقبني الله، ولا لامني على عدم اهتمامي بنفسي بشكل أفضل. نجحت العملية ولم أحتج إلى أي علاج آخر. بالنسبة لي كانت هذه بمثابة معجزة في حد ذاتها. لكن الله استخدم ذلك الموقف كفرصة لبدأ عملية تعليمي أهمية احترام لجسدي بما أنه هيكله. وأنا الآن أتخذ قرارات يومية أفضل بكثير فيما يخص صحة جسدي. وصلتُ إلى نقطة الإيمان الشخصي بأنه، وبما أننا قد اشترينا بثمنٍ، وننتمي إلى الله، وبما أنَّ أجسادنا هي هيكل (بيت) الله، فإنَّ عدم احترام أجسادنا، والإساءة إليها، يُعْتَبَرُ خطيئة. إنَّ كانَّ هذا يبدو أمرًا متطرفًا جدًّا بالنسبة لك، ضعه جانِبًا الآن. لكنني أشجِّعك أن تقدِّر نفسك بما يكفي لتهتم بنفسك جيدًا.

اكتشفتُ من خلال التحدث مع الناس أنَّ الكثير منهم - وربما أغلبهم - يسيؤون إلى أجسادهم. ربما يكون الأمر ببساطة أننا لا نعرف أهمية

كوننا بصحة جيدة. ولهذا السبب (حتى إن كَانَ لا يُوجَد أسباب أخرى). من الحكمة أن نطلب من الله أن يعرّفنا المصدر الحقيقي لأي مرضٍ يصيبنا. أقترح أن تستثمر وقتك في قراءة كتاب واحد حتى جيّد. عن كيف تكون بصحة جيدة روحيًا ونفسيًا وجسديًا، وأنا أثق ثقة كبيرة في أن ذلك سيفتح عينيك على أمور كثيرة، ربما كانت عيناك مغمضتين عنها في الماضي.

كان الله رحيماً ورؤوفاً جدًّا معي عندما أصبت بالسرطان، وكانت الحصلة من أفضل ما يكون. أريد أن أوضح أنني أنا لا أفصد أبدًا بمشاركتي اختباري معكم، أن الذين يصابون بالسرطان لا يهتمون بأنفسهم. أنا لا أعرف كل الأمور التي تسبب الأمراض، لكنني أعرف أننا يجب أن نستثمر في صحتنا، ونظل أقوىاء قدر الإمكان. يجول إبليس في الأرض باحثًا عن شخص يستولي عليه ويلتهمه، وأنا سأفعل كل ما بوسعي حتى لا أكون أنا هو ذلك الشخص. يقول ١ بطرس ٥: ٨ "كونوا منضبطي النفس... متعقلين متيقظين. لأن عدوكم الشيطان يتجول مثل أسد يزأر (بجوع شديد) باحثًا عمّن يلتهمه." يقول لنا بطرس أن نكون منضبطي النفس لكي لا نلتهم. لقد كنت غير منضبطة تمامًا في طريقة تعاملتي مع الحياة. لا يمكننا أن نكسر قوانين الله الصحية الموجودة في كلمته، ونتوقع ألا يكون لذلك أي تأثير سيء. إن لم نهتم بأنفسنا جيّدًا فأقل ما سيحدث هو أننا سنتعب.

أجريت مؤخرًا عملية تغيير ورك كامل؛ لأنني كنت أعاني من التهاب المفاصل، وتشوّه مفصل الورك في جسمي. بالرغم من أنني كنت مذهولة

من كم كانت معافاتي جيدة. إلا أنني اختبرت أياماً من الألم الشديد الذي كان بسبب الحركة الزائدة من ناحيتي. كان الألم هو الطريقة التي يُخبرني بها جسدي أن أتأني. وأقلل حركتي. وأكون أكثر صبراً. حتى طبيبي قال لي أن أجعل ألمي مرشدي فيما أقدر أو لا أقدر أن أفعله. قال: "إن فعلت الكثير في يوم وتسببت في زيادة الألم في اليوم التالي، قللي حركتك ودعي مكان الألم يهدأ."

كما كتب بولس لأهل أفسس: "لذلك تقلدوا سلاح الله بكامله، و... كونوا صامدين". (انظر أفسس ٦: ١٣). اثبت في المسيح، اثبت في محبته، وثق أنه سيشفيك. افعل ما يريك الله أن تفعله، ثم استرح معتمداً على محبته، متوقفاً إحياءً كاملاً وشفاءً كاملاً.

بالرغم من أن الرجل الحكيم لا يتجنب كل الآلام، إلا أنه يتجنب

يُعاني الرجل الحكيم
مُعانة أقل من مُعانة
الرجل الجاهل.

الكثير من الأمور التي لا يتجنبها الجاهل. بحسب قوانين الله، نحن نحصد ما نزرعه (انظر غلاطية ٦: ٧؛ متى ٧: ١-٢؛ لوقا ٦: ٣١). بالنسبة لي، هذه فكرة حكيمة؛ وهي فكرة يجب أن نتذكرها كل يوم.

إن خان رجل زوجته في مناسبات عديدة، ربما يُعاني من فقدان العلاقة. إنه خطؤه هو، وهو يحصد ما قد زرعه. إن صرف أحد أمواله بكثرة، ودون وعي؛ ثم انتهى به الأمر تحت ضغط الدين، فهذا خطؤه هو؛ لأنه زرع بجهل؛

وهو الآن يحصد النتائج. هناك الكثير من الإشارات في كتاب الأمثال عن كيف أن كَلِمَاتِ الجاهل تسبب مَشَاكِلَ في حياته. إليكم مثال:

”كَلَامُ الأَحْمَقِ (الواثق من نفسه) يُؤَدِّي إِلَى الجَدَلِ، وَفَمَهُ يُسَبِّبُ لَهُ الضَّرْبَ. فَمُ الأَحْمَقِ (الواثق من نفسه) يُسَبِّبُ دَمَارَهُ، وَكَلَامُهُ يُشْبِهُ الفَحْحَ لِحَيَاتِهِ.“

(أمثال ١٨ : ٦-٧)

هناك آيات كثيرة أيضًا تُعَلِّمنا مدى نفع كَلِمَاتِ الرُّجُلِ الحَكِيمِ. هذا مثال واحد فقط:

”هُنَاكَ ثَرْتَةٌ مِثْلُ الطَّعْنِ بِالسَّيْفِ، إِمَّا كَلَامُ الحَكِيمِ فَفِيهِ شِفَاءٌ.“

(أمثال ١٢ : ١٨)

بالإضافة إلى جهادنا للتكلم بكَلِمَاتِ حكيمة، يُمكننا أن نختار الأفعال الحكيمة. تُعَلِّمنا الأمثال أن الحِكْمَةَ هي أَقِيمُ شيء يُمكن أن نسعى إليه ونمارسه. إنَّ الوعود التي أُعْطِيَت للحكيم كثيرة، وتستحق أن نرغب فيها. على سبيل المثال لا الحصر: العناية والغنى وطول العمر والرفعة والصفاء والحماية.

من الواضح أننا لا نحصد أو نختبر في الحال تأثيرات كل اختيار جاهل نقوم به، وإلا أصبحنا جميعًا في مُشْكِلَةٍ خطيرة. نشكر الله لأنه يُمكننا

أن نأخذ غفرانه ورحمته، لكن عندما نصمم على زرع الجهالة، سنحصد النتائج، ونختبر بعض أنواع المعاناة.

نحن نعيش في عالم مبنٍ على أسس أخلاقية، وهناك عواقب للسلوك غير الأخلاقي. مثلاً، إن شرب أحد الكحول وقاد سيارة، ربما يتأذى أو يؤدي شخصاً آخر. إن كان شخص لديه مزاج سيئ بشكل مستمر، فمن المتوقع جداً أن ينتهي به الحال وحيداً. إن قتل شخصاً أحداً، فرغم أنه يمكن طبعاً أن يحصل على الغفران، لكنه على الأرجح سيقتضي حياته في السجن. ليست فكرة سيئة أن نبدأ كل يوم بالتفكير في كيف أن كلماتنا وأفعالنا لها عواقب. ربما يشجعنا هذا على اتخاذ قرارات أكثر حكمة.

يتحدث الرسول بطرس عن الألم الذي نستحقه، والألم الذي لا نستحقه. يقول إن من الأفضل أن نتألم ونحن مظلومون؛ لأننا فعلنا الصواب. عن أن نتألم بعدل؛ لأننا فعلنا أمراً خاطئاً (انظر ١ بطرس ٢: ١٩-٢٠؛ ٤: ١٥-١٦).

بالطبع يمكنني أن أقول إنني كلّمًا درست كلمة الله، وتعلّمت الحكمة منها، وطبقتها في حياتي، تقلّ معاناتي. إن الكتاب المقدس هو كتاب التعليمات الخاص بنا في الحياة! ويمكنه أن يساعدنا لنفكر جيّداً في كل قرار نتخذه. وهذا أمر مهم؛ لأن كل قرار يحمل عواقب. أولئك الذين يتبعون كلمة الله لن يضطروا أبداً أن يقعوا ضحية ظروفهم. لأنهم ليسوا فقط يستطيعون أن يتخذوا قرارات ستساعدهم لينتصروا على ظروفهم. لكن يمكنهم أيضاً أن يتعلموا منها. وقعت ضحية للتحرش الجنسي قبل أن

أَتَعَلَّمَ كَلِمَةَ اللَّهِ، لكنني الآن حرة من تأثيره؛ لأنني قمتُ باختيارات تتوافق مع طُرُقِ اللَّهِ.

كَتَبَ بُولُسُ لَتِيموثَاوَسٍ يُذَكِّرُهُ بِأَنَّ أَيَّ شَخْصٍ يَنُوي أن يعيش حياة تقيّة

سَيُعَانِي من الاضطهاد؛ بسبب ثباته الديني (انظر ٢ تيموثاوس ٣: ١٢). قال بُولُسُ أيضًا إنَّ اللَّهَ نَجَاهُ من كلِّ الاضطهادات، رغم أنه عانى من كثيرٍ منها (انظر ٢ تيموثاوس ٣: ١١). أنا

سوف نُعَانِي من
الاضطهاد بسبب
إيماننا المَسِيحِي.

ممتنة جدًا لأنه لدينا وسط كلِّ أنواع المُعَانَاة، وعدُّ بالانقاذ، وامتنياز الثقة في أنَّ اللَّهَ سينجيننا. ربما علينا أن نصبر ونتحمل الضيق لفترة من الزمن، لكن اللَّهَ أمين، وإلى أن ينقذنا، سيقومنا لنحمل المُشْكِلَةَ بتوجهٍ جيّدٍ إنَّ كُنَّا مُسْتَعِدِينَ أن نفعل ذلك.

قليلون جدًا مِنَّا مَنْ قَدَّمُوا خِدْمَةً حَقِيقِيَّةً ناجحة مؤثرة، ولم يختبروا. ولو، بعض الاضطهاد. كثيرًا ما يأتي ذلك الاضطهاد على هيئة رفض. إنَّ خِبرتي الشَّخْصِيَّةَ في هذه الناحية كانت عويصة ومؤلمة. عندما اتبعت الدعوة التي كانت على حياتي، بأن أُعَلِّمَ كَلِمَةَ اللَّهِ، طُلبَ مِنِّي أن أترك كنيسة، واختبرتُ الرفض من عائلتي وأصدقائي. يصعب علينا جدًا كَبَشْرُ أن نجد الوحدة وسط التنوع. نُريد أن يكون الجميع مثلنا لأنهم لو لم يكونوا مثلنا، نشعر أنَّ أفكارنا وآراءنا وأفعالنا تُهَاجِم.

كنتُ أخطو خارج الدور العادي المقبول للمرأة، وكنتُ واثقة أنَّ اللَّهَ كلمني. كَانَ ذلك كافيًا لإغضاب الناس. مَنْ كنتُ أظن نفسي؟ لَمْ أَكُن متعلمة تعليمًا

جيداً؟ كنتُ امرأة. والنساء لا يفعلن مثل هذه الأمور في دوائرنا الرُّوحية. لم أكن أدرك هذا في ذلك الوقت، لكنها كانت محاولة الشيطان الأولى ليجعلني أستسلم. وأستمر حيث أنا. حيث البؤس وعدم الشبع.

تلقى الرسل تحذيراً من الرُّوح القُدس بأنهم سيُضطَّهَدون، إلا أنهم تقدموا للأمام بكلِّ شجاعة. يَعْلَمنا يَسُوع أن مَنْ يسمع الكَلِمَةَ "ويقبلها بفرح (لكن ظاهرياً فقط)" يصمد لوقتٍ قصير، وعندما يأتي الاضطهاد (الألم) بسبب الكَلِمَةَ، في الحال يستاء ويتعثر ويسقط (أنظر مرقس ٤: ١٦-١٧).

كلُّنا نريد أن نكون مقبولين. لا أحد يستمتع بالألم الرفض؛ إنه ألم وجداني يُمكنه أن يكون قوياً جداً، ويُمْكِن أن تستمر آثاره معنا لوقت طويل. لقد رَفِض يَسُوع وأهين (أنظر إشعياء ٥٣: ٣). في الواقع، يقول يوحنا ١٥: ٢٥ إنهم كانوا يكرهونه بلا سبب. لقد كَانَ صَالِحًا وَلَمْ يَفْعَل شَيْئًا خَاطِئًا ورغم ذلك اضطَّهَد. وهو يقول لنا إِنَّ التلميذ ليس أفضل من معلمه (أنظر لوقا ٦: ٤٠). إِنْ كَانَ هو قد تألم، فَيُمْكِننا أن نتوقع أن نتألم نحن أيضاً.

أريد أن أشارككم ببعض آيات عن الألم كَانَ صَعْبًا عَلَيَّ فَهُمَّهَا فِي السَّنَوَاتِ الْأُولَى مِنْ حَيَاتِي:

"فَجِئِن تَسَاءَ مُعَامَلَةٌ إِنْسَانٍ، وَيَحْتَمِلُ أَلَمَ الظُّلْمِ مَتَفَكِّرًا
بِاللَّهِ، فَإِنَّهُ يَسْتَحِقُّ الْمَدِيحَ (يكون مستحسنًا ومقبولًا
ويستحق الثناء) . . .

فَهَذَا مَا دَعَاكُمْ اللَّهُ إِلَيْهِ (غَيْرُ مَنْفَصِلٍ عَنْ رِسَالَتِكُمْ): أَنْ
تُقْتَدُوا بِالْمَسِيحِ الَّذِي تَأَلَّمْ مِنْ أَجْلِنَا. فَتَرَكَ لَنَا مِثَالًا لِكَيْ
تَتَّبَعَهُ.

(١ بُطْرُسُ ٢: ١٩، ٢١)

لم أستطع فهم لماذا يُمكن أن يفرح الله عندما أتألم، لكنني أدركت
أخيرًا أنّ ما يفرحه ليس ألمي ومعاناتي، بل حقيقة أنني مُستعدة أن يحدث
لي هذا من أجله. ليس ضيقنا هو ما يمجد الله، بل قدرتنا على أن يكون لنا
توجه جيّد في الضيق. عندما نتضايق، يتضايق الله معنا، بالضبط تمامًا
مثلما نتضايق عندما يتضايق أولادنا. لا يُمكن لشيءٍ أن يفصلنا عن محبّة
الله، وهو لا يتركنا أبدًا، ولا للحظة واحدة (انظر روما ٨: ٣٨-٣٩؛ عبرانيين
١٣: ٥). قد نشعر أنه تخلّى عنّا، كما حدث مع يسوع على الصليب، إلا أنه
لا يتركنا.

مهما كان ما تمر به في هذه اللحظة، أرجوك اعلم أنّ الله معك، وأنّ
لديه خطة لإنقاذك وشفائك.

مهما كان ما ما تمر به في هذه اللحظة، أرجوك اعلم أنّ الله معك؛ وأنّ
لديه خطة لإنقاذك وشفائك.

قال يسوع إنّنا نتبارك عندما نُضطهد من أجل البر؛ وإنّ أجرنا سيكون
عظيمًا في السماء (انظر متى ٥: ١٠-١٢). إنّ كنت مثلي، وتفضّل ألا تضطر
للانتظار حتى تذهب إلى السماء لترى أيّة مكافأة، قال يسوع أيضًا إنّنا
إن تركنا أي شيء من أجله، ومن أجل الإنجيل، سنحصد في هذه الحياة.

وفي الحياة الآتية (أنظر مرقس ١٠ : ٢٩ - ٣٠). من هاتين الآيتين نرى الوعد بالمكافأة في السماء وعلى الأرض.

إنَّ أحدَ الأمور التي كثيرًا ما يكون علينا أن نتركها كي نخدم الله بكلِّ قلوبنا؛ هي سُمعُنا. جرَّد يسوع نفسه من السمعة الجيدة (أنظر فيلبي ٢ : ٧). ومن السهل عليَّ الآن فهمُ السبب. إنَّ كُنَّا نهتم كثيرًا بما يقوله الناس عَنَّا، لن نتبع يسوع بشكلٍ كاملٍ أبدًا. لقد ضحيتُ بسمعتي وسط أولئك الذين كنتُ أعرفهم عندما دعاني الله. وقد كافأني الآن. لديَّ أصدقاء الآن أكثر بكثير ممَّن تخلَّيتُ عنهم في الماضي.

يكافئ الله الذين يطلبونه بجدية (أنظر عبرانيين ١ : ٦). عندما تُعاني من الاضطهاد، انظر للمكافأة التي أعدها الله لك! إنَّ كنتَ تعاني من فقدان سُمعتك، أو من حُكم الناس الظالم عليك، وانتقادهم لك، بسبب إيمانك بالله، لا تيأس. استمر واثقًا في الله وترقب مكافآتك.

الفصل الحادي عشر

أسباب الآمناء (الجزء الثاني)

في الفصل السابق، تحدثت عن أسباب ثلاثة جعلنا نتألم. كان السبب الأول هو وجود الخطيئة. والثاني، تحدثت عن المعاناة بسبب عدم القيام باختيارات حكيمة. وثالثاً، تحدثت عن المعاناة الناتجة عن الاضطهاد بسبب إيماننا بالله.

في هذا الفصل، أريد أن أستمر في مناقشة أسباب الآمناء. وأصلي أن يكون هذا مفيداً لك في مسيرتك مع الله.

نحن نعانى من الظلم بسبب خطايا الآخرين

هذا النوع من الألم من الصعب علينا جداً أن نتحمّله؛ لأننا نشعر أننا أبرياء تماماً، ورغم ذلك نتألم بسبب شيء خارج عن إرادتنا. أول فكرة تأتي إلينا هي هذه: "هذا ظلم"، وهو ظلم بالتأكيد. لكن ورغم أنّ الحياة ليست دائماً عادلة، إلا أنّ من يضع ثقته في الله يُمكنه توقُّع أن يرى عدله

- في وقته وبطريقته. يُجِبُّ اللهُ العَدْلَ، لذلك يستمتع بتصحيح الأوضاع الخاطئة. إنه مَنْ يَحَامِي عَنَّا، ويعوِّضنا عندما نُظَلِّم.

سواء أكان الظلم هو الإساءة في الطفولة، أو بسبب لون بشرتك، أو جنسك، أو جنسيتك، أو آلاف الأمور الأخرى، المعاملة الظالمة دائمًا ما تجرح بشدة، وإنْ لَمْ نعالجها بشكلٍ سليم، يُمكن أن تترك جروحًا وندبات عميقة في نفسياتنا، تؤثر على طريقة حياتنا.

إحدى صفات الله الشخصية التي تحمسنني بشِدَّة هي أنه إله العَدْل. وهذه إحدى وعوده التي يُمكننا أن نثق بها:

فَنَحْنُ نَعْرِفُ اللهَ الَّذِي قَالَ: «لِي الأَنْتِقَامُ، (القصاص وإقامة العدالة لي أنا) وَأَنَا الَّذِي سَيَجَازِي (المخطف).» ومرة أخرى: «الرَّبُّ سَيَحْكُمُ عَلَيَّ شَعْبِهِ.»

(عبرانيين ١٠: ٣٠)

يا للجمال! هذه آيات رائعة ومعزية. إنْ كُنْتَ تعاني من ظلم الآخرين لك، يجب أن تخبئ هذه الآيات في قلبك، وتثق أَنَّ الله سيحقق الوعود الموجودة فيها في حياتك.

لقد اختبرتُ عدله في حياتي في مناسبات كثيرة. لقد ذكَّرتُ الرفض الذي اختبرته في بداية خدمتي، ورغم أنه استمر سنواتٍ عديدة، إلاَّ أَنَّ العديد مِمَّن أساءوا إِلَيَّ بشِدَّة اعتذروا لي، وقالوا إنَّ الطريقة التي عاملوني بها كانت خاطئة.

إِنَّ التعويض عن الظلم يعني أن يُرد لك ما يعوّض ما حدث لك. لا يُوجد ما هو أحلى من أن تشاهد الله وهو يكرمك ويباركك؛ لأن شخصاً ما عاملك بطريقةٍ ظالمة. لكننا يجب أن نتوقف عن محاولة جعل الآخرين يعوضوننا عن الظلم الذي تحملناه إن أردنا أن نرى الله يدافع عنّا.

بعد أن تمّ التحرش بي جنسيّاً من قبل والدي، وتُركت وحدي في هذا الوضع؛ إذ تخلّت أمي عني، وكذا أقاربي، أصبح لديّ بالطبع توجهات كانت تُسهم حياتي. أردتُ أن أنتقم من الأشخاص الذين أساءوا إليّ، والذين لم يُساعِدوني أيضاً. كنتُ أشعر بالمرارة، وكنتُ ممثلة غضباً، وشعرتُ أنّ العالمَ مديون لي بشيءٍ ما. بالطبع لم يفدني أي توجّه من هذه التوجهات. لم تجل مشكلتي، ولم تجعلني أشعر بالتحسن، لكنها كانت تستمر في جعلني أشعر بالبؤس. لقد أساء الناس معاملتي، وكانَ هذا سيئاً بما يكفي. لكن بعد سنين عديدة كنتُ لا أزال ضحية عالقة فيما حدث من قبل. كنتُ بالفعل أشعر أنني لن أحظى بحياة صحية طبيعية، أو حياة عاطفية طبيعية أبداً.

كنتُ مؤمنة، لكنني لم أكن أعرف كَلِمَةَ الله جيداً. كنتُ مولودة ثانية، لكنني كنتُ بعدُ أفعل الأمور بطريقتي؛ بدلاً من أن أتعلم طُرقَ الله، وأتبعها. عندما تعلمتُ أنّ الله يُحب العدل، وأنه يُريد أن يتعامل مع أمور الماضي الخاص بي بنفسه، بدلاً من أن أحاول فعلَ الأمور بطريقتي، بدأ كلُّ شيء يتغيّر بالنسبة لي. لن أقول إنّ كلَّ شيء حدث بين ليلةٍ وضحاها، لكن كَسْرِي قد شُفِي بالتدرّج، وأخذ الله بالفعل الأمور السيئة التي فعَلها الناس بي، وأخرج منها خيراً.

يُريدنا الله أن نترك الماضي، ونسامح أعداءنا بالكامل، ونصلي من أجلهم، ونباركهم أيضًا. بينما يقودنا في كيفية فعل ذلك. اعتذر لي أبي في النهاية، وبكى تائبًا. كَانَ لي امتياز قيادته للرب، وتعميده. أَخْبَرَنِي كَمْ أنه فخور بي، وبالعمل الذي قَد بوركْتُ بعمله في الخِدْمَةِ.

يُمْكِنُنِي الآن أن أقول إِنَّ مُعْظَمَ آلامنا في الحياة تأتي بسبب المعاملة الظالمة من الأشرار، لكن بعضها يُمكن أن يأتي من الناس الذين يقولون إنهم يُحبوننا. عندما يكون الوضع هكذا، تكون الجروح أعمق. لكن مهما كَانَ عُمقُ المُشْكَلَةِ، أو شدتها، يُمكن أن يصل الله إليها، ويشفيها، ويُخْرِجُ منها خيرًا، ويعوّضك عن ألم الماضي.

يُعطينا إكليلاً عَوَضًا عن الرماد، وزيت فرح عَوَضًا عن الحزن (انظُرْ إشعياء ٦١: ١-٣). وهو يَعِدُنَا أن يعوّض لنا عَمَّا فُقدناه.

”فَإِنَّ إِلَهَكُمْ سَيُعِيدُكُمْ إِلَى حَالَتِكُمْ السَّابِقَةِ، وَسَيَرْحَمُكُمْ وَيَجْمَعُكُمْ ثَانِيَةً مِنْ كُلِّ الشُّعُوبِ الَّتِي شَتَّتَكُمْ إِلَيْهَا.“
(تثنية ٣٠: ٣)

لا أحد يُريد الألم والمعاناة في حياته، لكن جيد أن تعرف أنك عندما تجتاز فيهما، فَإِنَّ الله مُستَعِدُّ أن يعوّضك إن اتبعت طُرُقَه، ووثقت أنه سيفعل ذلك.

نحن نتألم لأننا نحاول تغيير أمور لا يُمكن أن يغيّرها سوى الله

أظنُّ أن أحد أول الأمور التي كَانَ عَلَيَّ تعلُّمها، والتي خففت كثيرًا من

معاناتي العاطفية هي أنني لستُ المسيطرة على الكون. بما أنني وُلدتُ بطبعٍ قويٍّ بالطبيعة، وتوجه عدواني يُحب تولي المسؤولية، صارتُ محاولةً أن أتحكم في أمور كثيرة، وأغَيِّرُها، ولم يكن لي سلطانٌ عليها. تطلَّب الأمر سنين طويلة مؤلمة لأفهم أنَّ الله كان مهتمًّا بتغييرِي: أكثر ممَّا كان مهتمًّا بتغيير ظروفِي السيئة. بالطبع، صارتُ أيضًا محاولةً أن أغَيِّرَ الناس الذين في عالمي حتى يجعلوني أسعد. ويناسبوني أكثر. لكن كان عليَّ أن أتعلَّم (ولم يحدث هذا بسهولة ولا سرعة) أنَّ الله فقط هو الذي يستطيع أن يغيِّرَ الناس. حتى هو لن يفعل ذلك إن لم يُريدوا هم أن يُساعدهم.

عندما تعلمتُ أن أقدرَ الناس كما هم، وليس كما أريدهم أن يكونوا (ومازلتُ أتعلَّم هذا يوميًّا)، توقفت الكثير من ألمي وبؤسي. كنتُ في أمس الحاجة إلى التواضع. رغم أنَّ الله يدعونا "لنتضع": إلا أنَّ قليلين جدًّا مِنَّا مُستعدون أن يفعلوا ذلك. لذا يفعل هو ذلك لنا. إنه يحقق ذلك بأن يضعنا في مواقف مع الناس الذين يُحبطوننا ويزعجوننا. ومن خلال رغبتنا الشديدة في إيقاف المُعاناة التي يسببونها لنا، ندرك أخيرًا أنَّ الله يستخدمهم ليصل إلى مشاكل عميقة فينا. إنه مخلصنا. وبالرغم من أنَّ الله ربما يأخذ وقتًا أطول ممَّا نريد، إلا أنه يستخدم الأمور السيئة في حياتنا دائمًا ليُخرج منها خيرًا!

هل فكرت في أنَّ رد فعلك تجاه مشكلتك ربما يكون هو المُشكلة الحقيقية؛ وليس ما كنتَ تظنه في البداية؟ ظننتُ لسنين أنني لستُ سعيدة؛ لأن ديف لا يُسدّد احتياجاتي، لكن الله أراني أنَّ توجيهي الأناني

كَانَ الْمُسْكَالَةَ الْحَقِيقِيَّةَ. ظَلَلْتُ أَحَاوِلُ تَغْيِيرَهُ. وَلَمْ تَأْتِ كُلُّ مَجْهُودَاتِي
بِالنَّتِيجَةِ الْمَطْلُوبَةِ.

تَقُولُ لَنَا كَلِمَةَ اللَّهِ إِنَّ صَبِيًّا صَغِيرًا رَاعِي غَنَمٍ. اسْمُهُ دَاوُدَ. مُسِيحٌ لِيَكُونَ
مَلِكًا. لَكِنْ قَبْلَ أَنْ يَضَعَ التَّاجَ بكَثِيرٍ. كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَعْمَلَ تَحْتَ سُلْطَانِ
الْمَلِكِ الشَّرِيرِ. الَّذِي كَانَ سَيَحِلُّ مَحَلَّهُ. وَيَتَعَامَلُ مَعَهُ. كَانَ الْكَثِيرُ مِمَّا
حَدَثَ لِدَاوُدَ عَلَى يَدَيِ شَاوُلٍ يَبْدُو ظَالِمًا. وَرَغْمَ ذَلِكَ كَانَ لَهُ هَدَفٌ.

سَمِعْتُ ذَاتَ مَرَّةٍ إِنَّ اللَّهَ اسْتَعْدَمَ الْمَلِكَ شَاوُلَ لِيُخْرِجَ الْ"شَاوُلَ" مِنْ
دَاوُدَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ مَلِكًا مِثْلَ شَاوُلٍ. أَعْرِفُ أَنَّ هَذَا حَقِيقِيٌّ فِي حَيَاتِي.
يُمْكِنُنِي أَنْ أَتَذَكَّرَ الْقِسْوَةَ الَّتِي كَانَتْ فِي تَصَرُّفَاتِ أَبِي، وَلَكِنِّي الْآنَ أَدْرِكُ
أَنَّيْ تَعَلَّمْتُ الْكَثِيرَ مِنْ صِفَاتِهِ. غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَدْرِكُ ذَلِكَ وَقْتَهَا. كُنْتُ
أَمْرَأَةً مَدْعُودَةً لِلخِدْمَةِ لَكِنْ قَلْبِي كَانَ قَاسِيًا بِسَبَبِ الْإِسَاءَةِ الَّتِي عَانَيْتُ
مِنْهَا وَأَنَا طِفْلَةٌ. كَانَ أَسْلُوبِي فَظًّا، وَكُنْتُ مَتَشَدِّدَةً جِدًّا بِخُصُوصٍ مَا يَجِبُ
عَلَى النَّاسِ فِعْلُهُ؛ وَمَا لَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ فِعْلُهُ بِرَأْيِي. كَانَتْ الْعَلَاقَةُ مَعِي
تَعْنِي اتِّبَاعَ قَوَاعِدِي، وَأُوكِّدُ أَنَّهَا قَوَاعِدِي أَنَا. كَانَتْ لِي كَارِيزْمَا، لَكِنْ كَانَتْ
تَنْقِصُنِي الشَّخْصِيَّةَ الْمُؤْمِنَةَ الَّتِي كُنْتُ أَحْتَاجُهَا لِلْعَمَلِ الَّذِي كَانَ أَمَامِي.
لَمْ أَكُنْ أَسْتَطِيعُ رُؤْيَةَ تَصَرُّفَاتِي؛ لِأَنَّ جَذُورًا كَانَتْ لَهَا فِي الْجُرُوحِ وَالرُّضُوضِ
الَّتِي كَانَتْ فِي نَفْسِي، وَكَانَتْ تَحْتَاجُ لِعِلَاجٍ. كَوْنُنَا مُؤْمِنِينَ لَا يَعْنِي أَنْ
نَقْضِي حَيَاتِنَا فِي تَحْسِينِ سَلُوكِنَا، لَكِنْنَا نَحْتَاجُ أَنْ نَسْمَحَ لِيَسُوعَ أَنْ
يَغَيِّرَنَا مِنَ الدَّخْلِ إِلَى الْخَارِجِ؛ وَيُشَكِّلَنَا عَلَى صُورَتِهِ.

اسْتَعْدَمَ اللَّهُ قَائِدًا رُوحِيًّا، وَغَيْرَهُ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ لَمْ يَعَامِلُونِي جَيِّدًا.

لِيُسَاعِدُونِي لِأَدْرِكَ أَنَّنِي يَجِبُ أَلَّا أَعَامِلَ الْآخَرِينَ بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي عَامَلُونِي بِهَا أَبَدًا. صَنَعَ اللَّهُ مَعْرُوفًا مَعِي فِي الْوَاقِعِ: عِنْدَمَا وَصَّعَنِي فِي اتِّصَالٍ وَثِيقٍ بِهِؤَلَاءَ لِسِنَوَاتٍ عَدِيدَةٍ. وَرَغِمَ أَنَّ الْأَمْرَ كَانَ مُؤَلَّمًا جَدًّا، أَلَّا أَنَّهُ سَاعَدَنِي كَثِيرًا. وَجَعَلَنِي أَصْبَحَ شَخْصًا أَفْضَلَ. أَوْدُّ أَنْ أَقُولَ إِنَّمَا أَحْيَانًا نَحْتَاجُ أَنْ يَحْدُثَ مَعَنَا أَمْرٌ صَعْبٌ، أَوْ غَيْرَ مَرِيحٍ؛ لِيُسَاعِدَنَا أَنْ نَرَى أَنْفُسَنَا عَلَى حَقِيقَتِهَا؛ بَدَلًا مِنْ أَنْ نَرَاهَا مِنْ وَجْهَةٍ نَظَرْنَا. يُمَكِّنُ لِتَفْكِيرِنَا أَنْ يَتَشَوَّشَ بِالْكَبْرِيَاءِ، وَيَجْعَلَنَا نَدِينُ الْآخَرِينَ وَنَنْتَقِدُهُمْ. وَرَغِمَ أَنَّنَا رُبَّمَا نَفْعَلُ بَعْضًا مِنَ الْأُمُورِ نَفْسَهَا الَّتِي نَنْتَقِدُهُمْ عَلَيْهَا، إِلَّا أَنَّنَا لَا نَرَى ذَلِكَ (انظُرْ رُومَا ٢: ١).

أَرَى أَنَّ بُطْرُسَ مِثَالَ جَيِّدٍ فِي هَذِهِ النَّاحِيَةِ. كَانَ بُطْرُسُ مَشَاكِسًا، وَلَدِيهِ دَائِمًا الْكَثِيرَ لِيَقُولَهُ، كَانَ مَقْدَّرًا لَهُ أُمُورًا عَظِيمَةً، لَكِنَّهُ كَانَ يَرَى نَفْسَهُ أَكْبَرَ مِمَّا يَجِبُ. كَانَ تَوَجُّهُهُ يَحْتَاجُ عِلَاجًا؛ وَذَلِكَ لِمَصْلَحَتِهِ هُوَ. عِنْدَمَا قَالَ لَهُ يَسُوعُ إِنَّ إِبْلِيسَ سَيَغْرِبُهُ كَالْحَنْطَةِ فِي التَّجَارِبِ الْقَادِمَةِ الَّتِي سَيَمُرُونَ بِهَا، وَلَكِنَّهُ طَلَبَ مِنْ أَجْلِهِ كَيْ لَا يَفْنَى إِيمَانَهُ، أَعْلَنَ بُطْرُسُ فِي الْحَالِ أَنَّهُ مُسْتَعِدٌّ أَنْ يُسَجِّنَ مَعَ يَسُوعَ، وَأَنْ يَمُوتَ مَعَهُ حَتَّى إِنْ أَحْتَاجَ ذَلِكَ. وَانْتَهَى بِهِ الْأَمْرُ بِأَنْ أَنْكَرَ الْمَسِيحَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَبِسَبَبِ فَشْلِهِ، أَخِيرًا رَأَى نَفْسَهُ عَلَى حَقِيقَتِهَا. كَانَ رَجُلًا ضَعِيفًا يَحْتَاجُ غَفْرَانًا وَيَحْتَاجُ مَعُونَةَ اللَّهِ. (انظُرْ لُوقَا ٢٢: ٣١-٣٤، ٥٥-٦٢). عِنْدَمَا قَالَ يَسُوعُ لِبَطْرُسَ إِنَّهُ صَلَّى مِنْ أَجْلِهِ، كَانَ عَلَى بُطْرُسَ أَنْ يَشْكُرَهُ، وَيَعْتَرِفَ أَنَّهُ فِي حَاجَةٍ مَاسَّةٍ إِلَى كُلِّ مَعُونَةٍ مُمَكِّنَةٍ.

بَعْدَ أَنْ أَنْكَرَ الْمَسِيحَ، تَابَ بُطْرُسُ وَبَكَى بِكَاءٍ مَرًّا وَوَمَضَى فِي طَرِيقِهِ لِيُصْبِحَ أَحَدَ أَعْظَمِ الرُّسُلِ، وَأَكْثَرِهِمْ تَأْثِيرًا. لَيْسَتْ ضَعْفَاتِنَا هِيَ مَا يَسَبِّبُ

لنا المَشَاكِل. بل عدم استعدادنا لعلاجها. سيكون من الحِكْمَة أن نطلب من الله يوميًا أن يُسَاعِدَنَا. ويريّنَا أي شيء فينا يمنعه من أن يفعل ما يُريده معنا. يجب علينا دائمًا أن نرغب في إرادة الله أكثر من أي شيء آخَر.

بوصينا بَطْرُس أن نتواضع تحت يد الله القوية لكي يرفعنا في الوقت المُناسِب (انظُر ١ بَطْرُس ٥: ٦). إنَّ معنى التواضع هو أن تخضع تحت أمرٍ ما؛ بدلًا من أن تصارع لتتحرر منه لأنه صعب. ما من أحد مِنَّا يريد أن يُعاني. لكننا يجب أن نكون مُستعِدِين لنفعل ذلك إن طُلب مِنَّا.

لنفترض أنّ هناك امرأة متزوجة برَجُل يمارس انتهاكات جسدية عليها. وعلى أبنائهما. في هذه الحالة عليها بالطبع ألا تظل خاضعة للانتهاك. يجب أن تهرب من الرَّجُل. ظلت أُمي مع أبي. رغم أنها كانت تعرف ما كَانَ يفعلُه معي. وكانَ هذا ربما أسوأ خطأ ارتكبته في حياتها كلَّها.

لكن لنفترض أنّ هناك امرأة تعمل في شركة؛ وهي المَسِيحية الوحيدة هناك. بالتالي هي الشخص الوحيد الذي يُمكنه أن يشهد للمسيح. وقد تعرضت للرفض والسخرية من كثير من العاملين الآخرين. ولم تُعْطَ الترفيات التي تستحقها. هل يجب أن تترك العَمَل لأنه غير مريح لها. أم تصلّي حتى إن كَانَ الله يُريدها أن تترك العمل. سيُوضّح لها هذا. وإن لَمْ يكن يُريد هذا فلتكن مشيئته؟ وقتها. ربما يُريدها الله أن تظل خاضعة لذلك الوضع الصعب لأنه يُريد أداة هناك يستخدمها لتمثله. مكتوب في ٢ تيموثاوس ٤: ٢ أننا يجب أن نكون مُستعِدِين لخدمة الله "في وقت مُناسِب وغير مُناسِب".

عندما يؤلمنا موقف أو شخص ما. علينا دائماً أن نطلب الله ليرينا كيف يجب أن نتعامل مع الأمر. ليس من الحكمة أن نتخذ قرارات ونحن مجروحين دون استشارة الروح القدس ليرشدنا. قال بولس لأهل غلاطية إنهم لو كانوا روحيين، سيحملون (سيتحملون) بعضهم أنقال (الأخطاء المزعجة) بعض (غلاطية ٦: ٢). أول شيء سأرغب فيه هو أن أقول: "أنا لست مضطرة أن أتحمّل هذا ولن أتحمّله." لكن من الناحية الأخرى، يسوع يتحملني وهذا يسعدني.

سُيُعطينا الله دائماً نعمة لنقدر أن نكون في مكاننا

أدركتُ بعد أن اجتزتُ في أمور كثيرة في حياتي أنّ الله سيُعطينا نعمة دائماً لنقدر أن نكون في مكاننا. بمعنى آخر، إن كُنّا موجودين حيث يُريدنا هو أن نكون، يُمكنه أن يُعطينا نعمة تكفيها لنستمتع بما يُمكن أن يسبب بؤساً لغيرنا.

عندما أتذكر سنواتي الأولى من مسيرتي مع الله، يبدو لي أنني كنتُ أصارع مع أمر ما طوال الوقت. إن لم يكن مع هذا الأمر فمع ذلك. كانت ظروفني تتحكم بشكل شبه كامل في مزاجي. مثلاً، عندما كانَ مؤتمر من مؤتمراتي يمتلئ بالحضور، كنتُ أفرح. لكن عندما لا يمتلئ، أصاب بالإحباط، وأقول أمورًا سلبية كثيرة. لذا كُنّا نفعّل كل ما بوسعنا لنزيد عدد الحضور، لكن عندما كانَ ينخفض ويرتفع، كانَ مزاجي ينخفض ويرتفع معه. وأدركتُ أخيراً أنني كنتُ أحاول أن أُغيّر أمرًا لا يُمكنني تغييره. لكن الله يُمكنه ذلك، وسيُفعل، في حينه. إنَّ حياتنا ومُسْتَقْبَلنا بيْن يديه

(انظر مزمور ٣١: ١٥). في النهاية سلّمت همومي لله. وبالطبع. أتى السلام بحسب وعده (انظر فيلبي ٤: ٦-٧).

أصبح عدد الحضور في مؤتمراتنا أفضل كثيرًا الآن. لكن من وقتٍ لآخر لا يكون العدد جيّدًا لسببٍ ما. ورغم أنني ما زلتُ لا أحب هذا، إلا أنه لا يسبب لي ألمًا كما كان يفعل في الماضي. لأنني ببساطة لا أصارع مع الأمر. أنا أمرُّ به؛ وأنتقل لما بعده.

في المرة التالية التي تجد نفسك فيها تعاني عاطفيًا وذهنيًا؛ بسبب أنك تحاول أن تغيّر شيئًا لا يعجبك. اسأل نفسك هل تحاول أن تفعل شيئًا لا يقدر أن يفعله أحد سِوى الله؟ وإن كان الأمر كذلك، أنصحك أن تترك الأمر وتسمح لله بالتصرف.

نحن نُعاني؛ لأننا نعيش في عالم فاسد. رأينا أنه يُمكن أن نُعاني بسبب خطيئة شخصيّة. أو خطيئة الآخرين. لكن أحد الأسباب الرئيسيّة لألمنا أننا ببساطة نعيش في العالم - وهو عالم مليء بالخطيئة - ويبدو أنّ الشرّ يتضاعف كلّما طال استمرار وجود الأرض. أعتقد أن الناس في كلّ جيل كانوا يُصدّمون من الوضع السيء الذي يُصبح العالم فيه. أتذكر عندما كنتُ طفلة؛ كنتُ أسمع الكبار يتحدثون عن سوء الأوضاع. ونحن الآن نتحدّث عن كم نحن مصدومون ممّا يحدث في العالم. وإنّ لم يأتِ الرب قبل أن يكبر أولادنا، سيجلسون يومًا ما؛ ويتحدّثون عن كم أصبحت الأمور أسوأ بكثير في جيلهم عمّا كانت عليه من قبل. إنّ الشر والفساد أمور متجددة. إنها لا تبقى جامدة، لكنها تتكاثر وتتضاعف. يتذكر ديف عندما

سُرق أول بائع جرائد في مدينتنا. كَانَ هذا حوالي عام ١٩٥٠. صُدِم الناس من الأمر؛ وَلَمْ يستطيعوا أن يستوعبوا حدوث أمر كهذا. لكن إن نظرنا إلى ما يحدث اليوم، فإن سرقة بائع جرائد لن تجعل أحداً يرفع حاجبيه؛ ولن تصدمنا إطلاقاً. من المزعج أن تكون الأمور بهذا السوء، وللأسف، كُلَّمَا ازدادت الأمور سوءاً، ازداد وجود الألم. رغم أننا لا نملك كلَّ الإجابات، إِلَّا أَنَّ لدينا امتيازَ الثِّقة بالله.

هل يحمي الله أولئك الذين يضعون ثقتهم فيه؟ بالطبع أو من أنه يفعل ذلك. كثيراً ما نسمع قصصاً عن كيف حمى الله شخصاً ما، ولدينا قصص عن أنفسنا. لكن ماذا عن الأوقات التي تبدو فيها حمايته غير موجودة، وينتهي بنا الحال متألّمين من شيء ما لا نفهمه؟ لنرجع ثانية إلى التعليق الحكيم الذي سمعته من لي ستروبل Lee Strobel:

"إنَّ إجابة الله النهائية عن السؤال الخاص بالألم ليست تفسيراً؛ لكنها تكمن في التجسد." لا يقدر أحد أن يفسره كَلِّه، لكن يسوع يعوضه كَلِّه.

فقدت إحدى الموظفات لدينا بيتها، وكل ما فيه مؤخرًا، في فيضان حدث عندنا في سانت لويس St. Louis. إنها رئيسة إرسالياتنا الطبية، وقد ضحت كثيراً لتسافر إلى دول العالم الثالث، وتساعد الناس. إنها امرأة تقية، ومن عائلة تقية. لماذا يحدث لها هذا؟ أحياناً تحدث الأمور المؤلمة فقط؛ لأننا في العالم. والخبر السار هو أَنَّ الله يعوّض كل ما مرّت به. هناك أناس وخدمات كثيرة تُساعدنا في إعادة بناء وشراء ما تحتاجه.

وعندما ينتهي كلُّ شيء، ربما يُصبح لديها بيت أفضل. وأثاث أفضل ممَّا كَانَ لديها من قَبْل.

أعرف مُؤمنين آخَرين كانوا على مقربة من فقدان بيوتهم لكنهم لم يفقدوها. وهُم يشعرون أَنَّ الله حماهم. وعندما نسمع اختباراتهم، نفرح معهم. لماذا نُقدِّم البعض والبعض الآخر لا؟ مرَّة أخرى، لا يجب أن نُركِّز على إيجاد التفسير. دعونا نلتفت إلى التجسد، ونشاهد الله يفتدي، ويعوض الألم، ويحوِّله إلى مكسب.

الفصل ١٢

على الجانب الآخر من الألم

”أذوا بالسَّلاسلِ قَدَمَيْهِ، وَبَطَوْقٍ حَدِيدِيٍّ طَوَّقُوا رَقَبَتَهُ.“

(مزمو ١٠٥ : ١٨)

كان يُوسُفُ شابًّا لديه حُلْمٌ بفعلِ أمورٍ عظيمة. كرهه إخوته، وغاروا منه؛ لأنه كَانَ الابنَ الأصغرَ ليعقوب. وَكَانَ الْمُفْضَلُ لديه. اشتد كرههم له لدرجة أَنَّهُم أَخَذُوهُ خَارِجًا يَوْمًا، وَبَاعُوهُ لِتِجَارَةِ الْعَبِيدِ. ثم أَعَادُوا قِطْعَةً مِنَ الْمَلَابِسِ غَارِقَةً بِالدَّمَاءِ وَكَذَبُوا عَلَى آبَائِهِمْ. قَائِلِينَ إِنَّ حَيَوَانًا بَرِيًّا قَتَلَهُ.

اجتاز يُوسُفُ خِلالَ سِنَوَاتٍ عَدِيدَةٍ مِنَ الْمَوَاقِفِ الْمَأْسَاوِيَةِ الظالمة التي سَبَّبَتْ لَهُ قَدْرًا كَبِيرًا مِنَ الْأَلَمِ. وَمَعَ ذَلِكَ: ظَلَّ أَمِينًا لِلَّهِ، وَاسْتَمَرَ فِي الثِّقَةِ بِهِ. وَأَعْطَاهُ اللَّهُ نِعْمَةً وَتَأْيِيدًا أَيْنَمَا ذَهَبَ. وَفِي نَهَايَةِ الْمَطَافِ وَضَعَهُ فِي مَنْصَبِ الرَّجُلِ الثَّانِي فِي الْقِيَادَةِ تَحْتَ فِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ. نَتِيجَةَ لِذَلِكَ، اسْتِخْدَمَ اللَّهُ يُوسُفَ لِيُنْقِذَ شَعُوبًا كَثِيرَةً مِنَ الْجُوعِ أَثْنَاءَ الْمَجَاعَةِ الشَّدِيدَةِ الَّتِي حَدَثَتْ فِي الْأَرْضِ وَمِنْ ضِمْنِهَا عَائِلَتُهُ الْخَاصَّةُ. إِنَّهُ أَمَرَ مَدْهَشًا أَنْ نَرَى رَدَ فِعْلِ يُوسُفَ تِجَاهَ إِخْوَتِهِ عِنْدَمَا اِكْتَشَفُوا أَنَّهُ كَانَ مَوْضِعَ سُلْطَةِ وَكَانَ بِإِمْكَانِهِ أَنْ يُرَدَّ لَهُمْ كُلُّ الْأَلَمِ وَالْمُعَانَاةِ الَّتِي تَحَمَّلَهَا ظَلْمًا: بِسَبَبِ مَعَامَلَتِهِمُ الْقَاسِيَةَ لَهُ كُلَّ تِلْكَ السِّنَوَاتِ:

«وَذَهَبَ إِلَيْهِ إِخْوَتُهُ أَيضًا. وَأَلْقُوا بِأَنْفُسِهِمْ أَمَامَهُ وَقَالُوا: «هَذَا نَحْنُ عَبِيدُ لَكَ.»

لَكِنَّ يُوْسُفَ قَالَ لَهُمْ: «لَا تَخَافُوا، فَهَلْ أَنَا اللَّهُ لِأَدِينِكُمْ؟ أَنْتُمْ نَوَيْتُمْ بِي شَرًّا، لَكِنَّ اللَّهَ نَوَى بِه خَيْرًا. فَقَدْ قَصَدَ اللَّهُ أَنْ يُحَقِّقَ النَّتَاجَ الْحَالِيَّةَ: أَنْ يُبْقِيَ عَلَى حَيَاةٍ كَثِيرِينَ.» (تكوين ٥٠: ١٨-٢٠)

هذه النصوص الكتابية رائعة جدًا إن تأملنا وفكرنا فيها مليًا. بعد كل ما مرَّ به يوسف، بدلًا من أن يبقى مريزًا، رأى يد الله تُخرج الخير من الموقف بأكمله. وهكذا، بدلًا من أن يشعر بالمرارة، كَانَ مُسْتَعِدًّا لِمُسَاعَدَةِ إِخْوَتِهِ. وهذا بقية ما قاله:

«فَلَا تَخَافُوا. وَأَنَا سَأَعُولُكُمْ وَأَعُولُ أَطْفَالَكُمْ.» وَهَكَذَا طَمَآنَهُمْ وَطَيَّبَ قُلُوبَهُمْ.» (تكوين ٥٠: ٢١)

إِنَّ يُوْسُفَ هُوَ بَطْلِي الْخَاصِّ عِنْدَمَا يَتَعَلَّقُ الْأَمْرُ بِشَخْصٍ اخْتَبِرَ الْمَعَامَلَةَ الظَّالِمَةَ وَالْمَأسَاوِيَةَ وَتَعَامَلَ مَعَهَا بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي يُرِيدُنَا اللَّهُ أَنْ نَتَعَامَلَ بِهَا تَمَامًا. وَلَا عَجَبٌ مِنْ كَوْنِهِ رَجُلًا قَوِيًّا. عَاشَ لِيَبْلُغَ مِنَ الْعُمُرِ ١١٠ عَامًا وَيَبْدُو أَنَّهُ قَدْ تَمَتَّعَ بِسِنَوَاتٍ جَيِّدَةٍ عَدِيدَةٍ فِي حَيَاتِهِ أَكْثَرَ كَثِيرًا مِنْ تِلْكَ السِّنَوَاتِ الَّتِي عَانَى وَتَأَلَّمَ خِلَالَهَا. تَمَتَّعَ يُوْسُفُ بِانْتِصَارٍ عَظِيمٍ عَلَى الْجَانِبِ الْآخَرَ مِنَ أَلَمِهِ. يُمَكِّنُنَا أَنْ نَقُولَ إِنَّ أَلَمَهُ دَفَعَهُ لِحَيَاةٍ أَفْضَلٍ. إِنْ اسْتَطَعْنَا أَنْ نَبْقِيَ ثَابِتِينَ وَمُسْتَمِرِّينَ فِي ثِقَتِنَا بِاللَّهِ، حَتَّى وَسَطِ أَلَمِنَا، نَحْنُ نُظْهِرُ بِذَلِكَ أَنَّنَا هَذَا النُّوعُ مِنَ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ يُمَكِّنُ اللَّهُ أَنْ يَأْتَمِنَهُمْ عَلَى مَسْئُولِيَّةٍ كَبِيرَةٍ وَبَرَكَاتٍ عَظِيمَةٍ.

عندما نكون مُستعدين أن نغفر لأولئك الذين يؤذوننا. نحن في الواقع نصنع معروفًا لأنفسنا. لأنه من المستحيل التمتع بالحياة والامتلاء بالمرارة في الوقت نفسه. هذا هو النموذج الذي نراه في حياة يُوسُف وهو النموذج الذي يجب أن نتبعه.

عندما نكون
مُستعدين أن نغفر
لأولئك الذين يؤذوننا.
نحن في الواقع نصنع
معروفًا لأنفسنا .

أثناء السنوات التي تلت بيع يُوسُف إلى العبودية، ذهب إلى السجن لمدة ثلاثة عشر عامًا بسبب شيء لم يكن مذنبًا فيه. كَانَ في سلاسل من الحديد. وفي مزمور ١٠٥، الذي اقتبسته قبلاً، قرأنا: "دخلت نفسه في

الحديد." ماذا يعني ذلك؟ إن فكّرنا في هذا على المستوى العملي، يبدو لي أنّه إن دخلت نفسه في الحديد، فذلك جعله أقوى. وبتعبير آخر، إنّ ألمه في الواقع جعل منه شخصًا أفضل وساعد في إعداده لحكم مصر.

كثيرًا ما نسمع عبارة "يُمْكِن لِمَشَاكِلِنَا أَنْ تَجْعَلِنَا أَفْضَلَ أَوْ أَكْثَرَ مَرَارَةً"، وهذا حقيقيٌّ جدًّا. إنّ الثِّقَةَ فِي اللَّهِ طَوَّلَ الطَّرِيقَ خِلَالَ الْمَوَاقِفِ الْمُؤَلِّمَةِ تَحْمِلُ دَائِمًا مَعَهَا مَكَافَأَةً وَتَأْتِي بِالرِّيحِ فِي النِّهَايَةِ. وَإِحْدَى الْمَكَافَأَاتِ أَنَّهَا تَجْعَلِنَا أَكْثَرَ قُوَّةً.

في سفر إشعياء، نرى الله يتكلّم من خلال النبي إلى الشعب، ويشجّعهم ألا يخافوا ممّا كانوا يجتازون فيه لأنّه كَانَ يجعلهم أقوى:

"لَا تَخَفْ لِأَنِّي مَعَكَ، لَا تَخَفْ لِأَنِّي إِلَهُكَ. سَأُقَوِّيكَ
وَأَسَاعِدُكَ، وَسَأَدْعُمُكَ بِبِيَمِينِي الْمُنْتَصِرَةِ." "سَأَجْعَلُكَ كَلَوَحٍ

حَادًّا لِسَحْقِ الْحُبُوبِ، لَوْحًا جَدِيدًا ذَا أَسْنَانٍ كَثِيرَةٍ، فَتَدُوسُ
الْجِبَالَ وَتَسْحَقُهَا، وَتَصِيرُ التَّلَالُ كَالْتَّبِينِ." (إشعياء ٤١: ١٠، ١٥)

وهذا نموذج آخر عن وعد باستخدام ما نجتاز به ليجعلنا أقوى وأفضل
مِمَّا كُنَّا قَبْلًا. لكن هذا كله يتوقف على ما إن كُنَّا مُسْتَعِدِينَ أَنْ نضع ثقتنا
الكَامِلة في الله فيما يتعلق بالأشياء المُؤَلِّمة التي نواجهها في الحياة
أم لا. مهما كَانَ ما تَمُرُّ به الآن، هذا الوعد لك. قد يقصد أعداؤك الشر.
لكن الله سيجعل الأمر يعمل للخير. وفي وسط هذه العملية، سيجعلك
شخصًا أفضل. عندما تكون الحياة مُؤَلِّمة وقاسية، تذكر أَنَّ الله يُحِبُّكَ.
لذلك لا يجب أن تخاف. وها هي قِصَّة قصيرة سمعتها يومًا توضِّح هذه
النقطة بطريقة لطيفة:

رجلٌ كَانَ قد تزوَّج للتو عائدًا إلى منزله مع زوجته. وكانَ جزءً من رحلتهم
يتطلَّب أن يعبروا بحيرة في قارب. وبينما كانا يفعلمان ذلك، هبَّت عاصفة
تسبَّبت في انحراف القارب بشدة، وشعرت الزوجة بالخوف. لكن زوجها بدا
هادئًا جدًّا. وظلَّت تسأله لماذا لم يكن خائفًا.

ابتسم وسحب سكينًا من حامله، وأمسك به بالقرب من زوجته
كما لو كَانَ سيؤذيها. لكنها حتى لم تندهش. وعندما سألتها لماذا لم
تكن خائفة، قالت: "لماذا يجب أن أخاف؟ أعلمُ أَنَّكَ تحبني. وسيكون من
المستحيل أن تؤذيني."

قال الرجل: "لذلك السبب أنا لستُ خائفًا في وسط هذه العاصفة.
أعلمُ أَنَّ الله يُحِبُّنا، ومهما يحدث، سيجعل الأمر يعمل لخيرنا."

بغض النظر عن عدد العواصف التي نواجهها في الحياة. نحن دائماً
آمنون في يد الله المُحِبَّة.

الشفقة والعطف

اكتشفتُ أنَّ معاناتي الخاصَّة في الحياة ساعدتني على اكتساب
شفقة كبيرة جدًّا تجاه الذين يعانون أيضًا بطريقةٍ ما. إن لم نختبر ألم
أن نعامل بطريقة سيئة، أو نواجه الفقد والخسارة، صعبٌ جدًّا أن ندرك أو
نشعر بما يمر به الآخرون.

من السهل أن نُقدِّم النصيحة، لكنها دون بعض التجارب، قد تجعل
مواقفنا غير مقنعة بعض الشيء. لنفترض أنَّ عمري خمسة وعشرون
عامًا وأنَّ الحياة بالنسبة لي كانت سهلة جدًّا حتى هذه المرحلة. لديَّ
أبوان عظيمان، دائماً ما يوفِّران لي ويمنحاني مُعظَم ما أريد. وأنا ذكية
لذلك كَان الحصول على علامات جيدة في الجامعة أمراً سهلاً بالنسبة
لي. ضَمَنَ لي والدي وظيفة خيالية من خلال أحد شركائه في العَمَل قبل
حتى أن أتخرِّج من المدرسة. الحياة جميلة! والآن يبدو أنَّ إحدى شريكات
العَمَل التي صرتُ أعرفها جيِّداً محبطة ومكتئبة وأنا أتساءل ما الخطب،
لكنِّي لا أكلف نفسي عناء السؤال. وأخيراً تحاول صديقتي أن تُخبرني
بشأن بعض الصراعات المادية الخطيرة التي لديها. وسرعان ما اقترحتُ
عليها أن تتصل بوالديها وتطلب منهم مساعدتها؛ لأن هذا ما كنتُ
سأفعله. أخبرتني أنَّ والديها كانا يسيئان معاملتها في فترة نشأتها والآن
هما منفصلان. كما أكَّدت لي أنَّ الحصول على المُساعدَة منهما ليس من

المُمكن. وحيثُ إنَّني لا أستطيع حتى أن أتصوّر أن الآباء يسيؤون معاملة أطفالهم، أو لا يُساعدونهم. أنصرف عن مشكلتها بعبارة غير مكترثة: وأقول: "لا تقلقي، شيءٌ ما سينجح." وأذهبُ بعيدًا.

لقد تركتُ صديقتي تشعر بالفراغ والوحدة. والأمر المؤسف حقًا هو أنني مباركة مادنيًا جدًّا بسبب سخاء والديّ. حتّى إنَّني أستطيع أن أمنحها بعض المُساعدَة بنفسِي، لكن نقص خبرتي مع المُعاناة جعلتني غير متعاطفة مع هؤلاء المجروحين.

هناك كثيرون في مثل هذه الحالة في العالم. إنَّهم ليسوا أشخاصًا سيئين، لكنهم عديمو الخبرة. في نهاية المطاف: سيواجهون بعض المصاعب في الحياة التي. نأمل أن يغيّروهم للأفضل.

أنا لستُ مثل صاحبة الخمسة والعشرين عامًا التي عاشت حياة سهلة. لم يكن لديّ أبدًا الوالدان اللذان يُحبانني حقًا أو يُساعدانني بأيّة طريقة حين كنتُ صغيرة، وكانا يُسيئان معاملتي. كانت طفولتي مليئة بالخوف، والمُعاناة، والوحدة. كنت أودُ أن أقول إنَّني خرجتُ من طفولتي بكثيرٍ من الشفقة تجاه الذين يعانون. ولكن العكس صحيح؛ كان لديّ قلبٌ قاسٍ. تطلّب الأمر علاقة عميقة مع المسيح، وسنوات كثيرة من اكتساب الخبرة من خلال الألم والمُعاناة الشخصية قبل أن تُغيّر.

عندما أُصبتُ بالسرطان، اكتسبتُ المزيد من الشفقة نحو أولئك الذي ينلقون مثل هذه التشخيصات الخطيرة. وبعد تعرّضي لصداق نصفي لمدة عشر سنوات، لديّ إيمان اليوم لأصليّ بشفقة لأجل شفاء الأشخاص الذين

يعانون من الصداق. من خلال نعمة الله وكلمته. تمكنت أخيراً من الغفران لوالدي لإساءته الجنسية لي. وأعرف بطريقة مباشرة كم هو أفضل أن أغفر عن أن أبقى مليئة بالبغضة والمرارة. بدأت الخدمة دون شيء إلا الله وحلم. وما زلت في ذلك بعد أربعين سنة. لقد تعلمت الكثير بالخبرة. لكنها كانت مكلفة. اختبرت الإدانة والانتقاد من كثيرين. وشعرت أنني لا أصلح للخدمة لعدة أسباب مختلفة. ولكنني اختبرت أيضاً راحة وتعزية من الله في هذه المواقف. وأنا الآن قادرة أن أعزي آخرين. يعلمنا الله نعمة جلب التعزية لأولئك الذين يعانون: عن طريق تعزيتنا بنفسه عندما نعاني.

”تَبَارَكَ إِلَهُ رَبَّنَا يَسُوعُ الْمَسِيحُ وَأَبُوهُ، أَبُو الْمَرَاحِمِ، وَالْإِلَهُ الَّذِي هُوَ مَصْدَرُ كُلِّ تَعْزِيَةٍ. فَهُوَ يُعْزِينَا فِي كُلِّ ضَيْقَةٍ نُوَاجِهُهَا. لِكَيْ نَتَمَكَّنَ نَحْنُ مِنْ تَعْزِيَةِ الْمُتَضَائِقِينَ بِضَيْقَاتٍ كَثِيرَةٍ. بِالتَّعْزِيَةِ نَفْسِهَا الَّتِي يُعْزِينَا بِهَا اللَّهُ.“ (٢ كورنثوس ١: ٣-٤)

أذكّر بوضوح كم من المرات حاولت أن أتشارك مع آخرين بما كنت أمرُّ به، وببساطة لم يعرفوا كيف يساعِدونني. لم يستطيعوا فهم ألمي وإدراكه لأنهم لم يمروا بمثله في حياتهم. لم يستطيعوا تعزيتي لأنهم لم يحتاجوا أن يعزيبهم الله أبداً، أو ربما احتاجوا لذلك لكنهم لم يعرفوا كيف يطلبونه أو يستقبلونه. كثيراً ما أقول إننا لا نستطيع أن نُعطي ما لا نمتلكه. ينبغي أولاً أن نستقبل من الله. ثم يُمكن بعد ذلك للذي أعطاه لنا أن يتدفق إلى الآخرين من خلالنا.

عندما يأتي الناس إلينا بمشاكلهم، هم يعلمون في معظم الأوقات أننا لا نستطيع حلّها. والذي يُريدونه حقاً هو التفهم، والتعزية، والشفقة.

على الجَانِبِ الآخر من المُعَانَاةِ، يُمَكِّنُنَا أَنْ نَتَعَاطَفَ أَكْثَرَ وَنَكُونَ أَكْثَرَ رَفَقَةً، وَأَكْثَرَ إِحْسَاسًا، وَلَطْفًا، وَشَفَقَةً وَتَعَاطُفًا. هذه المواصفات هي بعضٌ ممَّا نُعَجِّبُ بِهِ فِي رَبِّنَا وَهِيَ تَوْهَلُنَا لِلخِدْمَةِ نِيَابَةً عَنْهُ.

إِنَّ التَّحَلِّيَ بِالشَّفَقَةِ وَالْعَطْفِ نَحْوِ الْآخِرِينَ هِيَ وَاحِدَةٌ مِنَ الْبَرَكَاتِ الَّتِي نَحْصِلُ عَلَيْهَا عَلَى الْجَانِبِ الْآخَرَ مِنَ الْمُعَانَاةِ. عَطِيَّةٌ بَسِيطَةٌ مِنَ الشَّفَقَةِ (الرَّحْمَةِ) قِيَمَةٌ جَدًّا بِالنِّسْبَةِ لِلشَّخْصِ الْمَجْرُوحِ الْمَتَأَلِّمِ!

لَيْسَتْ مُعَانَاتُنَا فَقَطْ هِيَ الَّتِي تَوْهَلُنَا لِلِاسْتِخْدَامِ مِنَ اللَّهِ فِي مُسَاعَدَةِ الْآخِرِينَ. وَمَنْ الْمُؤَكَّدُ أَنَّ اللَّهَ يُمَكِّنُ أَنْ يَسْتَعْمِدَ، وَيَسْتَعْمِدَ فِعْلًا، بِشَكْلِ كَبِيرِ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ لَدِيهِمْ وَالدَّانِ عَظِيمَانِ. وَطُفُولَةٌ جَيِّدَةٌ، وَلَيْسَتْ لَدِيهِمْ تَحْدِيَّاتٌ مَادِيَّةٌ، وَجَمِيعُ الْإِمْتِيَازَاتِ الْآخَرَى. لَكِنْ هُنَاكَ عَدَدًا قَلِيلًا جَدًّا مِنْ هَؤُلَاءِ، ذَلِكَ بِبَسَاطَةٍ؛ لِأَنَّ الْحَيَاةَ تَأْخُذُ مَجْرَاهَا مَعْنَا جَمِيعًا، وَهِيَ لَيْسَتْ دَائِمًا شَفِوْقَةً.

عَلَاقَةٌ أَعْمَقُ مَعَ اللَّهِ

وَاحِدَةٌ مِنَ الْفَوَائِدِ الَّتِي وَجَدْتُهَا عَلَى الْجَانِبِ الْآخَرَ مِنَ الْمُعَانَاةِ هِيَ الدُّخُولُ فِي عِلَاقَةٍ أَكْثَرَ عَمِّقًا مَعَ اللَّهِ. عِنْدَمَا نَوْضِعُ فِي مَوْقِفٍ لَا يُوجَدُ فِيهِ أَحَدٌ يُمَكِّنُنَا أَنْ يُسَاعِدَنَا إِلَّا اللَّهَ، وَنَضَعُ ثِقَتَنَا فِيهِ، نَخْتَبِرُ الْكَثِيرَ مِنَ الْعَجَائِبِ حَوْلَ شَخْصِهِ وَكَيْفِ هُوَ صَالِحٌ. نَحْنُ نَخْتَبِرُ أَمَانَتَهُ، وَعَدْلَهُ، وَعَطْفَهُ، وَرَحْمَتَهُ، وَنِعْمَتَهُ، وَحِكْمَتَهُ، وَقُوَّتَهُ، عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ لَا الْحِصْرِ. قَالَ بُولْسُ إِنَّ غَرَضَهُ الْمُحَدَّدَ كَانَ أَنْ يَعْرِفَ الْمَسِيحَ وَأَنْ يَدْرِكَ بِأَكْثَرِ عَمِّقِ عَجَائِبِ شَخْصِهِ. قَالَ إِنَّهُ كَانَ يَرْغَبُ أَنْ يَعْرِفَ قُوَّةَ قِيَامَةِ الْمَسِيحِ. ثُمَّ قَالَ:

"[حتى أشارك] وَأَشْتَرِكُ فِي آلَمِهِ." (النُّظْرُ فِيلِبِّي ٣: ١٠)

هناك أربع نقاط قوية في هذا النص:

١. كان بولس مصمّمًا!

التصميم مطلوب إن أردنا تحقيق أي شيء في الحياة. ليس ما نفعله مرّة أو مرتين هو ما يجلب الانتصار. لكن ما نفعله باستمرار هو الذي يحقق لنا النتيجة المرجوة.

٢. كان بولس يرغب في معرفة المسيح بأكثر عمق وحميمية.

لم يرغب بولس في مجرد معرفة عنه. كان يرغب في معرفته هو! أراد أن تكون له علاقة حميمة وشخصية معه. وهذا الأمر متاح لكل من يرغب في ذلك؛ وعلى استعداد أن يسعى في طلب يسوع بكل قلبه.

٣. أراد بولس أن يعرف عجائب عن شخص المسيح بأكثر قوّة

ووضوح.

عرف بولس المسيح. كان له لقاء مدهش معه على طريق دمشق. مع ذلك كان يبحث عن المزيد. إن لم نكن ننمو روحيًا فلا يجب أن نكتفي ونرضى أبدًا. فهناك الكثير جدًّا لتتعلمه عن مدى روعة يسوع. وسنعرف أكثر إن سعينا في طلبه أكثر. بينما نمضي في رحلتنا في الحياة معه. نجد أنه معنا في جميع الحالات. لم يتركنا أبدًا. أو يتخلّ عنا.

٤. أراد بولس أن يختبر قوّة قيامة المسيح التي تقيمنا من الأموات

حتى ونحن بعد في الجسد.

عندما نعرف يسوع حقًا بعمق وحميمية، يُمكننا التمتع بالسلام والفرح حتى أثناء الأوقات الصعبة. نحن نثق أنه يعمل لخيرنا من خلال كل ما نمر به مهما كان مؤلمًا. لا يجب أن نحيا حياة الانهزام عندما تكون قوة قيامة يسوع متاحة لنا.

عندما نختبر قوة الله في حياتنا، يُصبح من الأسهل أن نثق به عند حاجتنا في المرات القادمة. فالله يُريد أن يُظهر قوته فينا ومن خلالنا. إنه لا يُريد أن يُخلصنا وحسب، بل يعمل أيضًا بنا كسفراء؛ لنجذب الناس إليه.

إن كنا أنت أو أنا نجتاز خلال بعض الصعوبات الخطيرة، ويرى الآخرون أننا نستمر في ثقتنا بالله ونحتفظ بموقف السلام والبهجة، فهذا يشهد للناس عن قوة حفظ الله. وعندما ننتظر بصبر، مهما طال الزمن، يشهد هذا لهم عن قوة الله الثابتة؛ وعندما نختبر الخلاص ويرون أن الله أمين، يشهد هذا لهم عن حضوره وقوته. كذلك رغبته في مساعدتنا. ربما

ربما يكون نموذج حياتنا الشخصي هو نقطة التحوّل التي تجعل الشخص يُسلم حياته للمسيح.

يكون نموذج حياتنا الشخصي هو نقطة التحوّل التي تجعل الشخص يُسلم حياته للمسيح.

٥. قال بولس إنه كان مُستعدًّا لمشاركة آلام المسيح إن كان ذلك

سيجعله يتحوّل إلى صورة المسيح

لا يعني ذلك أننا نحتاج أن نُعلّق على صليب كما فعل مع المسيح. إنما

يعني ببساطة أننا يجب أن نكون مُستعدين أن نجتاز أي شيء نحتاجه حتى نكون شبه يَسُوع ونراه ممجدًا من خلالنا.

هل يعني ذلك أن الله يمنحنا الألم والتجارب حتى نتعلّم أمورًا ستفيدنا لاحقًا؟ إنه ليس الإله الذي يأخذ أولاده منفردًا بهم ليسحقهم حتى يُعلّمهم.

أفضّل أن أقول إنَّ الله ربما يُريد استخدام أية مُشكلة أو صعوبة لدينا. للمزيد من تحقيق قصده في حياتنا. إن كُنَّا سُنُعاني، لماذا لا نحصل على بعض الفائدة من ذلك؟ لقد عانيتُ دون الله في حياتي. وقد عانيتُ معه. وأستطيع أن أوكد أن الأمر مع الله دائمًا أفضل. أوْمن بأنَّ الله لديه دائمًا

خُطة لإنقاذنا. لكنه ربما يؤخرها بعض الوقت؛
 إذا كُنَّا سُنُعاني، لماذا
 لا نحصل على بعض
 الفائدة من ذلك؟
 حتى يستخدمها لنموّنا وتطوير شخصياتنا.
 إنَّ توقيته رائع في حياتنا. وبينما نحن ننتظر.
 نتمتع بامتياز ثقتنا به.

من أجل فرح الحصول على المكافأة

قال يَسُوع إنه تحمّل عار الصليب، من أجل فرح الحصول على المكافأة على الجَانِبِ الآخر منه (أنظُرْ عبرانيين ٢ : ١). لقد أخبرني العديد من الأشخاص بأنهم لن يقايضوا ما قد مرُّوا خلاله، من أجل أي شيء. ذلك ببساطة بسبب مدى التغيير الذي سبَّبه لهم؛ وكيف جعلهم أقرب إلى الله.

قد نكره ما نُمر به بينما نُمر به. فلا أحد يتمتّع بأي نوع من الألم أو

المُعَانَاة. لكن إن استطعنا توجيه أذهاننا نحو المكافأة، على الجَانِب الآخر، سنقدر أن نتحمل الأمر بفرح أكثر. وإذا واصلنا الإيمان بأننا سنرى صلاح الله مهما كان ضررنا أو المدة الزمنية التي يستغرقها، سننتدوق حلاوة النجاح والانتصار.

كثيرًا ما أقول إننا يجب أن "نُمر من خلال" حتّى "نحصل من خلال".
 لا تخف من الصعوبات؛ لأن الله لن يُعطيك
 فوقَ ما تستطيع أن تحتمله، وهو سيُعِينك
 ويُرشدك.

الفصل ١٣

يَوْمًا فِيَوْمًا

فَقَالَ اللَّهُ لِمُوسَى: «سَأَمْطِرُ خُبْرًا عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ.
وَسَيَخْرُجُ الشَّعْبُ مِنْ بُيُوتِهِمْ لِيَجْمَعُوا حَاجَةَ كُلِّ يَوْمٍ
بِیَوْمِهِ... خروج ١٦: ٤

عندما أعطى الله شعب إسرائيل الخبز من السماء، لم يكن هذا ليُطعمهم فقط؛ لكن ليختبر ثقتهم فيه. فقد أوصاهم أن يأخذوا ما يحتاجونه ليومهم فقط؛ وأن يثقوا أنه سيسدد. عندما يأتي الغد، احتياج هذا اليوم أيضًا. تصوّر فقط كم كان ذلك صعبًا على كثيرين منهم. كانوا في البرية وليس لديهم طعام ولا تُوجَد وسيلة للحصول على أي شيء منه. أنا مُتأكّدة أنّ خوفهم كان شديدًا جدًّا. أعلم أنّني كنت سأشعر بذلك.

ستأتي أوقات يختبرنا الله فيها في بعض المجالات ليرى ما إن كنّا سنثق به أم لا. عندما حاول الإسرائيليون أن يجمعوا اليوم نصيب الغد، فسَدَّ وبدأ في التعفُّن. كم من المرات نحاول أن نجمع اليوم ما نحتاج إليه غدًا من خلال التفكير أو القلق والهَم وكل ما يفعله هذا هو أن يجعلنا
بائسين؟

استيقظت مؤخرًا في صباح أحد الأيام. وبدأت على الفور التفكير في جميع ما لديّ من مشروعات كتابة كَأَنَّ عَلَيَّ الانتهاء منها في الوقت نفسه تقريبًا. بالإضافة إلى ذلك، كَأَنَّ لَدَيَّ مؤتمر قادم كنتُ أحتاج إلى التحضير من أجله، وبعض المقابلات التلفزيونية، واثنان من لقاءات العمل، والعديد من المواعيد الشخصية! وكلما فكرتُ أكثر في كل ما يجب عليّ فعله خلال الثلاثين يومًا القادمة أو نحو ذلك، ازداد شعوري بالضغط والثقل والإنهاك. تكلم الله ببساطة إلى قلبي، ليذكرني بشيء كنتُ أعرفه بالفعل: عيشي كل يوم بيومه. وشعرتُ في الحال بزوال الضغط الذي كنتُ أشعر به، لأنني أمتلك الخبرة الكافية مع الله لأعرف بدون شك أَنَّهُ سِيُمْكِننا من القيام بأيّ شيء يُريد مِنَّا أن نفعله إن عشنا كل يوم بيومه.

عندما نقضي اليوم في القلق بشأن الغد، نحن في النهاية نُهدِر اليوم. وهذا غير نافع! قال يَسُوع لا تقلقوا بشأن الغد؛ لأن الغد سيكون له ما يكفي من همومه. (أنظر متى ٦: ٣٤). يُسَاعِدنا الله عندما نضع ثقتنا فيه، ليس عندما نقلق ونخاف مهتمين بالطريقة التي سنحل بها مشاكلنا.

في عام ٢٠١٣ أصدرنا كتاب تأملات يومية بعنوان "ثق في الله يومًا فيومًا"، وأصبح واحدًا من التأمّلات الأكثر انتشارًا لدينا. لماذا؟ أصبح منتشرًا لأنّه يُقدِّم الشيء الذي نشعر أنّنا نستطيع فعله. عادةً ما يكون النظر إلى الحياة كلّها مرّة واحدة، أو حتى أسبوع أو شهر واحد منها، أمرًا ساحقًا، ولكن اليوم بيومه هو أمرٌ قابل للتنفيذ. تستخدم مجموعات مدمني الكحول هذا المبدأ مع الرجال والنساء الذين يأتون إليهم طلبًا للمُساعدَة، الذين يشعرون عادةً أَنَّهُ لا يُمكنهم قضاء ما تبقى من حياتهم

بدون شراب. الخوف من الفشل قويٌّ جدًّا لدرجة أنَّهم لا يرغبون حتى في البدء. لكن التفكير في عدم الشرب لمدة يوم واحد في هذا الوقت يبدو مُمكنًا. فهدفهم هو أن يبقوا واعين لمدة يوم واحد، ويُمكن لكثيرين منهم أن يُخبروك تمامًا كم عدد الأيام التي استمروا فيها واعين حتى لو مضت سنوات منذ آخر شراب تناولوه.

يصلح العَمَل بهذا المبدأ في مُعظم مجالات الحياة لأنَّه يأتي من كَلِمَة الله مباشرةً. نستطيع التعامل مع الديون، التدريبات، فقدان الوزن، التخرُّج من الجامعة، تربية طفل ذي احتياجات خاصَّة، أو نكون ناجحين في أي شيء نريد أن نفعله إن وضعنا ثقتنا في الله وعشنا الحياة يومًا بيوم.

أحب هذا الاقتباس مجهول المصدر: "أحاول أن أحيأ الحياة يومًا بيوم، لكن في بعض الأحيان تهاجمني عدَّة أيام في آنٍ واحد."

الفرق بين الإيمان والثقة

غالبًا ما تُستخدم الكلمتان "الإيمان" و "الثقة" بالتبادل "إحدهما محل الأخرى"، ولكن هل هناك فرق؟ الكلمتان متشابهتان في الكثير من النواحي؛ لأنَّ كلاً منهما تتطلَّب الثِّقة في الله، لكن "الإيمان" هو اسم؛ بالتالي هو شيء نمتلكه، بينما "الثقة" تُستخدم عادةً كفعل؛ وهو الشيء الذي نفعله.

الثقة هي الإيمان العملي

يمنحنا الله الإيمان. تقول كلمته إنَّ كل إنسان يُعطى مقدارًا من الإيمان

(أنظر رومية ١٢ : ٣). لكن يُتْرَك للشخص ما يفعله بهذا الإيمان. الثقة هي الإيمان العملي. إنَّها الإيمان الذي يُطَلَق. ففكر فقط في جميع الأشياء التي يضع الناس بها ثقتهم دون الله - أنظمة العالم المالية، والحكومة، والتعليم، والأشخاص الآخرين، وأموال التقاعد، وهم أنفسهم، وهكذا. من بين جميع الأشياء التي يضع الناس ثقتهم بها، الله هو المصدر الوحيد الجدير بالثقة الكاملة.

أريد منك أن تولي اهتمامًا للعبارة التي أستخدمها: "ضع ثقتك في الله". "ضع" هي كلمة عملية: عندما نضع أي شيء في أي مكان، يعتمد هذا على قرار بفعل ذلك. يُمكنني وضع هذا اللاب توب في الشاحن مرّة أخرى عند الانتهاء منه وهكذا سيكون كامل الشحن ومستعدًا للعمل عند استخدامي له المرة القادمة، أو يُمكنني تركه مفتوحًا على الأريكة، وعندما أحتاج إليه في المرة القادمة، سأجده مستنفد الطاقة وغير نافع بالنسبة لي. قد أخاطر بأنّه لن يستنفد شحنه، لكن إن حدث ونفذ شحنه، سينتهي بي الأمر بخيبة الأمل والإحباط. يشبه هذا ما فعله عندما نضع ثقتنا في أي شيء أو أي شخص غير الله. قد نخاطر معتقدين أنّ الأمور ستسير بشكلٍ جيّد، لكن خبرتنا تُعلّمنا أنّ هذا لا يحدث دائمًا.

بالتأكيد هناك أشياء وأشخاص يُمكننا الوثوق بها، لكن ليس هناك ما يضمن أنّنا سنكون دائمًا راضيين عن النتيجة. يُمكنني حقًا القول بعد مسيرتي مع الله لمدة ثلاثة أرباع حياتي، إنني راضية تمامًا عن نتائج وضع ثقتي فيه. على الرغم من أنّ الأمور لم تيسر دائمًا بالطريقة التي اعتقدتُ

أَنَّهَا سَتَسِيرُ عَلَيْهَا. أَوْ بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي كُنْتُ أُرِيدُهَا. أَنَا أُدْرِكُ الْآنَ أَنَّ اللَّهَ كَانَ دَائِمًا يَفْعَلُ الْأَفْضَلَ.

إِنْ كُنْتَ لَا تَفْعَلُ ذَلِكَ، هَلْ سَتَتَّخِذُ قَرَارًا بِبَدءِ وَضْعِ ثِقَتِكَ فِي اللَّهِ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ فِي حَيَاتِكَ؟ فَكَّرْ فِي هَذَا الْأَمْرِ عَلَى أَسَاسِ الْحَيَاةِ يَوْمًا بِيَوْمٍ وَسَيَبْدُو هَذَا أَسْهَلَ فِي فِعْلِهِ. هَلْ يُمَكِّنُكَ الْوَثُوقُ فِي اللَّهِ هَذَا الْيَوْمَ؟ هَلْ سَتَضَعُ ثِقَتَكَ فِي اللَّهِ هَذَا الْيَوْمَ؟ مَهْمَا كَانَ وَضْعَ التَّحَدِّيِّ الَّذِي تَوَاجَهُهُ الْيَوْمَ، هَلْ سَتَتْرِكُهُ لِلَّهِ وَتَضَعُ ثِقَتَكَ فِيهِ؟

إِنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ مَمْلُوءٌ بِالنُّصُوصِ الَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنِ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّهُمْ سَ "يَضَعُونَ" ثِقَتَهُمْ فِي اللَّهِ. كَانَ ذَلِكَ قَرَارًا اتَّخَذُوهُ. وَكَثِيرًا مَا يَسْتَعْمِدُ الْكُتَّابُ عِبَارَةَ "سَأَفْعَلُ" عِنْدَ الْحَدِيثِ عَنِ وَضْعِ ثِقَتِهِمْ فِي اللَّهِ. اتِّخَاذُ الْقَرَارِ هُوَ الْجِزَاءُ الْأَوَّلُ، ثُمَّ نَتَابَعُ بَعْدَ ذَلِكَ، حَتَّى مُجَرَّدَ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطْ، فِي كُلِّ مَرَّةٍ، إِنْ كَانَ هَذَا مَا يَحْتَاجُهُ الْأَمْرُ. الْأَهْدَافُ الصَّغِيرَةُ تُسَاعِدُنَا فِي نَهَايَةِ الْمَطَافِ عَلَى الْوَصُولِ إِلَى الْأَهْدَافِ الْكَبِيرَةِ.

يَقُولُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ:

"يَا إِلَهِي، عَلَيْكَ أَتَّكِلُ. خَلِّصْنِي مِنْ كُلِّ مُضْطَهِّدِي. أَنْقِذْنِي."

(مزمور ٧: ١)

"لَكِنِّي أَتَّكِلُ عَلَيْكَ مِنْ بَدَايَةِ خَوْفِي. وَأُسَبِّحُ اللَّهَ عَلَى وَعْدِهِ لِي. عَلَى اللَّهِ أَتَّكِلُ. فَلَا أَخْشَى مَا يُمَكِّنُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَفْعَلَهُ بِي."

(مزمور ٥٦: ٣-٤).

وَضَعُ ثِقَتِكَ فِي اللَّهِ سَيَكُونُ أَسْهَلَ فِي الْأَيَّامِ الَّتِي تَسِيرُ فِيهَا الْحَيَاةُ عَلَى مَا يَرَامُ. لَكِنْ فِي الْأَيَّامِ الَّتِي لَا تَسِيرُ فِيهَا الْأُمُورُ كَذَلِكَ، سَيَكُونُ الْأَمْرُ أَكْثَرَ صَعُوبَةً.

إِنْ كُنْتَ تُوَجِّهَ أَمْرًا مَأْسَاوِيًّا أَوْ مُؤَلِّمًا حَقًّا، سَيَكُونُ صَعْبًا أَيْضًا، لَكِنْ عَلَيْنَا أَنْ تَذَكَّرَ أَنَّ اللَّهَ لَنْ يَطْلُبَ مِنَّا أَبَدًا أَنْ نَفْعَلَ شَيْئًا لَا نَسْتَطِيعُ فِعْلَهُ. يُمَكِّنُنَا أَنْ نَثِقَ بِاللَّهِ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ! حَتَّى عِنْدَمَا تَمُرُّ بِأَوْقَاتٍ يَجِبُ أَنْ تَقُولَ فِيهَا "سَأَضَعُ ثِقَتِي بِاللَّهِ" أَلْفَ مَرَّةٍ، فَالْأَمْرُ يَسْتَحِقُّ فِعْلَ ذَلِكَ. لَيْسَ فَقَطْ إِكْرَامًا لِلَّهِ، لَكِنْ لِأَنَّهُ يَرْفَعُ مِنْ عَلَيْنَا الْأَعْيَاءَ، الَّتِي لَمْ نَكُنْ مُجَهِّزِينَ وَلَا مَعْنِينَ بِحَمْلِهَا.

عِنْدَمَا تَمَّ تَشْخِيسُ إِصَابَتِي بِسَرَطَانِ الثَّدْيِ فِي عَامِ ١٩٨٩، كَانَ الْأَمْرُ مُخِيفًا، وَكَانَ رَدِّ فِعْلِي الْأَوَّلُ هُوَ الْقَلْقُ. كَانَ زَهْنِي مَمْلُوءًا بِالتَّسْأُؤَلَاتِ "مَاذَا لَوْ؟" لَكِنَّ اللَّهَ طَلَبَ مِنِّي أَنْ أَقُولَ: "يَا اللَّهُ، أَثِقْ بِكَ." بَدَلًا مِنَ الْحَدِيثِ عَنِ مَخَاوِفِي وَقَلْقِي. كَانَ عَلَيَّ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ أَنْ أَقُولَ ذَلِكَ مَرَارًا وَتَكَرَّرًا، لَكِنِّي ثَابَرْتُ. وَأَخِيرًا جَاءَ يَوْمَ الْعَمَلِيَةِ الْجِرَاحِيَةِ، مَعَ فَحْصِ الْغَدَدِ اللَّيْمَفَاوِيَةِ لِمَعْرِفَةِ مَا إِنْ كَانَ السَّرَطَانُ قَدْ انْتَشَرَ. وَهَذَا يَعْنِي وَضْعَ الْمَزِيدِ مِنَ الثِّقَةِ فِي اللَّهِ كُلِّ يَوْمٍ بَيْنَمَا نَنْتَظِرُ نَتَائِجَ الْفَحُوصَاتِ. بَدَأَ الْأَمْرُ وَكَأَنَّهُ اسْتَغْرَقَ وَقْتًا طَوِيلًا، لَكِنْ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ وَاصَلْتُ الْقَوْلَ "يَا اللَّهُ، أَثِقْ بِكَ." أَخِيرًا جَاءَ التَّقْرِيرُ مَرَّةً أُخْرَى وَكَانَ جَيِّدًا. لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ سَرَطَانٌ فِي الْغَدَدِ اللَّيْمَفَاوِيَةِ، لَكِنْ لَمْ يَكُنِ الْأَطْبَاءُ مُتَأَكِّدِينَ إِنْ كَانَتْ هُنَاكَ حَاجَةٌ لِأَيِّ نَوْعٍ آخَرَ مِنَ الْعِلَاجِ. فَقَطْ أَخْصَائِيَّةُ الْأَوْرَامِ تَسْتَطِيعُ إِخْبَارِي بِذَلِكَ. أَخَذْتُ مِيعَادًا مَعَ طَبِيبَةِ الْأَوْرَامِ، لَكِنْ ذَلِكَ بِالتَّأَكِيدِ اسْتَغْرَقَ وَقْتًا لِأَنَّمَكُنْ مِنْ رُؤَيْتِهَا، بِالتَّالِي

كنتُ أواجه مَزِيدًا من أيامِ الثِّقَةِ باللهِ قبل أن أعرف كيف ستبدو حياتي في الشهور القليلة المقبلة. نحن جميعًا نعرف صعوبة الرغبة في الحصول على إجابات؛ والاضطرار إلى انتظارها.

أثناء تلك الأوقات من الانتظار، كَانَ لَدَيَّ العديد من الفرص لأدع عقلي يتجه نحو أسوأ سيناريو مُمَكِن. لكن الله كَانَ يُذَكِّرُنِي أن أتق به. عندما قابلتُ طبيبة الأورام أخيرًا، قالت إنها لا ترى أية حاجة لمزيد من العلاج؛ حيث إن السرطان أُزِيلَ تمامًا. يُمَكِّنُنِي أن أستمر في الحياة بشكل طبيعي مع مُجَرَّد الحصول على فحصٍ سنويٍّ. يا له من شعورٍ مريحٍ! شعرتُ كأنني أسقطتُ حِملاً يزن خمسمئة رطلاً. ثمَّ كل سنة؛ ولعدة سنوات، عندما يأتي وقت التصوير الشعاعي للثدي، كَانَ عَلَيَّ أن أمضي خلال هذه العملية كلها من جديد. في إحدى السنوات ظنَّ أخصائي الأشعة أنه رأى شيئًا أثناء المسح وأرادوا مني البقاء لعمل موجات فوق صوتية، واضطرتُّ إلى الانتظار بعض الوقت لهذا السبب! ماذا لو عاد السرطان مرَّة ثانية؟ ماذا لو انتشر بمناطقٍ أخرى؟ كَانَ هناك وقتٌ لهذه الأسئلة، وغيرها الكثير؛ إذ كانت تندفع إلى ذهني بينما كنتُ أنتظر. لكنني قلتُ: "يا رب، أتق بك مهما كَانَ الأمر".

تعرَّضتُ للموجات فوق الصوتية، واتَّضح أنه لا يُوجَد شيء على الإطلاق! مرة أخرى أُعلِن أنني خالية من السرطان. وقد استمر ذلك لمدة سبع وعشرين سنة حتى الآن.

أخبرك بهذه القصة لتعرف أنني أدرك أن وضع ثقتك في الله يتطلب عادةً

الجهاد الحسن في الإيمان. كما أخبر بولس تيموثاوس في ١ تيموثاوس ٦: ١٢. الشيطان كذاب، وهو يحاول يقينًا الاستفادة من كل موقف يستطيع فيه أن يملأنا بالخوف، لكن يُمكننا أن نُعطّل خُطته عن طريق اختيار أن "نضع" ثقتنا في الله بإرادتنا.

بينما نقرأ ذلك، ربما تشعر أنّك وثقتَ في الله في الماضي؛ لكن الأمور لم تسر بالطريقة التي كنت تُريدها. إن كَانَ الأمرُ كذلك، هذا غير مفاجئ؛ لأن الأمور لا تنتهي دائمًا بالطريقة التي كُنّا نرغب بأن تنتهي عليها. فالثقة في الله، أو الثِقة الكَامِلة فيه، ليست أن نحصل على ما نُريد. عندما نقرّر أن نثِق في الله، نحن نلتزم التزامًا كَامِلًا أن نثِق به مهما كانت النتيجة. ونعطيه الإكرام بثقتنا أنّه يعرف الأفضل.

يُمكننا أن نسمع هذه الثِقة الكَامِلة في عبارة أيوب عندما قال: "هَلْ سَيَقْتُلِينِي اللهُ؟ حَتَّى لَوْ فَعَلَ، فَرَجَائِي فِيهِ." (انظُرْ أيوب ١٣: ١٥). عرف أيوب أن فاديه حيّ، وأنه سيقف على الأرض في النهاية (انظُرْ أيوب ١٩: ٢٥). إنَّ الإيمان الوثاق، والثِقة التي وَضَعها أيوب في الله؛ هي الرسالة الأكثر أهمية في هذا السّفر. غالبًا ما نضع تركيزًا كبيرًا على سبب معاناته؛ حَتَّى إنَّنا نخسر رؤية الدروس الأخرى في هذا السفر. إنَّ إيمان أيوب يدهشني، وأجد أنّ هذه النصوص الكتابيّة تتحداني وتمكّنني من الثِقة في الله بغض النظر عَمَّا أجتاز فيه.

لقد ندمر أيوب، ولم يعتقد أنّه كَانَ يستحق المُعاناة والألم الذي كَانَ يتحمّله، لكنّه لم يتوقف أبدًا عن ثقته بالله. وفي النهاية، ردّ الله له

ضعف كل ما قد خسره، وأتصوّر أنّ ذلك كان شعورًا رائعًا. أو من بشدّة أنّ الله يكافئ أولئك الذين يستمرون في وضع ثقتهم به.

قليل جدًّا، إن وُجد. من يستطيع مِنّا أن يجتاز في أمر مأساوي دون قليل من التذمّر. ونحن نعتقد غالبًا أنّنا لا نستحق أيًّا من معاناتنا كما فعل أيوب. لكن، ووسط هذا كله، يُمكننا اختيار أن نثق في الله يومًا بعد يوم. وإن كُنّا سنفعل ذلك، سنقدر أن نجتاز في أي شيء.

كيف سيبدو مُستقبلي؟

نعتقد جميعنا أنّنا نحب أن نعرف المُستقبل. ويُفوق الناس ملايين الدولارات على العَرَافات والأطباء النفسيين، أملاً في الحصول على بعض معلومات عن مُستقبلهم. إنّ كَلِمَةَ الله تدين هذه الممارسات، ومن المثير للاهتمام أنّ الناس ينفقون الكثير جدًّا من المال على هذه الأمور. عندما نثق في الله، لسنا في حاجة لفعل مثل هذه الأمور؛ لأننا نعلم أنّه سيكشف مُستقبلنا في توقيته الخاص، وحتى يفعل ذلك، نحن نثق به.

قال إبراهيم لينكولن: "أفضّل شيء بشأن المُستقبل أنّه يأتي يومًا بعد يوم." هل نريد حقًا معرفة مُستقبلنا؟ أعتقد أنّنا، ولمجرّد أن نعرف، قد نتمنّى لو لم نطلب ذلك أبدًا. فحياة كلِّ مِنّا مليئة بالأمور الجيدة؛ وكذلك غير الجيدة. وإذا رأينا المُستقبل، قد نكون متحمسين لجزء منه، لكن هذا الحماس سيزول عندما نرى جميع الأمور التي ستكون صعبة، أو مُؤلِمة، أو مُحِبطة، أو تُشكّل تحدّيًا لنا.

حقيقة أننا نواجه المصاعب يومًا بعد يوم تُمكننا من فعل ذلك دون استسلام. نستطيع فعل أي شيء يومًا بعد يوم طالما نضع ثقتنا في الله. ونتكل ونعتمد عليه. التفكير المفرط في مشاكلنا يتسبب في اضطراب في أذهاننا والرغبة في التوقف عن الحياة. إن عرفنا المُستقبل، قد نُجرب بالتفكير والقلق بشأن كل الأمور الصعبة التي رأيناها فيه. وغالبًا سننهار. أشعر بيقين تام أن الله إن أراد أن نعرف المُستقبل، لكان سيقوم حتمًا بالترتيبات اللازمة لنا لنفعل ذلك. فأي شيء يخفيه عنا هو لسببٍ صالح. ويُمكننا أن نستريح بمعرفة أنه سيكشف لنا ما نحتاج أن نعرفه في التوقيت الصحيح.

نمر جميعنا في بعض أوقات من الحاجة، وفي أوقات أخرى الوفرة. ويشجعنا بولس الرسول أن نكون مكتفين في كلتا الحالتين (أنظر فيلبي ٤: ١١-١٢). يستخدم الله الاثنين في حياتنا. ليست كل الفصول هي نفس الشيء، لكن بينما تعمل جميعها معًا، تصنع حياة جميلة. عندما نحتمل فصل الشتاء الطويل، يأتي بنا في النهاية إلى الربيع، وتتفتح الزهور مرة ثانية في حياتنا.

الفصل ١٤

المجهول

«فَمَنْ مِنْكُمْ يَخَافُ اللَّهَ، لِيُطِيعَ صَوْتَ خَادِمِهِ. ذَلِكَ الَّذِي وَإِنْ سَلَكَ فِي الظُّلْمَةِ وَلَمْ يَرِ نُورًا، يَتَّقُ بِاسْمِ اللَّهِ وَيَتَّكِلُ عَلَى إِلَهِهِ.»

(إشعياء ٥٠: ١٠)

إِنَّ ثِقْتَنَا فِي اللَّهِ عِنْدَمَا نَعْتَقِدُ أَنَّ لَدِينَا فِكْرَةَ وَاضِحَةً عَمَّا يَحْدُثُ فِي حَيَاتِنَا، أَوْ ثِقْتَنَا فِيهِ عِنْدَمَا نُفَكِّرُ أَنَّا اكْتَشَفْنَا كُلَّ شَيْءٍ، وَأَنَّ لَدِينَا خُطَّةَ جَاهِزَةٍ سَتَفْتَحُ لَنَا بَابًا لِلْحَصُولِ عَلَى مَا نُرِيدُ، هِيَ شَيْءٌ، فِي حِينِ أَنَّ الْوَاقِعَ شَيْءٌ آخَرَ تَمَامًا، عِنْدَمَا لَا يَكُونُ لَدِينَا نُورٌ فِيهِمَا يَتَعَلَّقُ بِظُرُوفِنَا أَوْ بِمُسْتَقْبَلِنَا.

قال تشارلس سبرجن: "لا يهم أن تثق بالله في النور، لكن أن تثق به في الظلام- هذا هو الإيمان." الإنسان غالبًا لديه رغبة جامحة لمعرفة الأمور. وهو يريد أن يعرف الأمور لأنه يعتقد أن ذلك يمنحه مقدارًا من السيطرة على حياته. لكن عندما ندخل في علاقة مع الله، علينا أن نتخلى عن السيطرة ونثق به في توجيه طريقنا. معظمنا لن يفعل ذلك دون بعض معونة من الله، لذلك هو يساعِدنا! فهو يدعنا ندخل في المواقف التي لا نستطيع فهمها، ويقصد ألا يُعطينا إجابات عندما نطلبها.

الحياة مليئة بأسرارٍ عديدة، واختياراتنا في كيفية التعامل معها محدودة. قد نُحبط أنفسنا ونحيرها محاولين فهم ما يتعلّق بالأمر المخفية التي في علم الله وحده. أو ربما نستطيع البحث في أذهان الآخرين، نسألهم عن رأيهم فيما يحدث في حياتنا. بينما يُمكن أحيانًا أن ننفعنا ذلك في بعض الأوقات، لكنه ربما يُزيد أيضًا من حيرتنا. أسرع طريق إلى السلام هو تعلّم الثقة بالله. أوّمن بأنّ الثقة بالله هي إحدى الطرق التي تظهر له بها الإكرام. فهي تُظهر الاحترام، وتُعلن أنّنا نُؤمن بكلمته ونثق في شخصه.

إنّ روح الخوف هو أصل رغبتنا التي لا تشبع في الحصول على جميع الإجابات عن الحياة. نريد أن نعرف ماذا سيأتي بعد وكيف ستسير الأمور بالضبط معنا في المُستقبل. نحن لا نريد أيّة مفاجآت. على الأقل لا شيء من المفاجآت غير السارة.

على الرغم من أنّ أمور عديدة يُعطينا الله رؤية لها، إلاّ أنّه لا يفعل ذلك كل الوقت، وعندما لا يفعل، فلدينا ثقة كثفتنا في

(أسرع طريق إلى السلام هو تعلّم الثقة بالله.)

برنامج نظام الأمان في الكمبيوتر. عندما نثق بالله ونكون مُستعدين أن نصبر، سنرى أنّه لن يخذلنا أبدًا.

أنا أدرك أنّ عدم المعرفة في الواقع أمرٌ مقلق، ويسبب التوتر. حيث تنتقل أذهاننا من أمرٍ لآخر، في محاولة للعثور على أي شيء ذي منطوق، لكن الغريب، حتى عندما نعتقد أنّنا فهمنا كل شيء، أننا قد نظل مخطئين.

نحن نحب أن يشغل كل شيء مسّاحة صغيرة لطيفة من حياتنا. لكن ثمة أوقات تكون حياتنا فوضوية وغير منظّمة. لا أحد. حتى الله نفسه. يفعل ما نُريد. هنا كل ما نشعر به هو الإحباط. في عدّة مرّات من حياتي. وضعتُ توقعاتي على أساس ما اعتقدتُ أنّه سيحدث. ثمّ ذهلتُ وارتبكتُ عندما لم تسر الأمور بهذه الطريقة.

يُمكن لهذه الأنواع من المواقف أن تُستخدم كطريقٍ للتعلّم. لكن: ولكي يحدث هذا، ينبغي أن نهدأ ونطلب من الله أن يُظهر لنا أين كنّا مخطئين في تفكيرنا. بالنسبة لي، أجد عادةً أنّني أعددتُ خطأً وفقاً لما أردتُ أن أراه يحدث. بدلاً من النظر حتى بعين الاعتبار إلى ما يُريده الله.

أبسط خطوة إيمان يُمكننا أن نأخذها فيما يتعلّق بمواقفنا في الحياة هي أن نقول: "يا رب، هذا هو ما أودُّ أن أراه يحدث. لكن لتكن مشيئتك وليس مشيئتي!"

في الأيام الأولى من خدمتي، اخترتُ مجموعة من الأصدقاء الذين اعتقدتُ أنّهم سيخدمون معي ويُساعِدونني في ولادة الأمور التي كشف الله لي أنّني سأفعلها كمُعَلِّمة لكلمته. لاحظ من فضلك قولي بأنّني اخترتُهم. فعلتُ ذلك دون صلاة أو حتّى اعتبار لوجود الله في طريقي. عندما اختار يسوع تلاميذه (الرجال الذين سيخدمون معه)، صلّى الليل كلّهُ قبل أن يتخذ تلك الاختيارات (انظر لوقا ٦: ١٢-١٣).

لم يكن الأشخاص الذين اخترتُهم اختيار الله، وتحوّل الأمر إلى كارثة تسبّبت لي في الشعور بالكثير من الألم العاطفي الشخصي. لقد وشوا

بي. وكذبوا. واتهموني اتهامات كاذبة. وتقريبًا أوقفوني عن مسيرتي قبل أن أمضي كثيرًا من بداية السعي نحو مصيري.

إنَّ الاختيارات التي نتخذها فيما يتعلَّق بالأشخاص الذين سنرافقهم مهمَّة. خاصَّة إن كُنَّا سنرتبط بهم بطريقة قريبة وشخصيَّة. غالبًا ما يستخدم إبليس الأشخاص، حتَّى المؤمنين، ليجرحنا ويُضعفنا. قد يكون الأشخاص مُخلصين وبعد ذلك يخطئون بإخلاص. كَأَنَّ هؤلاء الأشخاص يعتقدون أنَّهم يسمعون من الله أمورًا بشأنني لم تكن صحيحة على الإطلاق. وأصبح كبريائهم سبب سقوطهم في نهاية المطاف.

من خلال كثيرٍ من مثل هذه المواقف في الحياة، تعلَّمتُ بشِدَّة أنَّ

الصلاة يجب أن تسبق كل قرار هام نتَّخذه. افتراضاتنا وادعاءاتنا لا تُسرُّ الله! لا تقع في خطأ التخطيط ثمَّ الصلاة حتَّى يعمل الله

يجب أن تسبق الصلاة
كل قرار هام نتَّخذه .

لإنجاح خططك. صلِّ أولاً ودع الرُّوح القُدس يرشدك إلى كَامِل إرادة الله الصالحة لحياتك.

الرضا ليس في المَعْرِفَة

كان الرَّسول بُولس رجلاً على مستوى عالٍ من التعليم، مع ذلك وصل إلى مَرَحَلَة في حياته عندها قال: "فَأِنِّني صَمَمْتُ أَلَّا أَعْرِفَ شَيْئًا وَأَنَا بَيْنَكُمْ إِلَّا يَسُوعَ الْمَسِيحَ وَمَوْتَهُ عَلَى الصَّلِيبِ." (١ كورنثوس ٢: ٢). وفي تقديمه الإنجيل للناس، أخبرهم أنَّ الخلاص من خلال المَسِيح كَأَنَّ غامضًا، وسرًّا

لدى الله. ولكنّه اختار أن يُؤمّن به بدلاً من أن يحاول فهمه. هناك عدد لا حصر له من الأشخاص الذين يرفضون التمتع بفوائد الإيمان البسيط مثل إيمان الأطفال. فهم يُريدون أن يفهموا عقلياً جميع تعقيدات صليب المَسيح والخلاص من خلال شخصه. لكن يُمكن فُهم ذلك بالقلب فقط وليس العقل.

إن لم تكن لدينا أسئلة غير مجابٍ عنها في حياتنا، لن تكون هناك حاجة للإيمان. ربما نقدر أن نقول إنّ الإيمان عادةً ما يأخذ مكان الإجابات! يجب أن نسعى لمَعْرِفَةِ الكَلِمَةِ، لنعرف الله، ونعرف مشيئته بدلاً من السعي بلا نهاية لمَعْرِفَةِ جميع الإجابات المتعلقة بظروفنا. عندما يسألنا الناس ماذا سنفعل عندما نُواجه مُشكِلة ما، يُمكننا القول ببساطة: "لا أعرف." أخبر الناس أنّك تُصَلِّي من أجل كل شيء وأنت مُتأكّد في قلبك أنّ الله سيوجّهك في الوقت الصحيح. حتى إن كنت تبدو أكثر ثقة ممّا أنت عليه حقّاً، يبقى من الجيد أن تُعبّر عن إيمانك. إن اخترنا أن نثق بالله، ستلحق مَشاعِرنا بقرارنا في نهاية المطاف.

يقيناً، ليس هناك أي خطأ في السعي للحصول على إجابات عن الأسرار والأُمور الغامضة في حياتنا، لكن عندما نُصبح مرتبكين أو محبطين، يشير ذلك إلى أنّنا قد ذهبنا بعيداً جِدّاً في سعينا.

يختبر الناس الكثير من الحيرة في الحياة، وأنا أعتقد أنّ مُعظّم هذه الحيرة تأتي من الاحتياج الخارج عن السيطرة لمَعْرِفَةِ كل شيء. هل يُمكنك أن تثق بالله بينما أنت في الظلام وليس لديك فُهم بشأن وضعك

الحالي؟ هذا هو نوع الإيمان الذي يبحث عنه الله. فهو يُريدنا أن نثق به. خاصّة عندما نكون في الظلام. أو عندما تكون الحياة غامضة ولا نراه يعمل أو حتى نشعر بوجوده. هذه الأوقات جيدة حقًا بالنسبة لنا لأنّها تُساعدنا أن ننمو في الإيمان. يتحدّث الكتاب المُقدّس عن الإيمان القليل والإيمان العظيم. لذلك لماذا نكتفي ونرضى بالإيمان القليل بينما يُمكننا أن نتحلى بإيمان عظيم من خلال ثقتنا بالله في الأوقات الصعبة.

”الحاجة إلى المعرفة“

كنتُ أشاهد فيلمًا مؤخرًا الذي يظهر فيه عميلان لمكتب التحقيقات الفيدرالي بمستويات مُختلفة من التصريح. وبدا أنّ أحدهما مُطلع على معلومات خاصّة بالقضية التي ليس للشخص الآخر علمًا بها. وعندما سألت الأخير عن المعلومات. قيل له إنّها كانت تُعطى على أساس ”الحاجة للمعرفة“. بتعبير آخر. إنّ الأشخاص الوحيدين الذين يتم إبلاغهم بتفاصيل القضية هم الذين يحتاجون حقًا لمعرفةاها.

أعتقد أنّ الله يعمل معنا على هذا الأساس أيضًا. إنّ كُنّا نحتاج أن نعرف شيئًا ما. يُمكننا دائمًا أن نتأكّد أنّه سيُخبرنا. لكن إنّ لم نكن نحتاج أن نعرف. أو من الأفضل لنا ألا نعرف. عندها لن يُخبرنا. ونحن نستطيع. بل ويجب. أن نتعلّم كيف نرضى بذلك.

إنّ معرفة بعض الأشياء يُمكن أن تُثقل أرواحنا وتسبّب لنا الهَمّ والقلق. ولا أحد مِنّا في حاجة لذلك. في تلك الأوقات. عدم المعرفة يُمكن أن يكون

مطمئنًا جدًّا! كنتُ أتحدّث هاتفيًّا مع إحدى صديقتي الأسبوع الماضي وتطرقتنا لموضوع كربه يتعلّق بالفساد الأخلاقي في حياة أحد الأشخاص المعروف لدينا. كُنَّا نتحدّث، لكننا حرصنا أيضًا أن لا نوشي به أو نقول بعض الأمور التي لم تكن ضرورية. سألتني صديقتي سؤالًا بشأن هذه الحالة، وقبل حتى أن أفكّر إن كنتُ سأجيبها أم لا، قالت: "لا عليك، لستُ بحاجة لمَعْرِفَة ذلك".

أعتقدُ أن هذا يُظهر نضوجًا روحيًّا، ويُمْكِن أن يكون نموذجًا لنا جميعًا. هناك فَرْق بين الرغبة في مَعْرِفَة شيء ما وهي النابعة من فضولنا أو رغبتنا في السيطرة على المواقف، والرغبة في المَعْرِفَة؛ لأننا نحتاج حقًّا أن نعرف. بدلًا من أن نحتار ونُحَبِّط بينما نحاول أن نفكّر ونسأل عن أمور في الحياة، لماذا لا نثق ببساطة أن الله يعمل معنا على أساس "الحاجة للمَعْرِفَة"؟

هناك مواقف في الكتاب المُقدَّس فيها يُطَلَب من الإنسان أن يُحاجج مع الله، ولكن تلك المواقف لا تشير إلى محاولة اكتشاف الأمور التي ليس الله مُستعدًّا أن يكشف عنها بعد. وفيما يلي نموذجان يُظهران الفرق بين المحاجّة داخل مشيئة الله وخارج مشيئة الله.

"يَقُولُ اللهُ: تَعَالَوْا نَتَحَاجَجْ. إِنْ كَانَتْ خَطَايَاكُمْ حَمَرَاءَ كَالْقَرْمِزِ، أَنَا أَجْعَلُهَا بَيْضَاءَ كَالثَلْجِ. وَإِنْ كَانَتْ كَالْأَرْجُوَانِ، أَجْعَلُهَا كَالصُّوفِ الْأَبْيَضِ." (إشعياء ١: ١٨)

"ثِقْ بِاللّٰهِ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَلَا تَتَّكِلْ عَلَىٰ فَهْمِكَ." (أمثال ٣: ٥)

مرة أخرى، أريد أن أوضح أنه ليس خطأ أن نسأل الله أسئلة. فهو يودُّ في الكثير من الأحيان أن يتحاجج معنا. لكن لا تدع أبدًا المحاجة الصحية تُصبح غير صحية أو غير صالحة. دع السلام يسود في حياتك (انظر كولوسي ٣: ١٥). بتعبير آخر، دع السلام يكون العامل الحاسم ما إن كان الله مسرورًا بأسئلتك أم لا.

سيستولي علينا الخوف إن سمحنا لأنفسنا أن نفتنح بأنه لا يوجد حلُّ لمشكلتنا. كم مرّة نقول أو نسمع الآخرين يقولون: "لا توجد وسيلة عندما يبدو أنه لا يوجد طريق مجرد أننا لا نعرف الطريق لا يعني أنه لا يوجد طريق".

ستنجح؟" مجرد أننا لا نعرف الطريق لا يعني أنه لا يوجد طريق. قال يسوع عن نفسه: "أنا هو الطريق" (يوحنا ١٤: ٦) وقال إشعياء أن الله "سيقود العميان في طريق لم يعرفوه من قبل، وفي مسالك لم يعرفوها." (إشعياء ٤٢: ١٦). إن الله قادر على قيادتنا في الظلام؛ لأن الظلام هو كالنور بالنسبة له. ربما نكون في الظلام بشأن ما يحدث، لكن الله نور لذلك لا يسكن في الظلام أبدًا. قال داود كاتب المزامير، في كتابته لأحد أعظم الأصحاحات في الكتاب المقدس عن الثقة الكاملة في الله:

"لَو نَبَتَ لِي جَنَاحَانِ وَطَرْتُ إِلَى الشَّمْسِ الْمَشْرِقَةِ، أَوْ طَرْتُ غَرِبًا إِلَى أَقْصَى الْبَحْرِ، حَتَّى هُنَاكَ، أَجِدُ أَنَّ يَدَكَ تُمْسِكُنِي وَتَقُودُنِي. رَبِّمَا قُلْتُ لِنَفْسِي: «الظُّلْمَةُ سَتُخْفِينِي عَنكَ! وَمِنَ اللَّيْلِ سَتَأْخُذُ لِي سِتْرًا.» لَكِنَّ الظُّلْمَةَ لَيْسَتْ مُظْلِمَةً لَدَيْكَ. مَهْمَا

أظلمَ اللَّيْلُ. فَهُوَ وَاضِحٌ كَالنَّهَارِ لَكَ. الضُّوءُ وَالظُّلْمَةُ سَيَّانٌ
عِنْدَكَ. (مزمو ١٣٩: ٩-١٢).

عندما يكون لدينا موسم طويل من التجارب، أو نواجه أمرًا شديد
الصعوبة، فإنّه من الطبيعي أن نُحْبَط ونبدأ في التفكير بأنّ هذه ستكون
حالتنا الدائمة في الحياة.

ونفكّر في أمور مثل: هذا لن يتوقّف أبدًا. لقد فعلتُ كل شيء أعرفه
ولا شيء نافع. يبدو أنه ليس هناك طريق! لكن الله لديه قصّة مُخْتَلِفَة
لِيُخْبِرَ بها. فيقول:

"لَا تَتَذَكَّرُوا مَا حَدَثَ قَدِيمًا، وَلَا تُفَكِّرُوا بِالْمَاضِي. هَا إِنِّي أُوشِكُ
أَنْ أَصْنَعَ أَمْرًا جَدِيدًا. هُوَ الْآنَ فِي بَدَايَتِهِ. أَلَا تَعْرِفُونَهُ؟ سَأَصْنَعُ
طَرِيقًا فِي الصَّحْرَاءِ، وَأَنْهَارًا فِي الْقَفَارِ." (إشعيا ٤٣: ١٨-١٩)

لقد شجّعتني هذه النصوص الكتابيّة كثيرًا في أوقات مُخْتَلِفَة في
حياتي، وأنا أصلي أن تفعل الأمر نفسه معك. عندما تتألّم، تذكّر أنّ الله
سيصنع طريقًا!

فكّر في وقت في حياتك عندما صنع لك طريقًا في الوقت الذي بدا أنّ
لا يُوجَد طريق، وتذكّر أنّه سيفعلها مرّة ثانية! إنّ طُرُقَه ليست كطرقنا.
لكن كما قال إشعيا، يستطيع الله أن يصنع طريقًا حتّى في الصحراء،
ويُمكنه أن يجلب نهرًا في أوقات القفر في حياتنا.

حتى عندما نقرّر أن نُؤْمِن بأنّه سيصنع طريقًا، قد يأخذنا ذلك لسؤالٍ
آخر: "متى سيفعل الله ذلك؟" الله فقط هو الذي يعرف بالتأكيد. وفي
أغلب الأوقات عندما نسأله، لا يبدو مهتمًّا بإعطائنا جوابًا. ذلك لا بد أن
يكون لأنّه يُريدنا أن نثق به.

الفصل ١٥

في غرفة انتظار الله

(الجزء ١)

”إنَّ المحاربين الأكثر قوة هما الصبر والوقت.“

ليو تولستوي

إذا كنت مثلي في أي شيء، فتعلَّم الصبر هو واحد من أكبر التحديات في الحياة.

هل سبق لك أن كنت في غرفة الانتظار بالمستشفى حيث ينتظر الأهل والأصدقاء الطبيب لي جلب لهم خبرًا بشأن أحد الأشخاص الذي يُحبونه وقد أجرى لتوه عملية جراحية؟ يبدو مُعظم المنتظرين قلقين وتميل نظرات وجوههم إلى التوتر وتظهر علامات القلق عليهم. إنَّهم ينتظرون إخبارهم بالنتيجة، لكنهم الآن لا يعرفون شيئًا، فهُم ينتظرون وينتظرون وينتظرون. هل ستكون الأخبار سارة أم مؤسفة؟ وإن طال الانتظار لساعات عدة أكثر من المتوقع، قد يُصبح أولئك المنتظرون أكثر قلقًا. ربما تُصبح أفكارهم أكثر قتامةً وسلبية، وسيكون ذلك مفهومًا في العالم الطبيعي.

السؤال الأكبر هو. كيف تكون حالتنا عندما نكون في غرفة انتظار الله؟ هل نكون قلقين. متوترين. مهمومين. أم منتظرين بصبر. متوقعين أخبارًا سارة؟ وإن طال وقت انتظارنا عمّا اعتقدنا أنه سيكون. هل نظل إيجابيين ومتفائلين؟ كثيرًا ما نقول إننا نثق بالله. لكن هل نُظهر ثمرة ثقتنا به؟

الله لديه كل الزمن ليحل الأمور

نادرًا ما يبدو الله في عجلة بشأن أي شيء. لكننا عادةً نكون في عجلة بشأن كل شيء! نحن لا نكتفي بمعرفة أن الله سيصنع طريقًا؛ بل نريد أن نعرف متى سيصنعه. نعدنا النصوص الكتابية بأن الله في الوقت المعين. سيفعل ما يجب فعله. لكن متى يكون الوقت المعين؟ إنه الوقت الذي يحدّد الله أنه الصحيح. وهو نادرًا ما يدعنا نعرف كم ستطول مدته. مع ذلك. نستطيع أن نكون متأكّدين أنه لن يكون طويلًا جدًّا. فإلهنا يعرف ما نحن قادرين عليه. ولن يدفعنا أبدًا أبعد من ذلك!

ما نعتقد أنه وقت طويل هو فقط قصير في نظرة الله للأمور:

”لَكِنَّ لَا يَغِيبُ عَنْ بَالِكُمْ هَذَا الْأَمْرُ أَيُّهَا الْأَحْبَاءُ: أَنَّ يَوْمًا وَاحِدًا عِنْدَ الرَّبِّ كَأَلْفِ سَنَةٍ، وَأَنَّ أَلْفَ سَنَةٍ كَيَوْمٍ.“ (أبط ٣: ٨)

يرى الله الأمور في ضوء الأبدية؛ لذلك، هو ليس في عجلة من أمره. فهو يرى النهاية منذ البداية. الله بالفعل حيث نحن ذاهبون. وهو يعلم تمامًا ما سيحدث! دائمًا لديه سبب صالح لما يفعله. وتعلّم الإيمان هو ما يُساعدنا أن نثق به سواء أكان انتظارنا قصيرًا أو طويلًا.

كثيرًا ما نُريد الأمور قبل أن نكون ناضجين بما يكفي للتعامل معها بطريقةٍ صحيحة. لكن الله يَعْلَم أفضل وقت. وأستطيع أن أؤكد لكَ أَنَّهُ لن يُعطينا حتى يكون الوقت مناسبًا. قد يقول الله: "انتظر"; أو ربما حتى يقول: "كلا." لكن مهما كَانَ ما يقرّره سيكون الأمر الأمثل هو الذي يُفعل في الوقت الأمثل. كل ما يفعله الله فيما يتعلّق بحياتنا أو علاقتنا معه هو لخيرنا!

كأبناء لله، لدينا ثمرة طول الأناة (الصبر) بداخلنا، وفقًا لغلاطية ٥: ٢٢. لكنّها عادةً ما تستغرق عدّة سنوات في المسير مع الله قبل أن نرى كثيرًا منها ظاهرًا. لقد وُضِعَت بداخلنا كبذرة، لكنها تتطلّب الوقت والخبرة حتى تنمو وتصبح قوية.

يأتي أصل الكلمة اليونانية المترجمة "صبر" بمعنى "الثبات في"، بتعبير آخر. أن تلتصق بشيء رغم أَنَّهُ قد يكون مُزعجًا أو حتى مُؤلمًا. هذا يعني أن نحتمل أمورًا طوال الطريق حتى الوصول للنهاية. معظمنا يُريد الهروب من الأمور التي تسبّب لنا أي نوع من الألم والمعاناة. وفكرة احتمال المصاعب دون أن نعرف على الأقل المُدّة التي نتوقّع أن نفعّل فيها ذلك هي فكرة مزعجة. الله لا يُعطينا دائمًا الإجابات التي نرغب بها عندما نُريدها. ببساطة لأنه ملتزم بنمونا الروحي. ويرى أنّ ذلك أهم كثيرًا من حصولنا على الرّاحة الفورية من أمرٍ نُمرُّ به.

قبل أن أعرف الكثير عن الثّقة بالله، كَانَ الأمر يُحِبطني حقًا، خاصّةً عندما كنتُ أحتاج أن يفعل شيئًا أعرف أَنَّهُ سيكون سهلًا جدًّا بالنسبة

له: مع ذلك يبدو أنه لا يفعل شيئًا على الإطلاق. أدرك الآن. حتى على الرغم من أن شيئًا لم يتغيّر في ظروفه، إلا ان الله كان يعمل بداخلي. كَانَ يجعل إيماني يتسع. وبفعله ذلك، كَانَ يضاعفه ويجعله أقوى. ولأنني لم أكن أعرف كيف أثق بالله، كنتُ بآئسة طوال الوقت الذي اضطررتُ فيه للانتظار. وأنا مُتأكّدة أنّ انتظاري كَانَ سيكون أقل لو كنتُ قد عرفتُ كيف أثقُ به.

تُصبح الحياة أسهل بينما نكتسب المزيد من الخبرة مع الله. ونتعلّم أنه لا يتأخر أبدًا، رغم أنه غالبًا لا يأتي مبكرًا؛ على الأقل ليس وفقًا لجدوله الزمني. الصبر ليس مُجرّد القدرة على الانتظار لكن أيضًا كيف نسلك بينما ننتظر. جميعنا سننتظر في أمور كثيرة في الحياة، لكن أن "ننتظر بصبر" هو الهدف الذي يُريده الله لنا. الانتظار بصبر ببساطة غير مُمكن إلا عندما نثق أنّ طبيعة الله بلا عيب، وأنه صالح وهو يُظهر صلاحه لنا طوال حياتنا. ومجرّد أنني لا "أشعر" أنّ الأمر صالح، لا يعني أنه فعلاً غير صالح. قد أدرك في نهاية المطاف أنّ ما اعتقدتُ أنه كَانَ سيئًا، كَانَ صالحًا جدًّا على المدى الطويل بالنسبة لي.

”لن يفوت الأوان أبدًا“

أرسلت مرثا ومريم رسالة إلى يسوع لتخبراه بأنّ أخاهما لعازر كَانَ مريضًا. يقول النص الكتابي إنّ يسوع كَانَ يُحب مرثا، ومريم، ولعازر، وأنّهم كانوا أصدقاءه الأعزاء. لكن قيل إنّه، حتى عندما سمع أنّ لعازر كَانَ مريضًا، بقي يومين إضافيين في مكانه قبل أن يذهب لرؤيته (انظرُ يوحنا ١١: ١-٣). في وقت وصول يسوع، كَانَ لعازر قد مات، ووُضع في القبر أربعة أيام.

والسؤال الطبيعي سيكون: "إذا كَانَ يَسُوع يُحِبُّهُمْ كَثِيرًا، لماذا انتظر قبل أن يذهب لمساعدتهم؟"

انتظر لأنه كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَبْدُو الْوَضْعَ وَقَتَ وَصُولِهِ وَكَأَنَّ لَا يُمَكِّنُ إِصْلَاحَهُ. عندما وصل يَسُوعُ هُنَاكَ، قَالَتْ مَرْتَا: "لَوْ كُنْتُ هُنَا يَا سَيِّدُ لَمَا مَاتَ أُخِي." (يوحنا ١١ : ٢١). كَثِيرًا مَا نَفَكَّرُ أَوْ نَقُولُ الشَّيْءَ نَفْسَهُ فِيَمَا يَتَعَلَّقُ بِظُرُوفِنَا الْخَاصَّةِ: "يَا يَسُوعُ، إِنْ كُنْتُ تُرِيدُ، كُنْتَ تَسْتَطِيعُ مَنَعَ حُدُوثَ هَذَا الْأَمْرِ." نَكُونُ، بِالطَّبَعِ، مُحَبِّطِينَ وَغَيْرِ فَاهِمِينَ لِمَاذَا يَسْمَحُ اللَّهُ بِأَمْرِ مُؤَلِّمٍ يُمْكِنُهُ أَنْ يَمْنَعَهُ، تَمَامًا كَمَا فَعَلْتَ مَرْتَا.

إِذَا كُنْتَ تَعْرِفُ قِصَّةَ لِعَازِرٍ جَيِّدًا، فَأَنْتَ تَعْرِفُ أَنَّ يَسُوعَ لَمْ يَرَ حَقِيقَةَ أَنَّ لِعَازِرَ قَدْ مَاتَ لَعِدَّةَ أَيَّامٍ كَعَقِبَةِ لَا يُمَكِّنُ التَّغَلُّبَ عَلَيْهَا. فِي الْوَاقِعِ، كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَظْهَرَ الْوَضْعَ مُسْتَحِيلًا، بِذَلِكَ قَدْ يَعْلَمُ أَقْرَابَ لِعَازِرَ وَأَصْدِقَاءَهُ، وَنَحْنُ أَيْضًا، أَنَّ مَعَ اللَّهِ كُلَّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ؛ وَأَنَّ الْأَوَانَ لَنْ يَفُوتَ أَبَدًا بِالنِّسْبَةِ لَهُ لِيَفْعَلَ مَا يَجِبُ فِعْلُهُ. أَقَامَ يَسُوعُ لِعَازِرَ مِنَ الْمَوْتِ، وَأَنَا وَاثِقَةٌ بَعْدَ مَشَاهِدَةِ الْمَعْجِزَةِ، أَنَّ الْجَمِيعَ كَانُوا سَعْدَاءَ بِأَنَّ الْأَمْرَ حَدَثَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ. عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّي شَخْصِيًّا لَمْ أَرِ شَخْصًا قَامَ مِنَ الْمَوْتِ، لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ يَمْنَحُ الْحَيَاةَ لِلْعَدِيدِ مِنَ الْمَوَاقِفِ وَالظُّرُوفِ الْمَيِّتَةِ. وَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَجِبُ رُؤْيَا هَذِهِ الْقِصَّةِ كَنُومُوجٍ لِحَقِيقَةِ أَنَّهُ لَنْ يَفُوتَ الْأَوَانَ أَبَدًا بِالنِّسْبَةِ لِلَّهِ؛ لِيَعْمَلَ عَجَائِبَ فِي حَيَاتِنَا.

بَدَلًا مِنْ رَغْبَتِنَا فِي أَنْ يَفْعَلَ اللَّهُ الْأُمُورَ بِطَرِيقَتِنَا، يُمَكِّنُنَا أَنْ نَتَذَكَّرَ أَنَّ طَرِيقَهُ دَائِمًا أَفْضَلُ مِنْ طَرِيقِنَا عَلَى الْمَدَى الطَّوِيلِ. أَسْرَارُ عَدِيدَةٍ مَخْفِيَةٍ

في حكمة الله. لا نفهم دائمًا لماذا تحدث الأمور بالطريقة التي تحدث بها، لكن لدينا امتياز الثقة بالله، وهذا يجعل ألمانا مُحتملاً.

الصبر قوة

إنَّ الصبر يمنحنا القوَّة لنتمتَّع بالحياة، بينما ننتظر الأمور التي نرغب فيها. فالكثير من الحياة يُهدَّر في الشعور بالبؤس حول الأمور التي لا يُمكننا تغييرها. إن كُنَّا نستطيع تغيير أمر مزعج، يجب أن نفعل ذلك، لكن إن كُنَّا لا نستطيع، يجب أن نثق بالله ونصمِّم ألا نكون بائسين بينما ننتظر لنرى ما سيفعله. كل يوم نهدره هو يوم لن نستعيده أبدًا، والشخص الحكيم المتعقِّل لا يهدر أيًّا من الوقت الذي قد خصه الله له أثناء وجوده على الأرض.

الكثير من الحياة يُهدَّر في الشعور بالبؤس حول الأمور التي لا يُمكننا تغييرها .

لن يجعل الإحباط، واليأس، والبؤس أبدًا الموقف السيء جيدًا، لكنهم قد يتسبَّبون في المرض، وقصر الأجل، وهدم العلاقات. قال الرَّسول يعقوب إنَّ الصبورين "يَصِيرُوا نَاضِجِينَ وَكَامِلِينَ، لَا يَنْقُصُهُمْ شَيْءٌ." (يعقوب ١: ٤).
يا له من أمر عظيم، يبدو هذا عظيمًا بالنسبة لي، وأثق أنه يبدو كذلك بالنسبة لك أيضًا. عندما أقرأ ذلك النص كثيرًا ما أميل إلى التفكير في أنني أتمنى لو كنتُ صبورة، ولكنني لستُ كذلك بعد، لكن يُمكننا التحرُّر من عدم الصبر. هناك وسيلة، والوسيلة هي من خلال التفكير الصحيح.
إن كنتُ أعتقد أنه ينبغي أن أحصل على ما أريد حتى أصبح سعيدة.

سيقودني تفكيري هذا إلى البؤس. لكن إن غيّرتُ طريقة تفكيري إلى أنني أتقُّ بالله، وأعرفُ أنّ توقيتَه رائع؛ هكذا، سأدخلُ إلى راحته؛ وأتمتعَ بحياتي بينما أنتظر. عندئذٍ لن ينقصني شيء بقدر ما تكون اللحظة التي أمرُّ بها مثيرةً للقلق. مهما كان ما سيفعله الله في مَشاكلنا، هو لن يتعجل بسبب عدم صبرنا. شيءٌ واحدٌ مؤكد — أنه مهما طال انتظارنا لعمل الله لأجلنا، فلدى الصبر القوّة ليحفظنا فرحين بينما ننتظر!

هناك شيء يحدث دائماً حتى عندما نعتقد أنّ لا شيء يحدث. انظر كيف تنمو الشجرة. نحن لا نستطيع رؤيتها تنمو، لكنّها تنمو. وتصبح أطول، وفروعها أكبر. يقولون إنّ الشجرة بطيئة النمو تحمل أفضل ثمر. وأعتقدُ أنّ المبدأ نفسه ينطبق على الأشخاص. قد لا نرى دائماً فروعنا تكبر وتتسع. لكن جذورنا تُصبح أعمق. ويومًا ما سنحمل ثمرًا جيّدًا وندرك أنّنا كنّا ننمو طوال وقت انتظارنا.

انس الأمر!

إذا شاهدنا أي شيء عن كذب، لا يُمكننا رؤية نموّه، لكن إن ابتعدنا عنه لفترة ثمّ عدنا، سندهش به. كان لدى عائلتي جزء من عقار كُنّا بحاجة لبيعه، وعلى الرغم من وجوده في السوق لأكثر من ثلاث سنوات، لم يحدث شيء على الإطلاق. لم يبع وحسب، لكن لم ينظر حتى أحد إليه. لم نلقِ عرضًا واحدًا على مدار ثلاث سنوات، ولا حتى عرضًا سيئًا! كنتُ محبطة

كثيرًا ما نعتقد أننا في انتظار الله، لكنه في الواقع، من ينتظرنا!

لأنني كنت أريد حقًا بيع هذا الجزء. صليت لأجل ذلك كثيرًا. وأعلنت بالإيمان أنه قد تمّ بيعه. وكل يوم لم يُبع فيه. كنت أشعرُ بخيبة الأمل. وفي صباح أحد الأيام. عندما بدأت الصلاة من أجل ذلك الأمر مرّة ثانية. تكلمّ الرب إلى قلبي وقال: فقط انسِ قطعة العقار هذه ودعيني أعتني بالأمر. أدركتُ في الحال أنني كنتُ أقضي وقتًا كبيرًا جدًّا واطّعةً تركيزي على هذا الأمر فقط. وكان الله يُريدني أن أخرج من ذهني وأثق ببساطة أنه يعمل.

كلما كان بيع العقار يأتي إلى ذهني كنت أفكر أنّ الله يعتني بالأمر! وأخيرًا دخلتُ لراحة الله فيما يتعلّق بهذا الأمر. وفي غضون أسبوعين تمّ بيع العقار! كنتُ أودُّ أن أقول إنني كنتُ صبورة بينما كنتُ أنتظر تلك السنوات الثلاث. لكنني في الواقع لم أكن كذلك. وقد يكون عدم صبري هو السبب الذي جعل الأمر يأخذ وقتًا طويلًا جدًّا. كثيرًا ما نعتقد أننا في انتظار الله. لكن في الواقع. قد يكون هو من ينتظرنا!

إنّ الخوف من عدم الحصول على ما نريد هو أحد الأسباب الأساسية لعدم صبرنا. لكن مرّة أخرى دعني أقول إنّنا نستطيع تغيير تفكيرنا؛ وذلك سيساعدنا للغاية. بدلًا من التفكير في أنّ لا شيء يحدث. يُمكننا التفكير في أننا نعم لا نرى شيئًا يحدث. لكننا واثقون أنّ الله يعمل!

إنّ الله يعرف كل شيء حدث في الماضي. ويحدث الآن. وسوف يحدث في المُستقبل. وهو مسيطر على كل شيء. إنّه ليس قلقًا أو متعجلًا. تأتي عجلتنا من حقيقة أننا لا نعرف كيف أو متى ستأتينا الإجابة.

كلّما قلّ ما لدينا من معلومات؛ كان الصبر في غرفة انتظار الله أصعب.

لكن تخبرنا كلُّ من كَلِمَةَ الله والاختبارات أنَّ توقيتَه كَامِلٌ وأنَّ الانتظار الذي لا نحبذَه كثيرًا يعمل حَقًّا أمورًا عظيمة في حياتنا.

نحن نقرأ قصصًا في الكتاب المُقَدَّس عن أولئك الذين نشير إليهم كرجال ونساء الله العظماء. ويتمنى معظمنا سرًّا أن تكون اختباراتهم هي اختباراتنا. أو نوُدُّ على الأقل أن نكون محط الإعجاب مثلهم. على الرغم من أننا ربما لا نتمنى أن تكون لنا تجاربهم. إنَّهم حقًا عظماء. لكن دعني أذكرك بأنَّ هؤلاء جميعهم انتظروا في غرفة انتظار الله. انتظر موسى أربعين عامًا في البرية. وانتظر داود عشرين عامًا ليُصبح مَلِكًا. وخمسة عشر عامًا منها كانَ عليه أن يختبئ في الكهوف ليمنع شاول من قتله. وانتظر يُوسُف ثلاثة عشر عامًا لإنقاذه، وقضى عشرة أعوام منها في السجن. وانتظر إبراهيم عشرين سنة قبل أن يحصل على الابن الذي وعده الله به. إن كنتِ أنتِ وأنا نبقى في غرفة انتظار الله، قد يكون لدينا يومًا ما اختبارًا عظيمًا سيقرأ عنه أحد الأشخاص ويُعجب به!

الفصل ١٦

في غرفة انتظار الله

(الجزء ٢)

"لِيَكُنْ رَجَاؤُكَ فِي اللَّهِ! تَقَوَّ وَتَشَجَّعْ. وَلِيَكُنْ رَجَاؤُكَ فِي اللَّهِ!"

(مزمور ٢٧: ١٤)

من الشائع جدًا أن يُسيء الناس فَهْمَ المعنى الحقيقي لانتظار الله. قد نرى الانتظار كوقت سلبي، غير فعّال عندما تُصبح حياتنا قيد الانتظار. فمعظمنا يُواجه وقتًا صعبًا عندما لا يفعل شيئًا على الإطلاق. وإذا نظرنا لانتظار الله بطريقة خاطئة، قد نجد أنّ سوء فهمنا يجعلنا عاجزين عندما يتعلّق الأمر بالقيام بالعمل فعليًا.

تكشف الدراسة العميقة للغة الأصلية التي تأتي منها كلمة "انتظار" أنّ المقصود بانتظار الله في الواقع هو أن تكون نشطًا جدًا روحياً. على الرغم من أنّ الله قد يطلب مِنّا أن نهدأ بشأن محاولتنا لتغيير ظروفنا، إلا أنّه لا يطلب مِنّا ألا نفعل شيئًا. هو يُريد أن يكون لدينا موقف إيجابي فيما يتعلّق بما يفعله. كما يُريدنا أن نمثلي بالأمل ونتوقع أنّ يعمل عملاً

مدهشًا في حياتنا. يُريدنا الله أن نشكره على ما يفعله حتى قبل أن نراه بأعيننا الطبيعية.

يُمْكِنُ أَنْ تَجْعَلْنَا أَفْكَارَنَا وَتَوَجُّهَاتِنَا فَرِحِينَ جِدًّا بَيْنَمَا نَحْنُ فِي غُرْفَةِ انْتِظَارِ اللَّهِ، لَكِنْ، إِنْ وَجَّهْنَا بِطَرِيقَةٍ صَحِيحَةٍ، انْظُرْ إِلَى هَاتَيْنِ الطَّرِيقَتَيْنِ مِنَ التَّفْكِيرِ وَفَكِّرْ أَيُّهُمَا تَعْتَقِدُ أَنَّه سَيُنْتِجُ فَرَحًا:

تُوجَدُ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ مِنَ التَّفْكِيرِ:

- لقد انتظرتُ طويلًا جدًّا ولا أعتقدُ أبدًا أنني أستطيع الانتظار أكثر من ذلك.

- لا شيء يحدث!

- أشعر وكأنَّ الله قد نسي كل شيء بشأني.

- أخشى ألا يُوجَدَ حلٌّ لمشكلتي.

- ربما من الأفضل أن أفقد الأمل.

وتُوجَدُ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ مِنَ التَّفْكِيرِ:

- إنني متحمسٌ جدًّا لرؤية ما سيفعله الله.

- أثقُ أنَّ الله يعمل رغم عدم رؤيتي للتغيير بعد.

- الله يُحِبُّنِي وَأَعْلَمُ أَنَّه سَيَعْتَنِي بِمَشْكَالَتِي.

- يقول مزمور ١٣٩ إِنَّ اللَّهَ يُفَكِّرُ فِيَّ طَوَالَ الْوَقْتِ، لِذَلِكَ أَعْلَمُ أَنَّه لَمْ يَنْسَانِي.

- لن أحيَا في خوف ولن أستسلم أبدًا!

من الواضح جدًّا أنَّ أي نوع من التفكير سُوينَتِج فرحًا أكثر. إنَّ كَانَ هذا هو الحال. فلماذا نميل تجاه الأفكار والمواقف السلبية؟ الفكر الجسدي الذي تحدَّث عنه بُولُس الرَّسُول في رومية ٨: ٦ "هو الشعور والتفكير دون الرُّوح القدس"؛ ويعتمد على الفكر والمنطق الذي يقود إلى الخطيَّة: لذلك، إن تبعناه، لن يكون لدينا أي خيار إلا أن نَتَّخذ قرارات بناءً على كيف تبدو الظروف من حولنا. لكن إن كُنَّا نَفكِّر بفكر الرُّوح، الذي يتحدَّث عنه بُولُس في الآية نفسها، فلنا الوعد بالحياة والسلام في أرواحنا. عن طريقة التفكير بالرُّوح، نستطيع أن نفكر مثلما يُفكِّر الله، وتمتلئ أفكارنا بالرجاء مهما بدت الأمور.

ما الذي ننظر إليه؟

نستطيع أن نفكِّر بفكر الجسد أو بفكر الرُّوح، والاختيار هو لنا. ومن المؤسف أنَّ كثيرين يعيشون حياتهم كلها يُفكِّرون فقط في أي شيء يأتي إلى أذهانهم، غير مدركين أنَّ عدوهم، إبليس، هو مصدر جميع ما لديهم من أفكار سلبية، ويائسة، ومخيفة، ومملوءة بالشك. ولم يدركوا أبدًا أنَّ بإمكانهم تغيير فكرهم الشخصي إن قرَّروا أن يطردوا الأفكار الخاطئة التي لا تتفق مع كَلِمَة الله؛ ويستبدلوها بأخرى تتفق معها.

مواقفك وأفكارك تنتمي إليك، ولا يستطيع أحد أن يجعلك تمتلك الشيء منها إن كنت لا تُريد ذلك!

في الأصحاح الرابع من الرسالة الثانية إلى أهل كورنثوس، يصف بُولُس الوقت عندما اختبر هو وآخرون من المُؤمِنين بالمسيح ظروفًا شديدة

الصعوبة. ويقول: "فَنَحْنُ نَتَعَرَّضُ لِلضَّغْطِ [للالزعاج والقهر] مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ. دُونَ أَنْ نُسْحَقَ. نَتَحَيَّرُ دُونَ أَنْ نِيَأْسَ. نُضْطَهَدُ. دُونَ أَنْ نُتْرَكَ [نكون وحدنا]. نُطْرَحُ أَرْضًا. دُونَ أَنْ نُقْتَلَ." (٤: ٨-٩). كما يُخْبِرُنَا أَيْضًا عَنِ السَّبَبِ:

"وَنَحْنُ لَا نُرَكِّزُ عَلَى مَا يُرَى، بَلْ عَلَى مَا لَا يُرَى. فَمَا يُرَى مُؤَقَّتٌ،
إِذَا مَا لَا يُرَى فَأَبَدِيٌّ." (٤: ١٨).

كان بولس والأشخاص الذين يخدمهم يعلمون أنهم يمرُّون بظروف سيئة، وأنا واثقة أنهم كانوا يرونها. لكنهم كانوا ينظرون أيضًا إلى شيءٍ آخر. كانوا يرون يسوع ووعوده بالخلص والانتصار. لم ينظروا فقط بعيونهم الجسدية الطبيعية، لكن بالعيون الروحية. نظروا بقلوبهم إلى الأشياء التي لا يمكنهم أن يروها بعيونهم الطبيعية، مع ذلك كانوا واثقين أنها كانت حقيقيةً جدًّا.

نحن نُؤْمِنُ بِاللَّهِ، رَغْمَ أَنَّنا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَرَاهُ بِعَيُونِنَا الطَّبِيعِيَّةِ. وَنُؤْمِنُ بِالملائكة، وَنُؤْمِنُ بِالجاذبية، وَفِي الأيَّامِ الملبَّدةِ بالغيومِ عندما لَا نَرَى الشَّمْسَ، نُؤْمِنُ أَنَّها موجودة. فِي الوَاقِعِ، هُنَاكَ أُمُورٌ عَدِيدَةٌ نُؤْمِنُ بِهَا بِشِدَّةٍ، رَغْمَ أَنَّنا لَا نَرَاهَا، لِمَاذَا لَا نَسْتَطِيعُ إِذْنِ الإِيْمَانِ بِأَنَّ اللّٰهَ يَعْمَلُ؛ بَيْنَمَا نَحْنُ نَنْتَظِرُ حَتَّى إِنْ كُنَّا لَا نَرَى بَعْدُ الدَّلِيلَ؟ نَحْنُ فَقَطْ لَمْ نَدْرِبْ أَنْفُسَنَا عَلَى فِعْلِ هَذَا الأَمْرِ، لَكِنْ يُمَكِّنُنَا تَغْيِيرَ ذَلِكَ.

حِياتِنَا الحَقِيقِيَّةِ فِي داخِلِنَا. مَا يَجْرِي داخِلِنَا (أفكارنا واتجاهاتنا الفكرية) أَكْثَرُ أَهْمِيَّةٍ مِنْ ظُرُوفِنَا. مَهْمَا كَانَتْ صَعُوبَةُ ظُرُوفِنَا المَحِيطَةِ بِنا، إِنْ احْتَفَظْنَا بِمَوْقِفٍ وَتَوَجَّهَ سَلِيمٍ وَاسْتَنْدْنَا إِلَى الأَفْكارِ الإِيجابِيَّةِ

المعتمدة على كَلِمَة الله، نستطيع أن نختبر السلام والفرح. وأعتقدُ أنَّ الشخص المسجون الذي تعلَّم أن يُفكِّر بإيجابية ولديه موقف سليم يُمكن أن يكون أكثر حرية من الشخص الذي يعيش خارجًا في المجتمع؛ لكنه ممتلئ بالبغضة، والمرارة، والمواقف السلبية. كل شخص يستطيع أن يُحسِّن من نوعية حياته على الفور عن طريق التفكير في الأمور الصالحة والاحتفاظ بفكر الرجاء.

يُمكن أن تكون لدينا ظروف جيدة، كثير من المال، وظيفة وعائلة جيدة. مع ذلك نظل نحيا حياةً بئسة إن كُنَّا غير ممتنين، وأنانيين، وربما غاضبين تجاه شخص أساء إلينا. لكن يُمكن أيضًا أن نعيش ظروفًا صعبة، ربما نعيش بمفردنا، وبالكاد لدينا المال الذي يكفي لنحيا به، مع ذلك يظل لدينا سلام وفرح إن كُنَّا شاكرين وقضينا وقتنا في محاولة أن نكون بركة للآخرين.

إنَّ مواقفك وأفكارك تنتمي إليك، ولا يُمكن لأحد أن يجعلك تمتلك السوء منها إن كنت لا تريد ذلك!

لا يُوجد دليل في الكتاب المُقدَّس أنَّ يوسُف كان لديه أي شيء غير الرجاء والموقف الصحيح أثناء الأعوام الثلاثة عشر من انتظاره لله أن يخلِّصه. كان لديه حُلْمٌ لحياته؛ ولم يتخلَّ عنه رغم عدم وجود ما يُشير في ظروفه إلى أنه يُمكن أن يُصبح حقيقة. (يُمكنك قراءة قِصَّة يوسُف في تكوين ٣٧-٥٠).

انتظر إبراهيم عشرين عامًا ليرى تحقيق الوعد الذي وعده الله به؛ بأنَّ ولدًا سيكون له. عشرون عامًا هي وقتٌ طويل لتبقى في غرفة انتظار الله.

أنا واثقة من أنّ فرصًا عديدة كانت لديه ليستسلم، لكننا نجد في الكتاب المقدّس، أنه كان يرجو بالإيمان أن تُصبح هذه الأحلام حقيقة، وأن يرى تميم وتحقيق وعود الله، رغم عدم وجود سبب للرجاء؛ حتى عندما وضع في اعتباره (نظر إلى وفكر في) عجزه الجسدي، وعُقم رحم سارة، لم يتردّد فيما يتعلّق بوعد الله. كان يزداد قوةً بينما يُسبّح الله ويمجّده. التسبيح هو سرد قصّة صلاح الله، لذلك لا بد أن إبراهيم كان يفكر في الأمور التي فعلها الله معه خلال حياته، والمجد هو إظهار كمال سمو الله وامتيازه، لذلك مرّة أخرى لا بد أن إبراهيم كان يفكر ويتأمّل في جميع الأمور العظيمة التي فعلها الله في الماضي. إن اختياره بتذكّر الأمور الصالحة والتفكير فيها حفظه قويًا بينما كان في غرفة انتظار الله (انظر رومية ٤: ١٨-٢١).

هل أنت في غرفة انتظار الله في هذا الوقت من حياتك؟ هل بقيت هناك ربما لوقتٍ طويلٍ؟ هل كان ذلك الوقت أطول بكثير ممّا توقعته؟ كيف حالك بالصدق وأنت تنتظر؟ ما هي أفكارك، ما توجّه قلبك؟ أشجّعك أن تختار أفكارك وتوجهات قلبك التي ستمكنك أن تنتظر بصبرٍ لله؛ الذي يفعل كل شيء حسنًا.

في الرجاء

شكرًا لله؛ لأن الرجاء ليس شيئًا ينبغي أن نشعر به حتى نمتلكه. إنّه شيء يُمكن أن نقرّر امتلاكه بغضّ النظر عمّا تبدو عليه ظروفنا. يعدنا الله بأننا إن أصبحنا أسرى الرجاء، سيرد لنا أضعاف بركاتنا السابقة (انظر

زكريا ٩: ١٢). بتعبيرٍ آخر، إن كنت مُستعدًّا أن تُسجَن في الرجاء للدرجة التي تُصبح فيها مفعماً بالأمل؛ بغَضِّ النظر عمَّا يحدث؛ لن يُمكنك التوقُّف عن الرجاء؛ عندها سيرد لك الله كل شيء فقدته في حياتك ويُعطيك بركة مضاعفة.

ليس الرجاء مُجرَّد التمني بأن تسير الأمور بشكل جيّد؛ إنّه قوة تصنع اختراقات عندما نتمسك بها بجديّة. وأحد أكثر الأمور المفيدة التي يُمكننا القيام بها لتحفظنا أقوىاء في الإيمان وممتلئين بالرجاء بينما ننتظر، هو الدراسة الجادة والتأمُّل في كَلِمَة الله (وعوده). فكَلِمَة الله لها قوّة كامنة ومتأصلة فيها هي التي ستشجّع وتمكّن أولئك الذين يضعون رجاءهم فيه.

قال داود، كاتب المزامير، وهو الشاب الذي انتظر أيضاً عشرين عاماً ليرى وعد وعد الله له يأتي ويتحقّق. هذه الكَلِمَات: "أنا في انتظارِ الله. نَفْسِي تَنْتَظِرُهُ وَتَنْتَظِرُ كَلَامَهُ وَتَضَعُ رَجَاءَهَا فِيهِ." (مزمو ١٣٠: ٥)

يحتاج الرجاء أن يكون له أساس. يجب أن يكون هناك سبب للرجاء. قال داود إنَّ سبب رجائه كان كَلِمَة الله. وضع داود ثقته في أمانة الله لتحقيق كلمته.

لماذا تُعتبر دراسة كَلِمَة الله والتأمُّل فيها أمراً مفيداً؟ إنَّها بذرة. والبذرة دائماً ما تُنتج نوعها نفسه. عندما تُزرع الكَلِمَة في قلب خصب التربة (وديع ولطيف)، لا يُمكنها فعل أي شيء غير إنتاج حصاد. ونحن نرى هذا المبدأ في أنحاء كَلِمَة الله، لكن إنجيل مرقس الأصحاح الرابع يُعطينا نظرة ثاقبة إلى هذه الحقيقة، متحدثاً عن البذار، قائلاً التالي:

”وَأَمَّا الَّذِينَ زُرِعُوا عَلَى الْأَرْضِ الصَّالِحَةِ، فَهُمْ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ
الْكَلِمَةَ وَيَقْبَلُونَهَا فَيُثْمِرُونَ ثَلَاثِينَ ضِعْفًا، وَسِتِّينَ ضِعْفًا
وَمِئَةَ ضِعْفٍ.“ (مرقس ٤ : ٢٠).

أشجعك بشِدَّة على قراءة كَلِمَة الله، ودراستها، والاستماع إليها،
والتأمل فيها قدر الإمكان، وافعل ذلك بقلبٍ مُؤْمِن، وديع (الطيف وعطوف).
يُخبرنا يعقوب أَنَّ كَلِمَة الله عندما ”تنغرس وتتأصل“ في قلوبنا، تكون ذا
قوَّة أن تخلص نفوسنا (انظر يعقوب ١ : ٢١). كَلِمَة الله تغيرنا وتمكننا أن
نكون ما يُريدنا الله أن نكونه، وأن نعمل ما يُريدنا أن نفعله. عندما نكون
في غرفة انتظاره، لا يُريدنا أن نستسلم، وستعطينا كلمته القدرة لنبقى
أقوياء حتى يأتي وقته المعين لاختراقنا.

ضع رجاءك في الله وفي كلمته! توقَّع أن تسمع أخبارًا سارة في أيَّة
لحظة! عندما نحيا في الرجاء، يُمكننا أن نرى خلاصًا من مَشَاكِلنا،
ويُمكننا التمتع بالرحلة.

كن مطيعًا بينما تنتظر

”انْتَظِرِ اللَّهَ وَاعْمَلْ بِكَلَامِهِ، وَهُوَ يَرْفَعُكَ فَتَمْتَلِكَ الْأَرْضَ...“
(مزمو ٣٧ : ٣٤).

إنَّ الانتظار برجاء هو أحد جوانب رؤية الانتصار بنجاح في حياتنا، لكن
الانتظار مع العمل بكلام الله هو جَائِب آخر يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار.
أتمنى أن نعرف جميعنا أهمية الطاعة، لكن يجب أن ندرك أيضًا أنه مهما

كانت صعبةً، في الأوقات الجيدة، سيكون الأمر أكثر صعوبة عندما نجد أنفسنا في غرفة انتظار الله، نحتمل ظروفًا صعبة، ونحن لا نرى أي تغيير لوقتٍ طويل. أثناء هذه الأوقات، لا نشعر دائمًا بالرغبة في القيام بأمر جيدة مثل أن نكون لطفاء ومحبين للآخرين، أو نقدّم لهم الخدمة والعطاء.

إن إظهار ثمر الروح يكون أكثر صعوبة عندما يكون لدينا توتر وضغط في حياتنا. ويكون من الصعب حتى أن نرغب في الصلاة أو دراسة كلمة الله؛ مع ذلك، هذه هي الأوقات التي يكون فيها إظهار ثمر الروح أكثر أهمية. ففعل الأمر الصحيح بينما الأمر الصحيح لا

أن نفعل الأمر الصحيح بينما الأمر الصحيح لا يحدث، يُمكن أن يكون أحد أقوى ما يُمكننا فعله.

يحدث معنا يُمكن أن يكون أحد أقوى الأمور التي يُمكننا فعلها. يوصينا بولس ألا نفشل في عمل الخير؛ لأننا سنحصد في وقته إن كُنّا لا نكل (انظر الرسالة إلى غلاطية). أريد أن آخذ بعض الوقت لأشجعك أن تستمر في فعل ما هو صالح بينما أنت في غرفة انتظار الله! افعل ذلك بسبب محبتك له وتقديرك لكل ما فعله في حياتك وما يفعله لأجلك حتى الآن.

يُرِيدنا الله أن نسير بالإيمان، والسير بالإيمان يعني أننا لا نسير بالعيان أو كما نشعر. لكن بما نعرف أنه صواب. وحين نفعل ما هو حق؛ فقط لأنه حق؛ فذاك أمرٌ قويٌّ جدًّا. وهذا يُعلن بوضوح أننا نثق في الله؛ وملتزم بإكرامه بأفعالنا؛ مهما كانت ظروفنا.

عندما نكون ثابتين وراسخين، ومجتهدين في عمل الرب، فلنا الوعد بأن

عملنا لن يذهب باطلاً (انظر ١ كورنثوس ١٥ : ٥٨). الله دائماً ما يرى الأمانة والإخلاص. حتى إن لم يَرِ ذلك أي شخص آخر. وأولئك الذين يبقون ثابتين أثناء المحن سيتلقون إكليل الحياة للمنتصرين (انظر يعقوب ١ : ١٢).

لنتق بالله ونتطلع إلى مكافأتنا. حتى بينما نحن في غرفة انتظار الله. ولنتوقع أن تحدث معنا الأمور الصالحة. ولنبتهج برجائنا في أن كل شيء مُمكن مع الله!

الفصل ١٧

عندما يصمت الله

”لَا تَبْقَ صَامِتًا يَا اللَّهُ. لَا تَهْدَأْ وَلَا تَسْكُتْ يَا اللَّهُ.“ (مزمور ٨٣: ١)

فكرتُ. وتَمَنَيْتُ. مَرَّاتٍ عَدِيدَةٍ: لو يَأْتِي اللهُ ويجلس هنا معي؛ ويُخْبِرُنِي ماذا يُرِيدُنِي أَنْ أَفْعَلَ! أنا واثقة أَنَّكَ فَكَّرْتَ في شيء مماثل وقتًا ما في حياتك. يبدو لي أَنَّ ذلك سيجعل الأمور أسهل جدًّا. لكن من الواضح أَنَّ الله لديه أفكار مُخْتَلِفَةٍ. لأنه لا يختار أن يفعل ذلك. إِنْ كَانَ اللهُ لا يُرِيدُ فعل الأمور بطريقتنا، سيَتَوَجَّبُ تَعَلُّمُ فعلها بطريقته. فهو يُرِيدُنَا أَنْ نَثِقَ به حتى عندما يكون صامِتًا!

هل تشعر في أي وقت أن الله كَفَّ عن العمل. ورحل بعيدًا، ولم يترك

له عنوانًا؟ عندما لا نرى الله يفعل أي شيء في حياتنا، ولا نسمعه يقول أي شيء، ربما نشعر كما لو أننا نتلمَّس الظلام، في محاولة لإيجاد طريقنا في متاهة. على الرغم من أَنَّ هذه الأوقات تتحدى إيماننا، لكن يُمكنها أَنْ تَعَلِّمَنَا دَرَسًا هَامًّا: أَنْ نَثِقَ بِاللَّهِ حتى عندما

(هل تشعر في أي وقت أن الله كَفَّ عن العمل، ورحل بعيدًا، ولم يترك له عنوانًا؟)

يكون صامِتًا. فقط؛ لأن كونه صامِتًا لا يعني أنه لا يفعل شيئًا.

كان الله صامتًا لمدة أربعمئة سنة بين ختام العهد القديم وبداية الجديد. لكن كانت هناك أمور تجري أثناء هذه الفترة التي كانت في الواقع تحضّر الناس لمجيء المسيح. يقول الكتاب المقدّس إنّ يسوع وُلد في ملاء الزمان! (أنظر غلاطية ٤: ٤). لدى الله دائمًا وقت مُناسب للأمر. عندما يكون مُستعدًّا، سيتكلّم، وحتى يفعل ذلك. مهمتنا أن نستمر في الاستماع والانتظار بتوقُّع!

لننظر إلى ما تخبرنا به كَلِمَة الله عن إيليا في ١ ملوك ١٧: ١. تنبأ إيليا للشعب بأنّ مطرًا لن يكون لعدة سنوات. ومن المؤكد أنّها لم تمطر لمدة ثلاث سنوات وستة أشهر. عانى الشعب من الجفاف الشديد. ومن المرجّح أن إيليا لم تكن له شعبية كبيرة في تلك الفترة. سأخيّل أنّ إيليا كان يُريد أن يسمع شيئًا جديدًا من الله بشأن الجفاف. لكن وفقًا لملوك الأول ١٨: ١ " وَفِي سَنَةِ الْجَفَافِ الثَّالِثَةِ، قَالَ اللهُ لِإِيلِيَّا " وأعطاه تعليمات أخرى. كان عليه أن يُعلن في هذا الوقت أن المطر كان قادمًا. وقد جاء.

هناك نماذج أخرى كان الله فيها صامتًا مع أولئك الذين وثقوا به. كان صامتًا مع أيوب ومع إبراهيم. وقراءة سفر أيوب الأصحاح ٢٣ تعطينا رؤية واضحة عن اليأس الذي شعر به أيوب عندما لم يكن قادرًا أن يجد الله أو يسمع منه. لننظر إلى بعض الآيات:

" أَذْهَبُ شَرْقًا فَلَا يَكُونُ هُنَاكَ، وَغَرْبًا فَلَا أَرَاهُ. أَتَّجِهُ شَمَالًا حَيْثُ يَعْمَلُ فَلَا أَرَاهُ، وَحِينَ يَمِيلُ إِلَى الْجَنُوبِ لَا أَرَاهُ." (أيوب ٢٣: ٨-٩)

والآن استمع إلى إيمان أيوب يتحدّث في وسط هذا الصمت الرهيب من

جانب الله:

"لَكِنَّهُ يَعْرِفُ مَسَاكِي يَهْتَم بِهِ، وَيَقْدِرُهُ، وَيَنْتَبِهَ إِلَيْهِ، حِينَ يَمْتَحِنُنِي
أُخْرَجُ كَالذَّهَبِ [نَقِيٍّ وَلامِعٍ]." (أيوب ٢٣ : ١٠)

رغم أن أيوب لم يستطع أن يرى الله أو يسمعه، إلا أنه أقر بثقته أن الله
كَانَ يلاحظه ويهتم به. وتحدّث عن "عندما" سيخلصه الله، وليس "إذا"
خَلَّصَهُ!

تعامَل إبراهيم مع صمَّت الله فيما يتعلّق بتقديم ابنه الوحيد، إسحق.
لقد أمر الله إبراهيم أن يُقدِّم ابنه ذبيحة كنوع من امتحان إيمانه وطاعته،
وانتظر حتى اللحظة الأخيرة التي يُمكن أن يتكلّم فيها إلى إبراهيم، وطلب
منه أن لا يؤذّي إسحق. لكن حتى هذه اللحظة، كان لدى إبراهيم فقط
الإيمان الكامل ليمضي به. كان مقتنعاً جدّاً بأمانة الله، وشعر أنّه حتى
إن ذبح إسحق فعليّاً، فسيقيم الله من الأموات (أنظر تكوين ٢٢ : ١-١٢).

لم أمر خلال أي شيء بشدّة ما يصفه أيوب أو إبراهيم، لكن لديّ فترات
طويلة من الصمت بين الأوقات التي أسمع فيها من الله. هذه أوقات صعبة
عندما نميل للتفكير أنّ الله ليس معنا أو أنّه لا يهتم بشأننا. وقد نعتقد
كذلك أنّنا فقدنا قدرتنا على الاستماع إليه.

لقد أجهدتُ نفسي لعدة سنوات، آخذة على عاتقي مسؤولية "محاولة"
السماع من الله، لكنني أدركتُ أخيراً أنّ الله إن كان يُريد أن يقول لي أمراً ما،
فليده العديد من الطرق للتأكد من أنّني فهمتُ ما الأمر. بدلاً من محاولة
السماع من الله والشعور بالإحباط عندما لا تسمع، ثِقْ أنّه عندما يُريد أن
يتحدّث إليك، سيجعل نفسه مفهومًا تمامًا.

بدلاً من الخوف من أنك لن تسمع من الله، ثِقْ أنك ستسمع منه. إن كَانَ الله يعلم أنك تُريد حقًا أن تسمع صوته وأنت مُستعد أن تتبعه، لن يعجز عن الكلام عندما يحين الوقت المناسب. في ملء الوقت، أو في الوقت المعين، تحدّث الله إلى إيليا ثانيةً، وسيحدّث أيضًا إليك ثانيةً!

ستة أمور تفعلها عندما يصمت الله

١. عندما يصمت الله، استمر في فعل ما أخبرك بفعله في آخر وقت ترى أنك سمعت منه.

علّم بولس المؤمنين أن يثبتوا في الحرية التي أُعطيت لهم، ولا يقعوا مرّة أخرى تحت نير العبودية (أنظر غلاطية ٥: ١). تمسّك بما لك ولا تدع وقت صمت الله يُحبطك ويضعف إيمانك.

هناك الكثير الذي لا أعرفه، لكن هناك أيضًا الذي أعرفه، وأنا أفعل بفعالية كل ما أعرف فعله في الوقت الحالي في حياتي. وأسأل تكررًا "ما هو التالي من أجل خدمتك؟" وحيث إنني لا أستطيع التنبؤ بالمستقبل، لا أعرف عادةً جوابًا عن ذلك. إن كَانَ لدينا شيء مخطّط له، يُمكنني أن أقول ذلك، لكن، في أغلب المرات، أفعل ببساطة ما يفعله معظمنا، وهو أن أعيش كل يوم كيفما يأتي وأثق بالله. وسيكون التالي مفاجأة لي وكذلك للآخرين.

السؤال الثاني الذي يسأله كثيرون "ماذا يقول الله لك؟" وأسأل هذا السؤال خاصّة مع بداية كل عام، كما لو أنه مع تحوّل الصفحة على

التقويم يجب أن يكون لديّ إعلان جديد من الله. على الرغم من أنّ يوم ١ يناير قد يُنظر إليه كفرصة للحديث عن فعل أمور جديدة، لكن ليس بالضرورة أن تكون لدى الله كَلِمَاتٍ خاصّة جديدة؛ فقط لأن هذا اليوم هو الأول من العام. فالله ليس بخزانة موسيقية مملوءة بالخيارات التي يُمكننا أن نطلب منها في أوقات محددة. هو يتحدّث عندما يُريد وكما يُريد. وعندما يصمت، نستمر في فعل ما نعرفه.

كنا أنا وديف نضحك مؤخراً مع بعض الأصدقاء؛ لأن سيدة قالت إنّها. عندما كانت هي وزوجها حديثي الزواج، كانَ زوجها روحياً بشدّة وخصّص لها كمّيّة محدّدة من القراءة في الكتاب المقدّس كل يوم. وعندما عاد إلى المنزل من عمله كقس مساعد في إحدى الكنائس المحلية، كانَ أول شيء يقولها لها: "ماذا أعلنَ الله لك اليوم؟" أستطيع تصوّر نوع الضغط الذي وُضِعَ عليها وكيف يجب أن تشعر وكأنها فاشلة إن كانَ عليها قول: "لا شيء". إنّ الأمر مضحك الآن، لكنني أشكّ أنّه كانَ مضحكاً كثيراً في وقته. لا تجهد نفسك، أو أي شخص آخر، لتحصل على "كَلِمَة من الله". إلا إن كنتَ تريد أن تفتح الباب للشيطان ليخدعك.

٢. صمت الله يُمكن أن يكون ثناءً لكّ.

ربما لا يُعطيك أيّ تعليمات خاصّة لأنّه يثق بكّ في اتخاذ القرار السليم. من الخطأ أن نعتقد أنّ الله سيُخبِرنا بكل حركة علينا القيام بها. هذا النوع من العَلاقة هو للأباء

إذا كانَ الله لا يُخبِرَكَ
تماماً بما يجب أن
تفعله، كن واثقاً أنّه يثق
بكّ في اتخاذ القرارات
السليمة!

والأطفال. وليس للأبناء والبنات الناضجين. قال لي أحد أبنائي هذا الصباح: "سوف آتي هذا المساء، يا أمي." لم أرسل له قائمة من التعليمات لأخبره كيف أتوقع تمامًا أن يسلك عندما يأتي إلى المنزل. أنا أتق به. وأتق أنه يعرف قلبي وسيسلك وفقًا لذلك. على سبيل المثال. لن يدخل ويترك الباب مفتوحًا خلفه. ولن يصف سيارته في أحد الأماكن التي ستمنع شخصًا آخر من إخراج سيارته من الجراج. لن يحضر معه مثلًا إلى المنزل شخصًا وأنا لا أعرف. لست في حاجة لإخباره تلك الأشياء. لأنه بالفعل يعرف قلبي.

يُعطينا الله حريّة أن نَتَّخِذَ القرارات وفقًا لكلمته ولما نعرفه عن مشيئته وطباعه. سمعتُ حديثًا رجلًا معروفًا جيّدًا يقول إنّ الله لم يعطه أبدًا تعليمات خاصّة عند أيّة مرحلة انتقالية مهمّة في حياته. وقد وجد أنّ الله في الأوقات التي كان عليه فيها اتخاذ قرارات هامة، يقوده ليخرج ويجرب أمورًا مختلفة حتى يشعر بالسلام تجاه الأمر الصحيح. ينبغي أن نتذكّر أنّ الله دائمًا ما يتواصل معنا بطرق متنوعة من خلال كلمته، وسلامه، وحكمته، واختباراتنا الماضية، وأشياء أخرى. حتى لو بدا لنا صامتًا.

إن كان الله لا يُخبرك تمامًا بما يجب أن تفعله، كن واثقًا أنه يثق بك في اتخاذ القرارات السليمة! من المستحيل أن تقود سيارة متوقفة. لذلك هناك أوقات ينبغي أن نضع حياتنا في وضع القيادة؛ ونبدأ في الانطلاق للأمام قبل أن نعرف إن كنّا نسير في الاتجاه الصحيح أم لا.

٣. لا تقارن نفسك مع شخصٍ آخر!

كثيرًا ما نسمع الناس يتحدثون عن كيف تعامل الله معهم ويفترضون أنّ الله يجب أن يتعامل معنا بالطريقة نفسها، لكنه لا يفعل. لقد قرأتُ كتبًا لبعض الأشخاص الذين يجعلون الأمر يبدو وكأنّ الله يجلس على حافة فراشهم معطيًا لهم تعليمات يومية عمّا عليهم فعله. وعبارات "قال الله" و"أخبرني الله" هي تعبيراتهم المفضّلة. إنني أستخدم هذه التعبيرات أيضًا، وربما أكثر ممّا يجب؛ لأن هناك أوقات يسيء الناس فيها فهُم ما نعيه. يُمكننا أن نحصل على قيادة وتوجيه من الله باستمرار، لكن هذا لا يعني أنّنا نحصل على تعليق إذاعي عن كل تفاصيل ما يجب علينا فعله طوال اليوم، كل يوم.

أعرفُ أشخاصًا يبدو أنهم يسمعون في كثير من الأحيان أمورًا خاصّة من الله أكثر ممّا أفعل أنا. لكنني تعلمتُ ألا أقارن نفسي بأيّ شخصٍ آخر. إن فعلنا ذلك، لن نستطيع أن نكون راضيين في علاقتنا الشخصيّة بالله. نحن أفراد، والله يتعامل معنا بطرقٍ مُختلفة لأسبابٍ مُختلفة، ويجب أن نثق في ذلك. عندما تكون مرتاحًا مع أحد الأشخاص، يُمكنكما الجلوس في حجرة دون النطق بكلمة. في بعض الأيام يجب أن يكون كافيًا لنا أن نثق فقط في أنّ الله معنا!

٤. استمر في التحدّث إلى الله حتى إن كنت لا تعتقد أنّه يجب.

نحتاج أن نعبر عن أنفسنا، والله يريد أن يُؤكّد لنا أنّه يُمكننا الحديث إليه بشأن أي أمر. بأي عدد من المرات التي نريدها أو نحتاج إليها. سكب

داود كاتب المزامير قلبه أمام الله. وفعل ذلك بصدق شديد. معظمنا لديه تلك الأوقات عندما نحتاج شخصًا ما لتحدث إليه. قد لا تهتم كثيرًا بما لديه ليقوله؛ أنت فقط تريد أحدهم يصغي إليك ويحفظ أسرارك. والله دائمًا ماهر في ذلك.

٥. واصل الإصغاء. حتى إن كانت لديك فترة طويلة جافة من عدم سماع أي شيء.

إن الاستمرار في الإصغاء يجعل الله يعلم أن قلبك مفتوح له وأنك تنتظره. أنا أسأل الله كثيرًا جدًا إن كان لديه أي شيء يريد أن يقوله لي. وأنتظر لبضع دقائق في هدوء. هذه هي طريقتي في طاعة ما يقوله لنا في سفر الأمثال:

”اعرفه في كل سُبُلِكَ. وَهُوَ سَيَهْدِي طَرُقَكَ.“ (أمثال ٣: ٦).

حتى إن لم أسمع شيئًا عندما أسأل هذا السؤال، ما زلت أثق أن إصغائي ذو قيمة. وجدت أن الله قد يصمت عندما أسأل السؤال. لكن بعد ذلك سيوجّه ظروفه بطريقة يتضح فيها جدًا لي أنه كان يُشارك في توجيه نتائج موقفي.

٦. اطلب من الله أن يفحصك

طلب داود في بعض الأحيان من الله أن يفحصه ليرى إن كان في قلبه أي شيء باطل (انظر مزمور ٢٦: ٢، ١٣٩: ٢٣-٢٤). هذه خطوة شجاعة وجريئة.

لكنّها تثبت بوضوح إن كَانَ الشَّخْص يُرِيد حَقًّا مَشِيئَةَ اللَّهِ أَمْ لَا. مهما كانت.

هل من المُمْكِن أن يُوجَد ما يمنعنا من سماع صوت الله بوضوح؟ يُمكِن لخطيئة، أو توجُّه قلبي خاطئ، أو سوء فهم حول كيفية الاستماع إلى الله أن يعوقنا. لا يجب أن نخشى مَعْرِفَةَ الحق؛ لأن الحق سيُحرِّرنا. عندما يصمت الله، قد لا نكون فَعَلنا خطأ، لكن ليس هناك ضرر في المَعْرِفَةَ.

على الرغم من أنّ الله كَانَ صامتًا مع أيوب لوقت طويل، فقد أجابه في نهاية المطاف. لكن عندما أجابه، كَانَ لديه أمور ليقولها، ولربما لم يكن أيوب يتوقعها. نتيجة الإحباط، قال أيوب أخيرًا لله إنّه لم يكن مستحقًا للمعاملة التي عامله الله بها، وإنّ الأمر في جميع الأحوال يتطلّب بعض الإجابات. كَانَ أيوب يشير إلى أنّه يعتقد أنّ الله كَانَ ظالمًا في معاملته له. لم يكن مدرّكًا للحرب الرُّوحية القائمة وراء الكواليس. تمامًا كما لا ندرِك نحن في كثير من المرات ما يدور وراء الكواليس. يقول الكتاب المُقدَّس إنّ أيوب قدّم توبة، لذلك من الواضح أنّه أخطأ.

وعلى الرغم من أنّه كَانَ رجلًا بارًّا في كل طرقه عندما بدأت التجارب، افترض أيوب في نهاية المطاف أنّ الله لم يتعامل معه بطريقة صحيحة (انظُرْ أيوب ٤٢: ٣-٦). تحوّل بره إلى نوع من البر الذاتي الذي من الخطر على أي شخص مِنّا أن يملكه. لقد مرّ أيوب بالتأكيد في وقت قاسٍ جدًّا (بالتأكيد أكثر من أي شخص نعرفه)، لكن في النهاية، قال إنّه الآن عرف

الله أفضل كثيرًا ممَّا كَانَ عليه سابقًا (انْظُرْ أَيُوبَ ٤٢: ٥). كذلك، رَدَّ اللهُ له كل شيء فقدَه مضاعفًا وباركه بركة هائلة (انْظُرْ أَيُوبَ ٤٢: ١٠-١٧).

كانت الرحلة شاقَّة، لكنها تحوَّلت للخير في النهاية! وهذا الأمر نفسه ما يُمكن أن نتوقعه. تذكَّر: ما يقصد إبليس به شرًّا، يقصد اللهُ به خيرًا (انْظُرْ تِك ٥٠: ٢٠).

الفصل ١٨

ثق في الله في أوقات التغيير

أولئك الذين لا يستطيعون تغيير أذهانهم لا يستطيعون تغيير أي شيء.

جورج بيرنارد شو

كثيرون لا يُحبون التغيير ويقاومونه بعنف. لكن الأشياء في هذا العالم دائماً متغيرة. سواء أردنا أن تتغير أو لم نرد. لذلك عدم قبوله. أي التغيير؛ لا فائدة منه. ما نحتاج فعله هو تغيير أذهاننا بشأن طريقة تفكيرنا في التغيير. لأنه عندما يحدث ذلك، يُصبح التعامل مع الحياة أسهل. لندرس معاً ما يعتقده بعض الناس عن التغيير وسببه.

يقول بعض الناس بشكل قاطع: "أنا أكره التغيير!" قد يشعرون بهذا

التغيير أمر ثابت في كل حياتنا، ومقاومته مثل مقاومة الريح عندما تقرّر أن تهب.

لأنهم لا يُحبون أن يكونوا خارج السيطرة أو لشعورهم بعدم الأمان والخوف من الأمور الجديدة، أو حتى لأن لديهم عادة الاعتقاد بأنهم لا يُحبون التغيير. يُمكن لأنواع معينة

من التفكير أن تكون عادات اكتسبناها من الأشخاص الذين تأثرنا بهم في

طفولتنا. أو يُمكن أن تكون مُجرّد حصون بناها إبليس في أذهاننا ليمنعنا من الحصول على الحياة الفضلى التي يُريدنا يسوع أن نحياها.

التغيير أمر ثابت في كل حياتنا، ومقاومته مثل مقاومة الريح عندما تقرّر أن تهب. لديّ حفيذة وهي مُخطّطة، وأي وقت يحدث فيه تغيير لهما خطّطت له، يكون صعبًا عليها أن تتأقلم؛ يُمكن لذلك حتى أن يجعلها مضطربة. لكن لا شيء نفعله سيمنع التغيير من أن يحدث، على الأقل في بعض الحالات. قد تُوجد بعض التغييرات التي يُمكننا منعها، لكننا قد نمنع أيضًا شيئًا صالحًا خطّط الله له! لا يُمكننا الانتقال من حيث نوجد الآن إلى حيث نريد أن نكون دون تغيير من نوع ما. من المستحيل أن تستمر في فعل ما كنت تفعله دائمًا وتحصل على نتيجة مُختلفة. بعض الناس يُريدون نتيجة مُختلفة عمّا يختبرونه، ومع ذلك يقاومون التغيير بشدة.

غَيِّر فِكْرَكَ تَجَاهِ التَّغْيِيرِ

إن كنت لا تحب التغيير، سل نفسك عن السبب. قد تكتشف أنّك حتى لا تفهم السبب وراء موقفك هذا، وأنّ مُجرّد تغيير تفكيرك سيمنحك منظورًا جديدًا تمامًا عن التغيير.

إليك بعض الطرق الهدّامة التي يُمكننا أن نفكر بها عن التغيير والتي لا تفعل شيئًا أكثر من جعلنا بؤساء:

- أنا أكره التغيير.
- أنا أخشى التغيير.

- أريدُ أن أُمسِكَ بزمام الأمور فيما يحدثُ في حياتي.
- أحب أن تسير الأمور كما هي عليه الآن، ولا أريدها أن تتغيَّر.
- وإليك بعض الطرق البنّاءة التي يُمكننا أن نفكّر بها عن التغيير والتي ستُساعدنا أن نعبُرَه بفرح:
- أنا أحب التغيير.
- أتقُ أن التغييرات التي تحدث في حياتي ستجعل الأمور أفضل.
- أنا متحمس لرؤية نتائج هذا التغيير.
- أريدُ أن أكون كل ما يُمكنني أن أكونه؛ عالمًا أن التغيير جزء من هذه العملية.
- أريد أن أكون حيث يُريدني الله وقد يتطلّب هذا تغييرًا.

يُمكننا جميعًا أن نجدّد أذهاننا عن طريق اختيار التفكير في الأفكار التي تتوافق مع كَلِمَة الله ومشينته. ويعلن الله بوضوح في الكتاب المُقدّس أنه وحده لن يتغير، وأن كل شيء آخر عرضة للتغيير (أنظر مَلاخي ٣: ١؛ عبرانيين ١٢: ٢٧).

عندما يتغيّر شيء، لا يعني هذا بالضرورة أن ما كان يحدث قبلاً كان خطأ. يُمكن أن يعني أيضًا أن شيئًا أفضل قادم! كان لدينا مؤخرًا موظف استقال من منصبه، ولم يعطنا إشعارًا سوى أسبوعين، لم يكن لدينا من يحل محله. كانت وظيفته مُهمّة وليس من السهل أن نجد لها بديلًا. شعرتُ بالتوتر، لكنني واصلتُ ثقّتي بالله أنه سيوفّر الاحتياج ويجعلنا نسعى من خلال هذا التغيير لجعل الوضع الجديد أفضل ممّا كان عليه الوضع القديم.

وكما اتَّضح، انتهى بنا الأمر إلى عدم الحاجة إلى استبدال الموظف على الإطلاق؛ لأن شخصين آخرين من فريقه تقدمًا وقالوا: "نعتقد أننا نستطيع تحمّل المزيد من المسؤولية ونقوم بالعمل بعدد أقل من الأشخاص من ذي قبل." وقد نجح الأمر بطريقة مذهلة، وكنا سعداء جدًا بالتغيير. وهكذا انتهى الأمر بأن ما قاومناه ولم نقبله في البداية تحوّل إلى بركة بطريقة أعظم ممّا كنّا نتوقع.

لكل شيء وقت، وموسم، وكل شيء جميل في وقته (أنظر دانيال ٢:٢١؛ جامعة ٣: ١، ١١). في الكتاب المقدّس، نرى أنّ الأرض طالما باقية، ستكون هناك مواسم متغيرة (أنظر تكوين ٨: ٢٢). الشتاء يُفسح المجال للربيع، والربيع للصيف، والصيف للخريف، والخريف للشتاء. درجة الحرارة، وشدة الرياح، والرطوبة تتغيّر كل يوم. نحن نتوقّع التغيير عندما يتعلّق الأمر بالطقس. لكننا يجب أن نتوقّع التغيير أيضًا في مجالات أخرى في حياتنا، لأنّه يحدث دائمًا. نحن نتغيّر بطرق مُتعدّدة بينما نتقدّم في العمر. والناس من حولنا يتغيرون. وقد تتغيّر التزاماتهم، وكما تتغيّر الأمور في حياتهم، قد يتطلّب ذلك تغييرات في علاقاتنا معهم.

عندما يكبر أولادنا ويتركون المنزل، ستتغيّر علاقاتنا معهم. لكنّها لا يجب أن تكون أقلّ ممّا نريدها أن تكون؛ تحتاج فقط أن تكون مُختلفة، ويُمكن أن تكون أفضل من أي وقت مضى.

جاءت ابنتي في أحد الأيام لتُحضر شيئًا إلى المنزل، وكانت لديّ رغبة في الصحبة والدردشة معها، لذلك عندما بدأت تستعد للرحيل بعد

وصولها بدقائق قليلة فقط قلت لها: "لماذا أنتِ متعجّلة هكذا؟ تعالي واجلسي لبعض الوقت." أجابت: "يا أمي، لديّ عائلة في المنزل أريد أن أعود إليها." بدأت أنجرف في اتجاه الشعور بالأذى، لكن عندما طلبت من الله أن يُساعِدني، أدركتُ أنّ لديها الكثير من المسؤوليات الأخرى في حياتها بجانب زيارتها لي. ولا يجب أن أجعل الأمر صعبًا بالنسبة لها عن طريق شعوري بالإساءة. إنني أريدها حقًا أن تعيش حرة في حياتها بالطريقة التي تحتاجها دون أي ضغط من جهتي. فهي تقضي الكثير من الوقت معي وكذلك تفعل الكثير من أجلي، لذلك بالنسبة لي، سيكون من الأنانية أن أضغّ ضغطًا عليها في الأوقات التي تكون مشغولة بها مع عائلتها، وقد يضر ذلك علاقتنا الجيدة. علينا أن نترك أولادنا يكبرون ويصنعون قراراتهم الخاصة. حتى على الرغم من أننا قد لا نحب كل اختياراتهم، فمن حقهم أن يصنعوها ويجب أن نحترم ذلك.

كثيرًا جدًّا، ما يكون الناس في بؤسٍ شديد بعد أن يترك أولادهم المنزل. يبدو ذلك صعبًا خاصّة بالنسبة للأم. لقد قضت حياتها تسكب حبها واهتمامها في أبنائها، ربما حتى الكثير جدًّا من حياتها، والآن يمضي الأبناء ليقوموا بأمور جديدة وتبقى الأم وحيدة تحاول أن تجد اتجاهًا جديدًا. أحد ردود الأفعال التي يُمكنها أن تتخذها هو أن تستمر في الضغط عليهم ليقضوا الوقت معها وتدمر علاقتها بهم، أو تضعهم في الموقف الذي يشعرون فيه بالتلاعب بهم، حيث إنّ أي شيء يفعلونه من أجلها لا ينبع من الرغبة في فعله بل كواجب يقومون به دون فرح. رد الفعل الأفضل كثيرًا هو أن تدع أبنائها يذهبون، وتقيم علاقة جديدة معهم تعتمد بنسبة

كبيرة على الصداقة بدلاً من ديناميكية الأم/ الطفل. بعد قبول ذلك تتغير الأمور وتبدأ التفكير بطريقة جديدة. ستجد أنّ الله لن يغلق أحد الأبواب أبداً دون أن يفتح باباً آخر جميلاً في وقته مثلما كان السابق.

قالت مؤخراً سيدة أعرفها: "الابن الذي لم أعتقد أبداً أنّه سيكسر قلبي فعل ذلك، والشخص الذي اعتقدت أنّه سيفعل، لم يفعل!" لا يفعل الناس دائماً ما نعتقد أنهم سيفعلونه. وعندما يحدث هذا، يكون هذا أحد أفضل الأوقات في الحياة لنثق بالله. قد يتغيّر الأشخاص بطرق صعبة بالنسبة لنا، لكن حتى تلك الأوقات يُمكن أن تعمل للخير إن احتفظنا بموقف إيجابي وواصلنا الثقة في الله. في الواقع، الثقة في الله هي مفتاح كل شيء. فهي التي تدعنا ندخل إلى راحة الله ونحتفظ بالسلام أثناء أوقات التغيير في حياتنا.

إنّ الله يعلم كل شيء حدث في الماضي، ويحدث الآن، وسيحدث في المُستقبل، وهو مسيطر على كل شيء. إنّه ليس قلقاً أو متعجلاً. تأتي عجلتنا وقلقنا من حقيقة أنّنا لا نعرف الكثير من الأمور التي نريد أن نعرفها، خاصّة أثناء أوقات التغيير. ذلك يجعلنا نشعر بعدم الارتياح. بالطبع يُمكن أن يكشف لنا كل شيء سيحدث في المُستقبل ويجعلنا نعرف كيف ستكون التغييرات في حياتنا، لكنّه لا يفعل.

وهذا لأنّه يتوقّع مِنّا أن نثق به. إنّه امتياز لنا أن نثق به!

عندما يحدث تغيير غير متوقّع في حياتنا، أو حتى التغييرات المخطّط لها، كثيراً ما تترك لنا تساؤلات كثيرة لا يملك إجاباتها فقط إلا الله؛ نحن

بالطبع نريد أن نعرف المخطَّطَ الكَامِلَ لحياتنا في الوقت الراهن. لكنني توصلتُ إلى الاعتقاد بأننا إن عرفنا كل شيء سيحدث في المُسْتَقْبَل. فالحياة إما ستكون مملة بينما نحيها يومًا بعد يوم، أو ستكون أكثر رعبًا من لو لم نعرف.

اللَّهُ صَالِح. ومن المنطقي إن كانت معرفتنا بما سيحدث أفضل شيء. لرتَّبَ اللهُ الأمور لتعمل بهذه الطريقة. وإن كَانَ لا يفعل ذلك. فبإمكاننا أن نفترض بأمان أَنَّ الانتظار والاندھاش هما أفضل شيء لنا. فثقتنا في الله تعني أننا نثق في طُرُقِهِ. لا يجب أن نثق به حينما يُعطينا ما نريد وحسب. ينبغي أن نثق به لأنَّه يصنع الأفضل في حياتنا. ويشمل ذلك توقيته وطريقة تعامله معنا.

إن كنتَ شخصًا لا يُحِبُّ التَّغْيِيرَ. أنصحك أن تُغَيِّرَ فِكْرَكَ تِجَاهَ التَّغْيِيرِ؛ لأن هذا كثيرًا ما يُنتِجُ أمورًا أكثر إيجابية في حياتنا.

جَفَّ النهر

قد نحب حياتنا بالطريقة التي هي عليها. لكن ماذا لو قرَّرَ اللهُ أَنَّهُ حان الوقت للتغيير؟ ماذا لو لم يبدُ الأمر الذي يقودنا إليه جَيِّدًا مثل الذي علينا تركه؟ هذا ما يبدو أَنَّهُ حدث مع إيليا. لكن لا ذكر لأنَّه لم يُحِبِّ ذلك؛ أو يشكو منه.

عاش إيليا في وقتٍ من الجفاف الشديد. لكن الله كَانَ يَعتني به بطريقة معجزية. عاش على نهر من المياه الجارية وغريان تجلب له الطعام كل

يوم. لكن في نهاية المطاف جفَّ النهر (أنظر ملوك ١٧: ٧). عندها أخبر الله إيليا أن يذهب إلى مدينة أخرى حيث تُوجد أرملة ستعتني به. وعندما واصل، وجد أنَّ المرأة كانت تحضّر وجبتها الأخيرة وقد خطّطت أن تأكلها هي وابنها ويموتان. كَانَ وضْعًا كئيبًا جدًّا، إن سألْتَنِي. وبقينَا ليس الوضع الذي يُمكن أن أتحمس له. لكن كما ذكرتُ، لم يكن هناك ذكر لآية شكوى من إيليا. قال للأرملة إنَّها إن أطعمته هو أولًا. لن يجف مصدر غذائها خلال فترة الجفاف. وقد فعلت مثلما قال لها. ومؤكّد. كَانَ لديهم فيض (أنظر ١ ملوك ١٧: ٨-١٦)

لم يكن هذا التغيير في حياة إيليا بالضرورة الأمر الذي يستفيد منه. لكنه أفاد الأرملة. هناك أوقات في حياتي، وستكون في حياتك، يغير الله شيئًا بغرض مُساعدَة شخص آخر. قد لا يبدو أنّه يُساعدنا، أو يبدو حتى إنَّنا ذهبنا خُطوة أو خُطوتين للخلف لموسم (الفترة من الزمن). لكن الله يستخدمنا كوسيلته تغيير في حياة شخص آخر. عندما ننتهي من مهمتنا، يُمكننا الثّقة بأنَّ الله سيرفعنا إلى مكانٍ أفضل من ذلك الذي تركناه خلفنا.

أنا مُتأكّدة تمامًا أنّ يسوع كَانَ يُحبّ الحال عندما كَانَ في السماء مع أبيه قبل أن يأتي إلى الأرض ليدفع ثمن خطايانا أكثر ممَّا أحبه عندما كَانَ معلقًا على الصليب. يتألّم ويموت لأجلنا. مع ذلك، قَبْلِ بسرور المهمة بسبب الخير الذي سيقدمه للآخرين. إن كُنَّا نريد أن يستخدمنا الله، فبعض التغييرات التي لا نكرث لها قد تكون ضرورية من حينٍ لآخر.

إِنْ جَفَّ نَهْرُكَ. لَا تَكُنْ شَدِيدَ الْقَلْقِ. أَسْتَطِيعُ أَنْ أُؤَكِّدَ لَكَ أَنَّ اللَّهَ لَدَيْهِ خُطَّةٌ جَدِيدَةٌ. عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ، إِنْ فَقَدَ شَخْصٌ وَظِيفَتَهُ بِسَبَبِ تَخْفِيزَاتِ الشَّرِكَةِ غَيْرِ الْمَتَوَقَّعَةِ، قَدْ يَشْعُرُ بِالْخَوْفِ مِنَ التَّغْيِيرِ الَّذِي أُقْرِحَ فِيهِ. هَذَا شَيْءٌ مَفْهُومٌ، لَكِنْ أَنْ يُوَاصِلَ ثِقَتَهُ بِاللَّهِ أَثْنَاءَ أَوْقَاتِ التَّغْيِيرِ هُوَ أَحَدُ مَفَاتِيحِ السَّمَاحِ لِلتَّغْيِيرِ أَنْ يَدْفَعَهُ لِلأَمَامِ.

إِنَّ الثِّقَةَ بِاللَّهِ فِي أَيِّ مَوْقِفٍ وَكُلِّ مَوْقِفٍ هِيَ الْعَنْصُرُ الْأَسَاسِيُّ لِتَعَلُّمِ حَيَاةِ السَّلَامِ، وَالْفَرَحِ، وَالإِنْتِصَارِ.

انتظر حتى تهدأ العاصفة

منذ أكثر من ثلاثين عامًا، تركتُ موضعَ الخِدْمَةِ فِي إِحْدَى الْكِنَائِسِ الْمُحَلِيَّةِ لِأَتَبِعَ مَا اعْتَقَدْتُ أَنَّهُ كَانَ قِيَادَةً مِنَ اللَّهِ. كَانَتْ لَدَيَّ فِرْصٌ جَيِّدَةٌ لِلخِدْمَةِ فِي الْكَنِيسَةِ لَكِنِّي شَعَرْتُ أَنَّنِي سَأَحْصِلُ عَلَى الْمَزِيدِ مِنَ الْفِرْصِ فِي مَكَانٍ مُخْتَلِفٍ. بَدَأَ لَوْقْتُ طَوِيلٌ كَمَا لَوْ أَنَّ التَّغْيِيرَ الَّذِي فَعَلْتُهُ لَمْ يَكُنْ مَثْمَرًا بِقَدْرٍ مَا تَرَكْتُهُ خَلْفِي. فِي الْوَاقِعِ، بَدَأَ كَمَا لَوْ أَنِّي رَجَعْتُ لِلخَلْفِ بَدَلًا مِنَ السَّيْرِ لِلأَمَامِ.

قبل اتخاذ أي قرارات

كبرى أثناء أوقات

التغيير، أنصحك بشدة

أن تنتظر وحسب.

في نهاية المطاف تغيرت الأمور، مبرهنة

على أنني اتخذت القرار الصحيح، لكن الأمر

استغرق وقتًا أكثر مما كنتُ أعتقد. إن كنتَ

في موسم التغيير ويبدو أن الأمور لا تسير

جيدًا، كُنْ صَبُورًا وَابْقَ أَمِينًا فِي فِعْلٍ مَا تَشْعُرُ أَنَّ اللَّهَ يَقُودُكَ لِتَفْعَلَهُ.

سيكون من العار إن استسلمتَ قبل أن تَصِلَ للهدف. فكر في الأمر بهذه الطريقة: عندما تكون العاصفة بالخارج غالبًا ما يكون علينا البقاء بالداخل وانتظارها تمرُّ قبل الاستمرار في حُططنا.

قد تبدو بعض التغييرات في حياتنا مثل العواصف. فهي مفاجئة وغير متوقعة وقد تمنعنا من فعل ما خططنا أن نفعله. ليست كل العواصف في تنبؤات الطقس! تشتعل العواطف في أوقات التغيير. ونحتاج أن ننتظرها لتهدأ قبل اتخاذ أي قرارات. لا أعتقد أن من الحكمة اتخاذ قرارات عندما ترتفع العواطف أو تنخفض. نحن بحاجة إلى الوقت لنتكَيَّف مع التغييرات. ولنفكر. ولنسمع من الله. قبل اتخاذ أي قرارات كبرى أثناء أوقات التغيير. أنصحك بشِدَّة أن تنتظر وحسب. أعطِ نفسك الوقت لتعتاد على الطريقة الجديدة لفعل الأشياء. أو المسؤوليَّة الجديدة. أو الأشخاص الجدد في حياتك. بينما تنتظر. وجّه عقلك نحو الاتجاه الإيجابي. ثِقْ أن هناك أمورًا عظيمة ستحدث. واحتفظ بموقف وتوجّه صالح!

يبدو أن الأشياء تجد مكانًا للاستقرار في حياتنا إن أعطيناها الوقت. أذكر وقتًا عندما أراد بعض القادة الأساسيين في خدمتنا أن يصنعوا تغييرًا لم أكن شخصيًا متحمسة له. لكنني قرَّرتُ. احترامًا لهم، أن أتماشى معهم في الأمر. لم أحب ذلك حقًا لبعض الوقت. وكان عليَّ في بعض الأحيان أن أقاوم المشاعر السلبية الناقدة التي كنتُ أعرف أنها لن تُسرَّ الله. استغرق الأمر عدَّة شهور. لكنني هدأتُ أخيرًا واستقرتُ مع التغيير. كان من الممكن أن أتبع مشاعري وأصر على أننا سنوقف التغيير فقط لأنني لم أحبه. ولديَّ السلطة لأفعل ذلك. لكن داخل أعماقي. كنت أعلم أن

هذه ليست الطريقة المناسبة للعمل. لذلك انتظرتُ! وانتهت العاصفة بداخلي. وعاد السلام للأمور مرّة أخرى؛ وتّضح أنّ التغييرات كانت جيدة جدًّا. وفي النهاية كنتُ سعيدة أنّي اتّبعْتُ نصيحة شركائي في الخِدْمَة.

ربما لا تحب تغييرًا في العَمَل الذي يُمكنك أن تفعل شيئًا بشأنه؛ أو تغييرًا في بعض الظروف أو الأشخاص الذين في حياتك. لكن إن قرّرت أن تبذل قصارى جهدك في ذلك، ستجد أنت أيضًا في نهاية المطاف أنّ الوضع الجديد بعد كل ذلك هو أفضل.

قمتُ مؤخرًا بقص شعري بدرجة أقصر من المعتاد دائمًا. في البداية لم أعجب بذلك. لكنني الآن أحبه. أعتقدُ أنّه يجعلني أبدو أصغر سنًّا. وأسهل كثيرًا في الاعتناء به! كانَ لديف شارب لمدة أربعين عامًا، ويومًا ما خرج من الحَمَّام وشاربه مخلوق. بدا لي كأنه كانَ يفقد إحدى شفثيه. ولوقت طويل لم أعجب بذلك حقًّا. لكنني الآن أحبه وأعتقدُ أنّه يبدو أصغر سنًّا بهذه الطريقة، ولا أرغب أن يتركه ينمو مرّة أخرى. الفِكرة التي أحاول توضيحها هي أنّنا بحاجة لأن نُعطي الأمور وقتًا، وعندما نعمل. في كثير من الأحيان سنتكَيّف مع تغييرات الحياة ونحبها حقًّا.

الفصل ١٩

أحتاجُ حقاً إلى التغيير

يُفكّر الجميع في تغيير العالم، لكن لا أحد يُفكّر في تغيير نفسه.

ليو تولستوي

هناك أمورٌ في الحياة نرغب في تغييرها، وسنكون سعداءٍ جداً إن قرّر الله أن يغيّر تلك الأمور. لكن ماذا لو كنّا نحن الذين بحاجةٍ للتغيير؟

أهدرتُ سنواتٍ كثيرة أفكّر أنّ ظروفِي إن تغيّرت أو الأشخاص المحيطون بي، سأقدر أن أكون أكثر سعادة. حاولتُ أن أغيّرها، وصليتُ إلى الله ليغيّرها. لكنني اكتشفتُ بعد ذلك أنّه كان يُريد تغييرِي أنا. حتى هذه اللحظة، لم أكن أعتبر أنّني بحاجةٍ للتغيير. وأنّ ذلك كان الحلّ لبعض الحزن والاستياء في حياتي. عندما نظرتُ أخيراً نظرةً صحيحةً مخلصّةً إلى نفسي، أدركتُ أنّه لا يُمكن لشيءٍ أو شخصٍ أن يجعلني سعيدة حتى أصبح سعيدةً بنفسِي. لم أكن أحب حقاً الشخصيّة التي كنتُ عليها. لكنني قضيتُ الكثير من الوقت أحاول أن أضع اللوم في تعاستي على أشخاصٍ وأشياءٍ أخرى؛ حتى فقدتُ رؤية الحقيقة بالكامل.

يودُ إبليس أن نضع تركيزنا على ما هو خطأ في الآخرين؛ لأننا بهذه الطريقة لن نرى أبداً ما هو خطأ فينا. دينونتنا لهم تعميناً عن أخطائنا الشخصية. كَانَ مَفِيداً لِي جِدّاً أَنْ أَدْرِكَ أَنَّ وَقْتِي عِنْدَمَا يَنْتَهِي عَلَى الْأَرْضِ هُنَا. سَأَقِفُ أَمَامَ اللَّهِ وَأَكُونُ مَطَالِبَةً بِإِعْطَاءِ حِسَابٍ عَنِ نَفْسِي فَقَطْ (النُّظْرُ رُومِيَّةٌ ١٤: ١٢). هُوَ لَنْ يَسْأَلَنِي عَنِ أَيِّ شَخْصٍ آخَرَ. بَلْ عَنِ نَفْسِي فَقَطْ. لِذَلِكَ، يَجِبُ أَنْ أَضَعُ تَرْكِيْزِي عَلَى إِفْسَاحِ الْمَجَالِ لَهُ لِیَفْعَلَ مَا يُرِيدُ فِعْلَهُ فِي دَاخِلِي، بَدَلاً مِنْ مَحَاوَلَةِ جَعْلِهِ يَغْيِرُ شَخْصاً آخَرَ أَوْ أَمْرًا آخَرَ.

عندما يتعامل الله معنا بشأن سلوكنا أو توجّهاتنا التي لا ترضيه، يُمكن أن يكون الأمر مريباً جداً. وتشير كَلِمَةُ اللَّهِ إِلَى هَذِهِ الْعَمَلِيَّةِ بِكَلِمَةِ "التوبيخ"، وهذا هو عمل الرُّوح القدس. قد نشعر ببساطة أن "هناك خطأ ما". لَكِنَّا لَا نَعْرِفُ مَا هُوَ. وَبَدَلاً مِنْ مَحَاوَلَةِ اكْتِشَافِهِ أَنْصَحُ بِشِدَّةٍ أَنْ نَثِقُ بِاللَّهِ! كَلِمًا أَزْدَادَتْ مَعِيشَتَنَا فِي عَالَمِ الذَّهْنِ، قَلَّتْ قَدْرَتُنَا أَنْ نَمَيِّزَ وَنَفْهَمَ مَا يُرِيدُ اللَّهُ حَقًّا أَنْ يُظْهِرَهُ لَنَا.

لنقل إنني أجادل مع ديف حول أمرٍ ما، وعلى الرغم من أنني أشعر بعدم الرّاحة في روعي، لا يطرأ ببالي أنّ الرُّوح القُدُس يحاول توبيخي على سلوك خاطئ. هذا لأنني مقتنعة تماماً أنني صائبة في رأيي وأنّ ديف مخطئ.

وإن لم نتعلّم أن نعترف بهذه المشاعر وسبب وجودها، ربما نقاوم عمل الرُّوح القُدُس ونكون غير مدركين لما نفعله. عندما نطلب من الله أن يُظهِرَ لَنَا الْحَقَّ، سَنَتَعَلَّمُ، وَالْحَقَّ سَيُحَرِّرُنَا. أَعْتَقِدُ أَنَّ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ

نُصَلِّي بانتظام حتى لا نُخَدَع في أي مجال من مجالات حياتنا. وحتى يغيِّرنا الله ونتحوَّل لصورة يَسُوع المَسِيح (انظُر رومية ٨: ٢٩-٣٠).

هل أنت مُستَعِدُّ للتغيير؟

أنا أو من بالمصير. لكنني لا أعتقد أنه ناتج تلقائي يتحكَّم الله فيه تمامًا. وليس بيدنا شيءٌ نفعله تجاهه. لدى الله مُهمَّة لكل شخص منَّا. لكننا سنحتاج غالبًا أن نتغيَّر قبل أن يتمكَّن الله من استخدامنا بالطريقة التي يُريدها. كنتُ متحمسة جدًّا بشأن دعوة الله في حياتي لأعلم كلمته. لكن لم تكن لديَّ فكرة في البداية إلى أي مدى سيعمل فيَّ قبل أن يعمل من خلالي.

لدى الله خُطة صالحة لكل منَّا. لكن بعض الأوقات، نخرج عن مسارها ونذهب في الاتجاه الخاطيء. شكرًا لله، فبمعاونته، يُمكننا دائمًا تصحيح المسار. يُمكننا حتى أن نرى أخطاءنا تتحوَّل إلى بَرَكات باتِّباع إرشاد الله وتوجيهه. هناك رجالان في الكتاب المُقدَّس كانا يتوجهان إلى الطريق الخطأ وهما يعقوب وبُولُس. لكن عندما عمل الله في حياتيهما، تغيَّر كلُّ منهما. حتى على الرغم من فعلهم الكثير من الأخطاء الخطيرة، انتهى بهم الأمر إلى حياة مذهلة.

كان يعقوب مخادعًا، ومحتالًا، ومدبرًا للمكائد وأصبح رجلًا عظيمًا لله (انظُر تكوين ٣٢: ٢٢-٢٨). وكان بُولُس مضطَّهَدًا للمسيحيين وأصبح

رسولًا عظيمًا (انظُر أعمال الرسل ٧: ٥٨)؛

٨: ٣-١: ٩؛ ٤، ١٧، ٢٢). لن يفوت الأوان أبدًا

لن يفوت الأوان أبدًا

للتغيير وترى مصيرك يتحقَّق.

للتغيير وترى مصيرك يتحقَّق.

في كثير من الأوقات، وحتى نستطيع أن نختبر التغيير الذي نريده في ظروفنا، ينبغي أن نكون مُستعدين أن نتغير أولاً. لم يختبر كلُّ من يعقوب وِبُولُس التغيير في ظروفهما فقط، لكنهما التزما بالتغييرات التي يجب أن تحدث فيهما. أريد أن أنصحك إن كنتَ غير سعيد بالطريقة التي تسير بها حياتك، أن تطلب من الله أن يغيّر أي شيء فيك يحتاج إلى التغيير؛ قبل تطلب منه أن يغيّر حياتك. دعونا نُصبح الأشخاص الذين يُريد الله أن نكونهم، وسرعان ما سنفعل كلَّ يُريدنا أن نفعله، ونمتلك ما يُريدنا أن نمتلكه. يُمكن أن تكون رحلة تحوّلنا إلى صورة المسيح رحلة طويلة ومؤلمة، لكن يُمكن بالتأكيد أن تمضي بأكثر سلاسة وسرعة إن تعاوننا مع الرُّوح القُدس بينما يعمل فينا.

في بعض الأحيان في رحلتك، قد تشعر كما لو أنك الشخص الوحيد الذي يحتاج إلى التغيير. كَانَ ذلك صعبًا بالنسبة لي خاصّة عندما شعرتُ أنّني كنتُ الشخصية الوحيدة التي كَانَ الله يتعامل معها. في إحدى المرات؛ عندما كنتُ أشكوله حول هذا الأمر، همس لي في قلبي: "يا جويس، طلبتِ مِنِّي الكثير؛ هل تُريدن ذلك أم لا؟" يتعامل الله بالطبع مع كلِّ مِنَّا، أو على الأقل يحاول أن يفعل ذلك، لكن ليس كلُّ مِنَّا يستمع ويطيع التغييرات التي يُريد الله أن يصنعها فينا. أريدُ حقًا أن أشجّعك أن لا تُفِرط في الاهتمام بما يفعله الله أو لا يفعله في حياة الآخرين، لكن اقبل ما يفعله في حياتك.

إن كَانَ الله يعمل في هذا الوقت في حياتك، قد تبدو كما لو أنك لست الشخص الذي كنتَ عليه قبلاً، لكنك لم تُصبح بعد الشخص الذي

ستكون عليه، وقد تشعر وكأنك علقْتَ! لا يُمكنك العودة، ولا يُمكنك الماضي قديمًا بدون معونة الله لك، حتى لو بدا أنه يأخذ غفوة. هذا ليس وقتًا للتخلي عن الثقة بالله! فالثقة بالله ليست مرّةً واحدة لخمسة ثوانٍ، لكنها رحلة يوميًا بيوم. فالله يغيرنا شيئًا فشيئًا. وفي كثير من الأحيان لا يُمكننا حتى أن نلاحظ أنّ التغيير يحدث حتى ننظر إلى الوراء لفترة طويلة من الزمن؛ ونلاحظ أننا حقًا مُختلفون عمّا كنّا عليه. كثيرًا ما أقول: "أنا لستُ حيثُ أحتاجُ أن أكون، لكن شكرًا لله أنا لستُ حيثُ اعتدتُ أن أكون!"

كان لديّ بعض الخلل الشديد في شخصيتي بعد إساءة أبي لي، وحتى بعدما اعترفتُ بالأمر وأردتُ تغييره، ظلّ يستغرق وقتًا طويلًا. لا تياس إن بدا تقدمك بطيئًا؛ ثِقْ فقط أنّ الله يعلم ما يفعله، وتمتّع بالحياة بينما تتغيّر. وتذكّر أنّ البؤس لا يجعل التغيير أسرع!

خلال رحلتنا في النضج الرُّوحي، سنحتاج إلى الثقة في توقيتات الله وطرقه حتى لو كانت غير ما نختاره. لكن، بعد بضع سنوات من الآن، عندما تنظر للخلف، ستدرك أن حياتك كانت رائعة!

أن تتحول إلى صورة المسيح هو التغيير الأعظم. وهذا يجتاز مواسم

أن تتحوّل إلى صورة
المسيح هو التغيير
الأعظم .

عديدة في حياتنا، لكن كل واحد منها جميل حقًا في وقته. الله لديه برنامج مصمّم خصيصًا لكل شخص مِنّا. لذلك تمتّع بكل مواسم، وتمتّع بالله، وتمتّع بنفسك بينما

تسير في الرحلة!

تَعَلَّمْ أَنْ تَفْعَلَ الْأُمُورَ بِطَرِيقَةٍ مُخْتَلِفَةٍ

بينما أفكر مليًا في التغيرات العجيبة التي صنعها الله فيّ على مدار سنوات، أدركتُ أنّ كل تغيير تطلّب أن أتعلّم كيف أفعل الأمور بطريقة مُخْتَلِفَةٍ، أو كيف أتجاوب مع الظروف بطريقة تختلف عمّا فعلته سابقًا.

على سبيل المثال، اعتدتُ أن أكون أنانية، لكن مُجَرَّد أن كشفَ الله لي عمق أنانيتي وكم من مَشَاكِلَ تسبّبتُ فيها في حياتي، أردتُ حقًا أن أنغيّر. لكن "الإرادة الذاتية" تموت ببطء، وهي غالبًا مؤلّمة جدًّا. استغرق الأمر معي وقتًا طويلاً لأرى فقط عمق أنانيتي، ووقتًا أطول لتعلّم أن أبقى سعيدة وأحتفظ بموقف وتوجّه سليم عندما لا تسير الأمور على طريقتي. كلّمًا تعلمتُ أن أثق بالله، أصبح الأمر أسهل، لكن لم يحدث ذلك بالتأكيد بين ليلةٍ وضحاها!

كي أتمتع بالسلام، تعلمتُ أنه كانَ عليّ التكيّف مع الأشخاص والأشياء، بدلًا من التوقع الدائم أن يتكيفوا هم معي (انظُر رومية ١٢: ١٦). استغرق الأمر معي بضع سنوات حتى أدرك تمامًا أنّ التمتع بالسلام كانَ في الواقع أفضل من اتّباع طريقتي الخاصّة طوال الوقت. السلام من أغلى الأشياء التي يُمكننا الحصول عليها، ومن الحكمة أن نقدّره بشدة. هل تُريد السلام بما يكفي لتصنع آية تغييرات عليك صنّعها من أجل الحصول عليه؟

كما تعلمتُ أيضًا أنّ كوني على حق هو أمرٌ مبالغ فيه، وإذ كانَ عليّ أن أفقد سلامي من أجل محاولة إثبات أنني على حق عندما أختلف مع

الآخرين، فالأمر ببساطة لا يستحق هذا العناء. يُمكننا أن نثق بالله ليثبت
أننا على حق إن كَانَ هذا هو الاحتياج. وإن لم يكن، فيمكننا اختيار أن نكون
راضين في كلتا الحالتين.

عملية التعلُّم لا تنتهي أبدًا. نحن نواصل التعلُّم طوال الحياة في
العديد من المجالات، وتعلُّم اتِّباع طُرُق الله ليس أمرًا مُختلِفًا. ما زلتُ
أتعلم يوميًّا عن علاقتي به، وأنا واثقة أنك أنت أيضًا كذلك.

عملية التغيير

عندما نقرّر أننا نريد أن نتغير ونحن مُستعدون أن ندع الرُّوح القُدس
يعمل في حياتنا، هناك درس هام ينبغي أن نتعلّمه جميعًا وهو أننا لا
يُمكننا تغيير أنفسنا بأنفسنا، والتغيير الحقيقي يتطلّب الثقة بأن الله
يعمل فينا ما يجب عمله. معظمنا يصارع وينتهي به الأمر محبطًا وخائب
الأمل؛ لأننا نحاول أن نتغيّر ونفشل. نحن نحقق تقدمًا صغيرًا، ثم بعد ذلك
يبدو أننا نسقط عائدين إلى عاداتنا القديمة. لذلك نقرّر أن نحاول بأكثر
شدة، أو نطوّر خُططًا وأساليب جديدة عن كيفية التغيير. لكننا نظل غير
ناجحين.

إن أردنا أن نتغير، ونحاول التغيير، لماذا إذن لا يُمكننا أن نتغير؟ لماذا لا
يُمكننا ببساطة التوقف عن فعل شيء لا نريد فعله؟ على سبيل المثال،
إن كنتُ مقتنعةً بأنني أتكلم دون تفكير، وأنّ ذلك يسبب مشاكل في
علاقتي، لذلك أريد أن أُغيّر هذه الصفة فيّ، لماذا لا أستطيع أن أفعل

ذلك؟ الجواب بسيط: لا يُمكننا أن ننجح بدون الله. إنه يُريد مِنَّا أن نطلب مساعده ونحصل عليها في كل ما نقوم به. الله فقط يُمكنه أن يغيّرنا حقًا. لأنه هذا عملٌ داخليٌّ.

إن كُنَّا نحاول جاهدين الحفاظ على الهدوء وعدم التسبب في النزاعات بقول أشياء خاطئة. قد ننجح لفترة من الوقت. لكن في لحظة من عدم الحذر ستظهر المُشكلة مرّةً أخرى. لكن إن تعلمنا أن نثق بالله لمساعدتنا في جميع علاقاتنا. سنجد أنّه يغيّرنا شيئًا فشيئًا. ويومًا ما ندرك أن المُشكلة القديمة لم تعد مُشكلة. ونحن لن نستطيع أن نفعل شيئًا إلا أن نشكر الله؛ لأننا نعرف أنه فعل ذلك. فقط أولئك الثابتون في المسيح سيشهدون تغييرًا حقيقيًا! فخطّة الله هي: "مَنْ يَثْبُتْ فِيَّ وَانْتَبَتْ أَنَا فِيهِ. يُنْتِجْ ثَمَرًا كَثِيرًا. فَأَنْتُمْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا بِدُونِي." (يوحنا ١٥ : ٥).

من سمات الطبيعة البشرية أننا نُريد فعل الأشياء بنفسنا؛ حتى نتمكن من أن نفتخر بأنفسنا. ولكنّ الله يُريد مِنَّا أن نثق به في كل شيء؛ ثم نقدّم له الشكر على كل ما فعله.

هل تصارع مع نفسك؟ هل تحاول تغيير الأشياء التي لا تحبها عن نفسك؛ أو تلك التي تعرف أنها لا تتفق مع إرادة الله؟ ربما تكون قلقًا وتحاول ألا تقلق. أو ربما تكون غاضبًا من شخص ما و تحاول أن تغفر له. يُمكن أن يكون هناك ألف شيء مُختلف. ولكن الشيء الوحيد الذي يجب

أَنْ نَتَعَلَّمَهُ هُوَ أَنَا لَا يُمَكِّنُ أَنْ نَتَغَيَّرَ فَقَطْ عَنِ طَرِيقِ الْمَحَاوَلَةِ. نَحْنُ بِحَاجَةِ إِلَى مُسَاعَدَةِ اللَّهِ.

شَكَرًا لِلَّهِ، يُمَكِّنُنَا أَنْ نُصَلِّيَ وَنَضَعَ ثِقَتَنَا فِيهِ أَنْ يَفْعَلَ مَا نَحْتَاجُ أَنْ يَفْعَلَهُ فِينَا. فَأَيُّ جَهْدٍ نَقُومُ بِهِ يَجِبُ أَنْ يَتِمَّ بِالِاتِّكَالِ عَلَى اللَّهِ. لَا بِمَعزَلٍ

سيكون علينا أن
نستبدل استقلالنا
باعتتمادنا على يسوع
إن أردنا أن نحقق نجاحًا
حقيقيًا.

عنه. هذا يبدو بسيطًا. لكنه واحد من أصعب الأشياء التي نتعلّمها. لمجرد أنّ الجنس البشري مستقر جدًا. سيكون علينا أن نستبدل استقلالنا باعتمادنا على يسوع إن أردنا أن نحقق نجاحًا حقيقيًا. تعلّم أن تتكل! تعلّم أن تثق!

يُشَارِكُنَا الرَّسُولُ بُولُسُ فِي رُومِيَّةِ ٧: ١٥-٢٥ أَنَّهُ ظَلَّ يَحَاوِلُ وَيَفْشَلُ حَتَّى تَعَلَّمَ أَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ يُمَكِّنُ أَنْ يَخْلُصَهُ وَأَنَّهُ سَيَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ الْمَسِيحِ. وَبَعْدَ مَا يَبْدُو أَنَّهُ صِرَاعٌ شَدِيدٌ وَاجْهَهُ بُولُسُ مَعَ نَفْسِهِ بَيْنَمَا يَحَاوِلُ أَنْ يَفْعَلَ الْحَقَّ وَيُوَاصِلَ الْفِشْلَ. قَالَ:

وَيَجِي أَنَا الْإِنْسَانُ الشَّقِيُّ! مَنْ يُنْقِذُنِي مِنْ جَسَدِ هَذَا الْمَوْتِ؟
أَشْكُرُ اللَّهَ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبَّنَا! (رُومِيَّةِ ٧: ٢٤-٢٥)

يبدو واضحًا بالنسبة لي من اللغة وعلامات الترقيم التي نجدها في هذه الآيات أنّ بُولُسَ كَانَ مُتَأَكِّدًا تَمَامًا وَوَأَثَقًا مِنْ أَنَّهُ قَدْ وَجَدَ أَحْيَا الْجَوَابِ الصَّحِيحِ. اللَّهُ وَحْدَهُ يُمَكِّنُ أَنْ يَفْعَلَ مَا يَجِبُ فِعْلُهُ. وَهُوَ وَحْدَهُ مَنْ يُمَكِّنُهُ أَنْ يَفْعَلَ مَا يَجِبُ فِعْلُهُ فِينَا!

اطلب تأخذ

إذا كنتَ ترغب في التغيير، يرى الله ذلك ويُسرُّ به! لذا فالخُطوة التالية الآن هي الثِّقة به أن يفعل ما يجب فعله ويُعطيك القوَّة التي تحتاجها للتغيير. في كثير من الأحيان، عندما نريد أن نتغيَّر، نحاول أن نفعل ذلك بينما نترك الله تماماً خارج العملية برمَّتها. لن يفلح ذلك! لم يفلح مع الرَّسول بُولُس ولن يفلح بالنسبة لنا. خلاصة القول هنا أننا يجب أن نثق بالله ليعمل إرادته فينا بدلاً من محاولة أن نفعل ذلك بأنفسنا.

يقول يعقوب ٤: ٦ إن الله "يُعطينا المزيد والمزيد من النعمة [من خلال قوة الرُّوح القُدس لتحدي الخطيَّة وعيش حياة مطيعة تعكس كلاً من إيماننا وامتناننا من أجل خلاصنا]". النعمة هي رضا الله وقوَّته المُمكنة، وبدون التدفق المُستمر منها في حياتنا، ينتهي بنا الأمر بالإحباط والإنهاك. أتذكَّر كيف كنتُ مبتهجة عندما اكتشفتُ هذه الحقيقة. كنتُ قد حاولتُ بجد أن أكون ما اعتقدتُ أنَّ الله يُريدني أن أكونه، لكنني كنتُ أفشل باستمرار وكنتُ منزعة ومحبَّطة. حاولتُ وفشلتُ آلاف المرات. كنتُ أقول إنني أستسلم، لكن بعد ذلك أستعيد عزمي مرَّة أخرى وأحاول وأختبر المزيد من الفشل. لكن عندما تعلَّمتُ أخيراً أن نعمة الله كانت العنصر المفقود في خُططي؛ وبدأتُ أثق به لتغييرني، بدأتُ أختبر الانتصارات.

وكما تقول الترنيمة: "نعمة مذهلة! كم يحلو صداها!" علينا أن نطلب من الله نعمته في حياتنا. ويقول يعقوب ٤: ٢ "... أنتم لا تتألون ما تريدون

لِأَنَّكُمْ لَا تَطْلُبُونَ مِنَ اللَّهِ. " الأمر بسيط جداً! اطلب! اطلب تأخذ "لكي
يَكُونَ فَرَحُكُمْ كَامِلاً." (يوحنا ١٦: ٢٤). عندما كنتُ أكافح من أجل التغيير.
كنتُ أحاول، لكنني لم أطلب. لم أكن أثق. الثقة في الله عادة ما تكون
العنصر المفقود في كل إخفاقاتنا. إن تبادلنا كل محاولتنا البشرية
بالمزيد من الثقة في الله، سنُدَهِّش من النتائج!

ما هو دورنا؟

نتعلّم من كَلِمَةِ الله أَنَّنَا عندما ننظر إليها بثبات، نتغيّر إلى صورة
المسيح من مجدٍ إلى مجدٍ (انظر ٢ كورنثوس ٣: ١٨). دورنا أن ندرس كَلِمَةَ
الله؛ ونثق أَنَّنَا تمتلئ القوّة لتغييرنا. دع الكَلِمَةَ تدخل قلبك مثل الدواء
وثقُ أَنَّنَا ستعمل عملها. قال يعقوب إنَّ كَلِمَةَ الله لديها القوّة أن تحفظ
نفوسنا. (انظر يعقوب ١: ٢١).

الثقة في كَلِمَةِ الله تعادل الثقة في الله نفسه! لا تقرأ الكَلِمَةَ فقط
لتتّمم فروضك الدينية اليومية، لكن بدلاً من ذلك اقترب منها بتمعّن.
مدرّكاً أَنَّنَا مملوءة بالقوّة. استقبلها كما لو كانت طعامك اليومي، لأنها
الغذاء الذي نحتاجه لقوّةنا الرُوحية. ثقُ بها للقيام بالعمل التي تحتاج
إلى القيام به فيك. كما نثقُ في قدرة دواءٍ في وصفةٍ طبية أنه يشفي
أجسادنا، يُمكننا الثقة في دواء (قوة الشفاء) كَلِمَةَ الله لشفاء نفوسنا.

أريدُ اقتراح أن تفكّر في تحويل ما تقرأه إلى صلوات. مثلاً، عندما تقرأ
تعليمات عن أهمية مَحَبَّة الآخرين، لا تقرأ مُجرّد قراءة، لكن اطلب من الله

أن يُسَاعِدَكَ أن تحب الآخرين. وعندما تقرأ عن أهمية الغفران لأعدائك. حوّل ذلك إلى صلاة. اطلب من الله أن يُسَاعِدَكَ دائِمًا أن تكون سريع الغفران وسخيًّا في الرحمة. عندما نفعل ذلك، لا تكون قراءتنا للكَلِمَةِ مُجَرَّدَ قِراءة. لكننا نطلب من الله أن يجعلها واقعًا في حياتنا.

تذكّر دائِمًا أن أقوى شيء يُمكننا فعله هو الاستناد. والانتكال، والاعتماد على الله، والثقة فيه!

الفصل ٢٠

ثق في الله أن يغيّر الأشخاص

تعلم أن تُقدّر الأشخاص كما هم، ليس كما تُريدهم أن يكونوا.

جون ماكسويل

أعتقد أنّ واحدًا من أسهل الأمور التي يُمكن للبشر أن يفعلوها في العالم أن يكتشفوا أخطاء بعضهم البعض، لكنّه أيضًا واحدٌ من أتعسها! جميعنا لدينا عيوب، مع ذلك يبدو في سعينا لتغيير الآخرين، أننا عميانٌ عن الأمور التي تحتاج لتغييرٍ فينا.

يستطيع الله وحده أن يغير الناس تغييرًا حقيقيًا وفعّالًا؛ لأن التغيير هو الشيء الذي يجب أن يحدث من الداخل للخارج. لا بد أن يتغيّر القلب كي يتغيّر سلوك الإنسان تغييرًا حقيقيًا، والله وحده يُمكنه أن يُعطينا قلبًا جديدًا. مكتوب في حزقيال ٣٦: ٢٦: "وَسَأُعْطِيكُمْ قَلْبًا جَدِيدًا، وَسَأَضَعُ رُوحًا جَدِيدَةً فِي دَاخِلِكُمْ. سَأَنْزِعُ الْقَلْبَ الْحَجَرِيَّ مِنْ جِسْمِكُمْ، وَأَضَعُ مَكَانَهُ قَلْبًا لَحْمِيًّا." هذا يعني ببساطة أنّ الله سيُعطينا قلبه وروحه، ويخرج القلب القاسي المتحجّر من داخلنا؛ ويستبدله بآخر حسّاس لمشيئته

ولمسأته. دون هذا التغيير ليس هناك كثيرٌ من الأمل في وجود أشخاص يُحبون بعضهم البعض حقًا؛ ويعيشون معًا في سلام.

قد يكون هناك شخص في حياتك تؤدُّ أن تراه يتغيَّر. يُمكن أن يكون شريك الحياة، أو شريك العمل. لن يتغيَّر الناس إن لم يُريدوا أن يتغيروا. والخطوة الأولى أن تصلِّي من أجلهم، وتطلب من الله أن يمنحهم الإرادة والاستعداد أن يواجهوا حقيقة سلوكهم والرغبة في التغيير. والشيء الوحيد الذي يُمكنك فعله بعد ذلك أن تكون نموذجًا جيّدًا له؛ وأن تضع تركيزك على صفاته الحسنة، بدلًا من تلك التي لا تحبّها.

صلِّ بتواضع

يجب أن تكون صلاتنا من أجل تغيير الآخرين بكل تواضع، وإلا قد نسقط في عين الفخ؛ الذي نعتقد أنّ الآخرين فيه. في ١ كورنثوس ١٠: ١٢ يقول: "فَلْيَحْذَرُ مَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ ثَابِتٌ لِنَلَّا يَسْقُطَ." كثيرًا ما أصلي هكذا:

"يا أبي، أطلب منك أن تتغيَّر ————— إن كان حقًا بحاجةٍ للتغيير. وإن لم يكن، فغيِّر قلبي واجعلني أرى خطأي في تفكيري أنّه يحتاج للتغيير. وأطلب أيضًا أن تُغيِّرني بأيّة طريقة يجب أن تُغيِّر بها. آمين!"

هناك أمورٌ عديدة نعلم أنّها خاطئة؛ لأن هذا واضح في كلمة الله، لكن هناك أمورًا أخرى كثيرة لا نحبّها في الناس بلا سبب غير أنّنا لا نحبّها وحسب. عندما يكون الناس مُختلفين عنّا، أو لديهم آراء مُختلفة عمّا

لدينا. من السهل أن نجد الخطأ فيهم. لكن من الحكمة أن نوسّع دائرة تفكيرنا. ونتعلّم أنّ لكل شخص قيمته فقط إن بحثنا عنها.

واحدٌ من أكبر صراعات حياتنا عادةً ما يكون مع الأشخاص والأشياء التي لا نحبّها! نحن نريدها أن تتغيّر لفائدتنا. لكننا نادرًا ما نُفكّر كم أنّ هذا التوجّه أنانيّ حقًا. على الأقل هذا ما اعتدنا أن نكون عليه. في كبريائنا. نفترض أنّ طرُقنا في أن نكون. أو نفعّل. هي الصحيحة. وأنّ كل من في الكون يجب أن يفعلوا الأمور بطريقتنا. هذا بعينه التوجّه الذي تسبّب في مُعظم حالات الطلاق. والفسل. في العديد من العلاقات الأخرى داخل العائلات وفي الحياة عامّة.

الخطوة الأولى نحو التواضع يجب أن تكون إدراكنا بأنّ ثمة أخطاءً فينا أكثر من الأشخاص الذين ندينهم. لكن. نحن لا نرى أخطاءنا. من ناحية؛ لأننا مشغولون جدًّا بالأخطاء التي نعتقد أنّنا وصمنا بها الآخرين؛ كذلك لأننا نميل لإيجاد أعذار لأنفسنا عندما يكون سلوكنا أقلّ ممّا يجب. لكننا لا نبسط هذه الدرجة نفسها من الرحمة للآخرين.

واحدةٌ من أقوى الصدمات في حياتي كانت عندما عرّفني الله على نفسي!

كنت يومًا ما في وقت صلاة من أجل تغيير ديف؛
عندها قاطع الله صلاتي. هل يُمكنك تصوّر
هذا. كنتُ أحاول الصلاة. والله قاطعني! عندما
واحدةٌ من أكبر صدمات
حياتي كانت عندما
عرّفني الله على نفسي .

أفكّر في هذا الآن. أخجل بسبب ما كنتُ عليه من حماقة. لكني كنتُ وقتها جاهلةً تمامًا. قاطعني الله بينما كنتُ أصلي لأجل ديف. وقال لي إنّ ديف

لم يكن هو المُشكِلة في علاقتنا. بل أنا. كنتُ في صدمة! وعلى مدار الأيام الثلاثة التالية واجهني الله بحقيقة كيف كَانَ يبدو الأمر في الحياة معي. وكشف لي كم كنتُ أنانية ومتسلّطة، وكم كَانَ صعبًا أن يكون أحدُ برفقتي. كم كنتُ أسعد فقط عندما أُجري الأمور بطريقتي. كنتُ أبكي في مُعظم تلك الأيام الثلاثة. لكن كَانَ هذا بداية لتغييرٍ صحيٍّ في حياتي.

قوة الرحمة

الرحمة تنتصر دائمًا على الدينونة (أنظر يعقوب ٢: ١٣). بتعبيرٍ آخر، الرحمة أقوى من الدينونة. أشكُّ أنه يُمكن لأحدنا أن يُظهر الكثير من الرحمة للآخرين إن لم يكن قد أدرك حَقًّا عمق هشاشتنا. وضعفنا. وأخطائنا. عندما ندركُ كم الرحمة التي يمنحها الله لكل مِنَّا. يوميًا. يجعلنا هذا أسخياء في إظهار الرحمة للآخرين. هناك خرافة لطيفة عن أحد الملوك الذي لم يكن يفهم الرحمة؛ والبستاني الذي كَانَ يرحم:

كان أحد الملوك لديه بستان كبير. وكانت لديه أشجار من الفواكه المتنوعة مزروعة هناك. قام الملك بتعيين بستانيٍّ ماهر ليعتني بأشجار الفاكهة.

في كل يوم، كَانَ البستاني يلتقط الفواكه الناضجة والمثمرة من الأشجار المُختلِفة ويجمعها في سلة. وفي كل صباح عندما يجلس الملك وحاشيته، يُقدِّم البستاني الفاكهة للملك.

في أحد الأيام، جمع البستاني بعض حَبَّات التوت وأخذها إلى الملك. وَكَانَ الملك سيء المزاج. عندما اختار إحدى حَبَّات التوت ليتذوقها، كانت حامضة

المذاق. لذلك أخرج الملك غضبه على البستاني. وفي غضب. ألقى حبة التوت عليه. ضربته الحبة في جبهته. لكن البستاني قال: "الله رحيم!"

تساءل الملك: "يجب أن تكون مصابًا وغازبًا لكنك تقول: 'الله رحيم' لماذا؟"

قال له البستاني: "جلالة الملك، كنتُ سأحضر لك اليوم أناس، لكنني غيّرتُ رأيي. لو كنتُ ألقيتُ على الأنايس، كنتُ سأصاب بأكثر شدة. كان الله رحيمًا لأنه غيّر رأيي."

من الواضح أنّ البستاني تعلّم أن يثق بالله حتّى عندما تبدو الأمور ظالمة. يُمكن دائمًا أن تكون الأمور أسوأ ممّا هي عليه، ولولا رحمة الله، لأصبحت هكذا!

لسنا في حاجة إلى سبب آخر لنُظهر الرحمة للآخرين؛ غير حقيقة أن الله أظهر ويظهر لنا الرحمة. وهو يتوقّع مِنّا أن نقدّم للآخرين ما أعطاه بسخاءٍ لنا. هو يغفر ويتوقّع مِنّا أن نغفر. ويُجيبنا دون شروط ويتوقّع مِنّا أيضًا أن نحب الآخرين بالطريقة نفسها. هو يمنحنا الرحمة على أخطائنا. ويتوقّع مِنّا أن نظهر الرحمة للآخرين. لا ينتظر الله مِنّا أن نُعطي ما ليس لدينا، لذلك يمنحنا كل أمر صالح نحتاج إليه حتى نكون قادرين أن نتمتع بحياتنا ونمثّله جيدًا. أتصوّر أنّ الملك القاسي عديم الرحمة فكّر لوقتٍ طويل في موقف البستاني الرحيم! عندما نُظهر الرحمة للناس، تُذهلهم. خاصّة إن كانوا مدركين تمامًا أنّهم يستحقون العقاب.

أودُ أن أقترح عليك أن تأخذ بضع دقائق وتفكّر مليًا إن كان هناك شخصٌ

في حياتك يجب أن تقدّم له الرحمة كهدية. هي لا يُمكن أن تُكتسب أو تُسنّح، لكن عندما تُعطى مجانًا، يختبر الناس قوة مَحَبَّة الله بطريقة عملية كثيرًا ما تغيّرهم.

أعطى الله لي ولديف نعمة الغفران لوالدي تجاه إساءته الجنسية لي كطفلة، وقدّمنا له الرحمة في شيخوخته، وقمنا برعايته حتى مات. أتذكّر عندما قال لنا: "أراد مُعظم الناس أن يقتلوني على ما فعلته، لكنكما كنتما دائما شفوقين معي!" لقد قَبِل يسوع قبل ثلاث سنوات من وفاته، وأنا ممتنة لذلك. أظهر الله له الرحمة من خلالنا. فالله يعمل من خلال الناس، وفي شراكة معهم. ويُريد أن يستخدم كل واحد مِنَّا باستمرار. هناك العديد من الأشخاص الضالين والمجروحين في العالم. هم ربما جرّبوا نوعًا من التدبّن وخاب أملهم، لكن إن التقوا بيسوع، لن يكونوا نفس الأشخاص. ربما لا يُمكنه أن يصل لشخص ما إلا من خلال نموذج حياتك الخاصّة. دعونا نلتزم بأن نظهر للناس ما يُحبه يسوع بدلًا من مُجرّد محاولة الكلام عنه. الكَلِمَات يُمكن أن تكون رخيصة وعاجزة إن لم يكن هناك أي عمل لدعمها.

رأيتُ كثيرين على مدار السنين يحاولون أن يتحدثوا مع والدي حول تغيير سلوكه لأنه كان مزعجًا ومؤذيًا مُعظم حياته، لكن معه شيء، مع ذلك، عندما اختبر رحمة الله، بدأتُ تذيب قلبه القاسي، وكان الله قادرًا أن يغيره. وبعد أن قَبِل يسوع كمخلّصه واعتمد، تغيّر حقًا. لقد عاش فقط لمدة ثلاث سنوات أخرى، لكنني أشكر الله، هو في السماء الآن.

اختيار حر

لا يجبر الله الناس على فعل أمور ضد إرادتهم، وليس علينا أيضًا أن نحاول فعل ذلك. ليس من الخطأ محاولة التحدث إلى شخص ما عن سلوك خاطئ في حياته يضر به نفسه أو الآخرين. لكن إن رفض كَلِمَاتنا. فإننا نضيع وقتنا إن واصلنا محاولة إقناعه بالتغيير. رأيتُ بعض التغييرات المدهشة في الناس على مر السنين. لكن لم يكن ذلك لأنني كنتُ قادرة على التحدث معهم إلى درجة التغيير. أبدًا. بل صنع الله بهم تغييرًا عندما صلينا!

تقول كَلِمَة الله إن المرأة إن كَانَ لديها زوج غير مُخلّص. فإنها قد تريحه بسلوكها التقى. وليس حديثها (انظُر ١ بَطْرُس ٣: ١). إنني واثقة من أن المرأة عندما تحاول إقناع زوجها بالتغيير. فإنه يُصبح أكثر رسوخًا وتصميمًا على عدم التغيير! الله هو من يستطيع إقناع الناس أن يفعلوا شيئًا ما. أو أن يمتنعوا عن شيء ما. أفضل جِدًّا مِمَّا يُمكن أن يكون عليه أي واحد مِنَّا.

التزم بالصلاة بدلًا من محاولة تغيير الناس وسترى نتائج أفضل كثيرًا.

العجرفة

خطيئة العجرفة هي خطيئة نادرًا ما نسمع عنها. لكننا بحاجة لسماع المزيد عنها. تخرُج العجرفة من قلب الكبرياء. والشخص المتعجرف

يتخذ القرارات التي ليس لديه سلطة لاتخاذها. ويفعل الأشياء التي لم يحصل على تصريح لفعلها.

نادرا ما يحصل الموظف المتعجرف على الترقية. وينتهي الحال بالطفل المتعجرف بفقدان امتيازات كان يتمتع بها. يحتاج ابن الله (المؤمن) المتعجرف لتعامل الله معه قبل أن يُمكن استخدامه بفعالية في عمل الله. اتخاذ قراراتنا دون الرجوع لمشئته الله هو عجرفة.

”اسْمَعُوا يَا مَنْ تَقُولُونَ: «الْيَوْمَ أَوْ غَدًا سَنَسَافِرُ إِلَى هَذِهِ الْمَدِينَةِ أَوْ تِلْكَ، وَسَنَعْمَلُ وَسَنَجْمَعُ الْمَالَ.» إِنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ كَيْفَ سَتَكُونُ حَيَاتُكُمْ غَدًا. أَنْتُمْ كَالْبُخَارِ الَّذِي يَظْهَرُ لِيَوْقَتٍ قَلِيلٍ ثُمَّ يَخْتَفِي. لَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ تَقُولُوا دَائِمًا: «إِنْ شَاءَ الرَّبُّ، سَنَعِيشُ وَنَعْمَلُ كَذَا وَكَذَا.» لَكِنَّكُمْ تَتَّبَاهُونَ بِسَبَبِ عَجْرَفَتِكُمْ. وَمِثْلُ هَذَا التَّبَاهِي شَرٌّ.”

(يعقوب ٤: ١٣-١٦)

اتخاذ الإجراءات دون الرجوع لمشئته الله، والصلاة والثقة به للتوجيه، ليس الشيء الذي تُسّر به السماء! وهو يُظهر فكر الكبرياء الذي نحتاج إلى التعامل معه في حياتنا.

إن افتراض أن شخصًا ما يحتاج إلى التغيير والقيام بمحاولة تغييره هو عجرفة. لهذا السبب أنصح بشدّة عندما نُصلي إلى الله ليُغيّر شخصًا ما، أن نعمل ذلك باتجاه قلبي متواضع، مدركين أن لدينا أيضًا أمورًا عديدة تحتاج إلى تغيير فينا.

أفرحُ عندما يكون الله صبورًا معي. لكنني تساءلتُ مراتٍ عديدة عن صبره مع الآخرين. نحن لا نفهم دائمًا لماذا لا يُغيّر الله الشخص الذي لا يعاملنا بطريقة مناسبة. ووفقًا لبولس. فإن الله يُظهر للناس لطفًا ويتمهّل في الدينونة من أجل أن يقودهم إلى التوبة (أنظر رومية ٢: ٤). إن كان بإمكان الله أن يُظهر الرحمة ويتحمّل السلوك السيء في محاولة لجلب الشخص إلى التوبة، ربما يجب أن نُفكّر في فعل الشيء نفسه.

في إحدى المرات كان لي مدير لم يكن يعامل موظفيه بشكل لائق. ولا يُقدّر عملهم الشاق. ولم يدفع لهم راتبًا مناسبًا. وسرعان ما ينبه على أي خطأ بسيط. ولم يكن يحترم الآخرين. كان مسيحيًا. وكان ينبغي أن يعرف أفضل من ذلك. يجب أن أعترف بأنني كثيرًا ما سألتُ الله عن سبب تركه لهذا الرجل مستمرًا في سلوكه السيء؛ بدلًا من فعل شيء لإيقافه. فقط الناس المتعجرفون يسألون الله! الصلاة التي كانت من الأفضل أن أصليها هي. "يا الله، أنا أعلم أنك تحاول التعامل مع _____، وأصلي أن يستمع إليك ويفعل ما هو صحيح. إنه يؤذيني. ولكنني أعلم أن سلوكه يؤذيك أكثر. شكرًا يا ربُّ على صبرك الشديد مع كل واحد مِنَّا".

للأسف، لم يتغيّر الرجل حتى اضطر الله للتعامل معه بشدة. نتيجة لذلك، لم تيسر حياته على النحو الذي كان يُمكن أن يكون لو أنه استمع لله وخضع له. أحزن عندما أفكر في ذلك، وأتمنى الآن حقًا لو كنتُ قضيتُ المزيد من الوقت أصليّ لذلك الرجل بدلًا من أن أنزعج منه وأنشغل بكيفية معاملته لي.

عندما لا يعيش الناس في حياتك بالطريقة التي ينبغي أن يعيشوها. ويؤذيك سلوكهم أو يؤذي غيرك من الناس. احرص أن تصلي بلجاجة من أجلهم. صلّ أن يستمعوا إلى الله قبل فوات الأوان. هذا النوع من المواقف الرحيمة أفضل بكثير من موقف الدينونة! قال ديتريش بينهوفر: "من خلال الحكم على الآخرين نحن نعمي أنفسنا عن شرنا. وعن النعمة التي تحق للآخرين تمامًا كما تحق لنا".

سنتمتع بسلام أكثر بكثير في حياتنا إن كُنَّا نُصَلِّي من أجل الآخرين بدلًا من محاولة تغييرهم، والله سيفعل ما يُمكنه وحده أن يفعله. وبينما ننتظر التغييرات التي نرغب في حدوثها في الحياة، لنكن مُتأكِّدين من أننا لا نزال أمناء على كل ما طلب الله مِنَّا. ولنكن مرنين وطيعين في يديه وندعوه ليجعلنا أوعية مناسبة لاستخدامه لنا!

الفصل ٢١

التعامل مع الشك

”لا تحفر في شك بحثًا عمّا زرعتَه في إيمان.“

إليزابيث إليوت

سيكون من السهل أن نثق بالله إن لم يأتِ الشك أبدًا لزيارتنا. لكنّه يأتي. لذلك يجب أن نتعلّم التعامل معه. من السهل أن نتمنى ألا تُوجد مقاومة في أي شيء. لكن هذا ليس واقعياً. ما أجمل لو لم تكن هناك تجارب! ما أجمل لو لم يكن هناك خوف. ما أجمل لو لم يكن الشك موجوداً! لكنه موجود. مع ذلك لا يجب أن يكون هو المُشكلة التي نسمح بوجودها. فالله يُخبرنا أن يكون لدينا إيمان ولا نشك. مع ذلك لم يُخبرنا أبداً أنّ الشك لن يأتي إلينا في زيارة عارضة. هو يعرف أنّه سيأتي؛ ويريدنا أن نكون مُستعدين للتعامل معه بسرعة ودقة عندما يأتي.

كنتُ أُجري مؤخرًا مُقابَلة تلفزيونية أُجيب فيها عن أسئلة المشاهدين حول الثقة. وأرسلت سيدة عبر موقعنا الإلكتروني سؤالاً عن الشك. قالت إنّها تحاول أن تثق بالله، وتريد أن تثق به، لكن يبدو أنّها لا تستطيع التخلّص من الشك الذي ابتلاها. وكانت تسألني عمّا يُمكنها فعله.

ربما يكون لدينا السؤال نفسه؛ الذي أعلم أنني سألته في أحد الأوقات. والحقيقة أننا لا نستطيع أن نمنع الشك من أن يأتي أو من محاولته سرقة إيماننا وثقتنا بالله.

عندما يأتي الشك، يُمكننا اختيار ألا نسمح له أن يؤثر فينا. يُمكننا أن نتعلم الشك في شكوكنا!

عندما يُخبرنا الله ألا نفعَل شيئًا، هو لا يُخبرنا أننا لن نُجرب أبدًا في

فعله، أو أننا لن نرغب أبدًا أن نفعله، أو أننا لن نحتاج إلى مقاومة فعله. لكنّه في الواقع يُخبرنا العكس. فلماذا يقول "لا تخف" إن لم

يُمكننا أن نتعلم الشك في شكوكنا!

نكن سنمر بإمكانية الخوف؟ لماذا يقول ألا ندخل في تجربة إن لم نكن سنُجرب؟ أو لا نشك إن لم نكن سنمرُّ باحتمالية الشك؟

سيأتي الشك، لكن يجب ألا نسمح له أن يجعلنا نتردد بشأن وعود الله لنا.

نموذج كتابي

إبراهيم هو أفضل نموذج أعرفه عندما نريد أن ندرس عن كيف لشخص في علاقة مع الله أن يتعامل مع الشك. تلقى إبراهيم وعدًا من الله أنه وسارة سيكون لهما ولد. كان موقفه في العالم الطبيعي مستحيلًا؛ لأن كلاً منهما كان قد تجاوز العمر الذي يكون فيه قادرًا على الإنجاب. وفقًا للنص الكتابي، لم يكن لإبراهيم سبب يدعو للرجاء، لكنه آمن على الرجاء (انظر رومية ٤: ١٨).

عندما فكّر في جسده غير القادر على الإنجاب وعُقم رَحم سارة الميّت. لم يضعف في الإيمان (انظر رومية ٤: ١٩). لم يجعله عدم الإيمان أو عدم الثقة يتردّد (يسأل في شك) بشأن وعد الله له. لأنه تقوى ممجداً الله (انظر رومية ٤: ٢٠). تحقّق وعد الله لإبراهيم وسارة. على الرغم من أنّه استغرق وقتاً أطول قليلاً ممّا كنا نعتقدان.

أستطيع تصوّر كيف حاول الشك منع الأشخاص الذين نقرأ عنهم في الكتاب المقدّس من المضي قدماً مع الله. ويمتلئ الكتاب المقدّس بأمثلة من رجالٍ ونساء وثقوا بالله رغم أنهم واجهوا معارضة ومشقة كبيرة، ومعاملة ظالمة أحياناً. بالتأكيد زار الشك يوسُف عندما كان في السجن لجريمة لم يرتكبها.. وإستير لأنها استعدت للمثول أمام الملك دون دعوةٍ حتى وإن كان ذلك جريمةً عقابها الموت.. وبولس عندما سافر حاملاً إنجيل المسيح، ليواجه الاضطهاد، والسجن، والضربات، والجوع، وغيرها من المصاعب الرهيبة. لكن كل هؤلاء الناس رأوا أمانة الله، وجاهدوا الجهاد الحسن في الإيمان.

فهم المقاومة

أدرکتُ مؤخراً أنّ التحرُّر من أمرٍ ما من خلال رحمة الله لا يعني دائماً اختفاء هذا الأمر. نحن نتحرَّر من أمرٍ ماضينا المؤلِّم، لكن قد يبقى الأمر يراودنا أحياناً. نحن أحرار من الخوف، لكنّه يظهر في أوقات غير مناسبة حتى يرى إن كان بإمكانه أن يجد مدخلاً لحياتنا مرّة ثانية.

في إنجيل لوقا أصحاب ٤، نرى وصفًا ليسوع وهو يُقاد بالرُّوح القُدس إلى البرية ليُجرب من إبليس. وخلال الأربعين يومًا التي قضاها هناك، تحمّل تجارب متنوعة، وقاوم كلاً منها بنجاح. مع ذلك يصرّح الكتاب المُقدّس أنّ الشيطان ذهب بعيدًا لينتظر وقتًا مناسبًا آخر، عندما اكتملت دائرة التجربة (أنظر لوقا ٤: ١٣). بتعبيرٍ آخر، ربح يسوع المعركة، لكن ستأتي معارك أخرى. المقاومة آتية!

التحديات التي نختبرها تمتحن إيماننا بالله. فهو يُجرب في أتون المحن، ونأمل أن يخرج قويًا ولا يفنى. الشك، والخوف، والقلق، جميعها جزء من المقاومة. مع وجود فرص جديدة تأتي المقاومة (أنظر ١ كورنثوس ١٦: ٩). قال بولس إنّه عندما أراد أن يفعل الخير، كان الشر يأتي دائمًا (أنظر رومية ٧: ٢١). لا يجب أن نسمح للمقاومة أن تهزم إيماننا، لكنّها ستأتي! تأتي المقاومة في أشكال مُتعدّدة، لكن بغضّ النظر عن كيف تأتي، فهدفها أن نجعلنا نتخلّى عن رجائنا في نوال ما قد وعدنا الله به.

الأشخاص الذين يقاومونا:

بينما نسعى لفعل مشيئة الله، قد نجد أشخاصًا يقاومونا. كان على الرسل أن يتعاملوا بشكل منتظم مع مقاومة القادة الدينيين والرومان لهم. ويقينًا كان على يسوع أن يتعامل مع مقاومة الأشخاص الذين رفضوه واحتقروه. اتهموه باطلاً، وانتقدوه واستخفوا به، لكنّه ظلّ واضعًا تركيزه على فعل مشيئة أبيه. في بعض الأوقات، يكون مقاومونا هم الذين

اعتمدنا عليهم لتشجيعنا. وإن حدث ذلك من المُمكن أن يكون مُؤلمًا جدًّا. ظنَّ إخوة يسوع أنَّه كانَ مجنونًا وكانوا يخلون من البقاء معه.

الظروف التي تقاومنا:

كلنا معتادون على الظروف التي تقف مُقاومة لنا وتجعل من الصعب علينا أن نتمم أهدافنا. كنتُ أحتفظ لمدة شهر بقائمة من الأمور غير المتوقَّعة التي حدثت على مدار حياتي اليومية، وكانت مُحبطة، واستنفدت وقتًا وجهدًا. خلال هذا الوقت، كنتُ أحاول الانتهاء من كتابة أحد الكتب، وأُحضّر لمؤتمرات قادمة، أصدُر برنامَجًا تلفزيونيًا، وأتجول لأشارك إنجيل يسوع المسيح. عندَ نهاية الثلاثين يومًا، كانتُ لديّ قائمة طويلة جدًّا من الظروف المضادة تبدأ من سقوط شراب الفيتامين الأحمر على الأريكة البيضاء حتى سقوطي على السُّلم.

إنَّ هذه النوعية من الأحداث مزعجة للغاية، لكن بعض الظروف تكون أكثر خطورة وتتطلب المزيد من انتباهنا. عندما يقاومنا أمرٌ ما، ويقف في طريق قيامنا بفعل ما ننوي فعله، يُمكننا أن نتأكد تمامًا أننا عندما نحاول اتباع الله بكل قلوبنا، سيجد إبليس طريقةً حتَّى يقاومنا.

المشاعر والأفكار التي تقاومنا:

بجانب الأشياء الواقعية التي ذكرتها، نحن نتعرَّض أيضًا لمقاومة من الأفكار والمشاعر تهدف لإضعاف ثقتنا بالله. والشك مُجرَّد واحد منها.

هناك أيضًا الخوف، والقلق، والفرع، واليأس، والهَم، وغيرها الكثير. مع ذلك، يُمكننا أن نتشجّع بمعرفة أن الكثير من رجال ونساء الله الذي مضوا أمامنا ثابروا وتمّموا مشيئته، وبنعمة ربنا يسوع المسيح يُمكننا أن نعمل الشيء نفسه وسنفعه.

يجب أن "نسهّر ونصلي" كما توصينا كلمة الله (أنظر متى ٢٦: ٤٠-٤١: ١ بط ٤: ٧). انتبه إلى الأمور التي تقاوم إيمانك وتحاول أن تمنعك من أن تكون مطيعًا لله. تعرّف عليها ولا تسمح لها أبدًا أن تسلب منك ميراثك في الله.

فيما يختص بالشك، تذكّر أنّ الشعور به لا يعني أنّك لا تمتلك الإيمان، أو لا تثق بالله. بل يعني أنّ إبليس يجلب التجربة ليوقفنا عن الثقة بالله، لكننا نستطيع أن نفهم مصدر الشك ونذكر أننا لا يجب أن نصدّقه.

على سبيل المثال، لنقل إنني سمعتُ أنّ أحد الأشخاص قال شيئًا ناقدًا عني، لكنّه كان الشخص الذي انتقد الكثير من الناس وهو في الواقع لا يعرف شيئًا عني. لن أنزعج بشأن انتقاده لأنني سأدرك المصدر خلفه. يجب أن نعمل الأمر نفسه عندما تأتي المشاعر والأفكار الشريرة إلينا وتجربنا حتى نتوقف عن الثقة بالله. أوصى يسوع تلاميذه أن يصلّوا ألا يدخلوا في تجربة (أنظر لوقا ٢٢: ٤٠). التجربة ستأتي، لكن لديهم الاختيار: هل سيدخلون فيها أو لا.

بالنسبة لي شخصيًا، كان مفيدًا جدًا أن أفهم أنّ مجرد شعوري بالخوف، لا يعني أنني جبانة، ومجرد شعوري بالشك، لا يعني أنني لم أعد

أثق بالله. لا نستطيع أن نهزم عدونا إن لم نعرفه! الشك رفيق الخوف.
وكلاهما عدو لنا!

تقليل الضوضاء

هل سبق لك أن كنت في وسط ضوضاء مزعجة وقمت بتشغيل الراديو أو التلفاز الخاص بك حتى تتوقف عن سماعها؟ أنا أسكن في شقة عادةً ما تكون هادئة جدًا، لكن مرة واحدة في الأسبوع، يكون لدى أحد المطاعم المجاورة لي فرقة موسيقية تعزف مساء ذلك اليوم موسيقى مرتفعة جدًا لا أحبها، تشتت انتباهي، ولديها نوع من الجدار المتحرك الذي ينزلق مفتوحًا فتخرج الموسيقى الصاخبة إلى الخارج كما هي في الداخل. تعلمت أنني إن أشعلت التلفاز قليلاً، سأأخذ من صوت الموسيقى.

أعتقد أن ما فعله إبراهيم عندما هزم الشك وعدم الثقة من خلال حمده وتمجيده لله هو نموذج مُختلف للأمر نفسه. هو سمع الشك وشعر به، لكنّه أوقف الضوضاء القادمة من إبليس بتقديم التسبيح.

سمعت ذلك الجزء من إحدى التسبيحات، وكان يُخبر بحكاية أو قصة عن شيءٍ صالح فعله الله. ربما عندما شعر إبراهيم بالشك، بدأ يسأل سارة عمّا إن كانت تتذكّر وقت عندما تركا بيتهما في حاران ليتبعاه الله. لكن لم تكن لديهما فكرة عن أين كان يُريدهما أن يذهبا. وقادهما الله، خطوة بخطوة، وأنا متأكّدة أنّه هناك قصص عديدة عن صلاح كان يمكنهما سردها والحديث عنها.

كثيرًا ما نفعل أنا وديف الشيء نفسه. نحن نستمتع بالحديث عن الأيام الأولى لخدمتنا وجميع التحديات التي واجهناها وكم كان الله أمينًا. عندما أتذكر تلك الأوقات، أجد صعوبة في الشك في الله. هذا لا يعني أنني لا أشك، لكنني أوقف الضوضاء وأنا أعرف المصدر!

لم يكن الله ليعطينا آية تعليمات بالأشياء، إلا إن كان يعلم أن الشك سيأتي لمهاجمة إيماننا. الشك أداة الشيطان لمنعنا من فعل الأشياء التي يريد الله أن نفعها؛ كي نمتلك ما يريدنا امتلاكه.

عندما كان يسوع في طريقه لشفاء ابنة رجل مريضة جدًا، ظل الآخرون يوقفونه ويطلبون الشفاء أيضًا. كان يتوقف لمساعدتهم، وفي إحدى المرات، وبينما كان يعتني بشخص مريض، جاء خدام الرجل، وأخبروه ألا يواصل رحلته؛ لأن الفتاة ماتت. يقول الكتاب المقدس إن يسوع سمعهم، لكنّه تجاهلهم، وقال للرجل أن يواصل ثقته (أنظر مارك ٥: ٢٢-٤٣).
يمكنك أن ترى أن يسوع أيضًا كان عليه تجاهل التقارير التي تهدف لجلب الشك. كان يجرب بنفس الطرق التي نجرب بها، مع ذلك لم يخطئ (أنظر العبرانيين ١٥: ٤)

لن نكون بلا طريق أبدًا

في قاموس فاين التفسيري لكلمات العهد الجديد، يُعرّف "الشك" جزئيًا بأنه "بدون طريق"، أو "أن تكون بدون مصادر". نحن لا نفقد أبدًا الطريق؛ لأن يسوع هو الطريق (أنظر يوحنا ٤: ١٦). قد لا نرى الطريق، لكن هذا بالضبط

وقت احتياجنا للثقة بالله. فالإيمان والثقة هما من أجل الأوقات التي لا نعرف فيها ما يجب القيام به أو الأوقات التي لا نملك فيها مصادر خاصة بنا. يسوع ليس فقط الطريق، بل أيضًا مصدرنا! لن يحتاج أحدنا أبدًا إلى شيء لا يمكن أن يوفره الله.

قد يُخبرك الناس "لا يوجد طريق". وقد يهمس لك إبليس "لا يوجد طريق"، لكن يُمكنك تذكر أن: "الطريق" يحيا فيك وهو معك! هل ستثق فيه طوال الطريق وحتى الانتصار؟

قبل أربعين عامًا، عندما دعاني الله لأعلم كلمته، كنتُ أعمل أربعين ساعة بالأسبوع إضافةً لكوني زوجةً وأمًّا. لم يترك لي جدول المشغول وقتًا كافيًا لأدرس الكتاب المقدس كما يجب كي أحضر التعاليم التي كنتُ أنقاد لتقديمها في دراستنا الأسبوعية للكتاب.

شعرتُ في قلبي شعورًا شديدًا أنني يجب أن أخطو خطوة إيمان كبيرة، وأستقيل من وظيفتي كي أفضي وقتًا أطول في دراسة كلمة الله. وافق ديف، وتركتُ وظيفتي ومصدر دخلي. كانت فواتيرنا في زيادة قليلة كل شهر أكثر من راتب ديف، وأتذكر كيف كان الشك والخوف يهاجماني، ويُخبراني أن الله لن يُسدّد الاحتياج وأنني اتخذتُ القرار الخاطيء بأن أتخلي عن وظيفتي.

شعرتُ في قلبي أنني فعلتُ الأمر الصحيح، لكن ظلّ عقلي يجادلني. كنتُ أعاني لدرجة أنني كنتُ بئسةً تمامًا. ثمّ في صباح أحد الأيام، وبينما كنتُ أتمشّي داخل المنزل، تكلم الله إلى قلبي وقال بوضوح: "يُمكنك إمّا

أن تحاولي الاعتناء بنفسك وحياتك في خوفٍ وشك. أو الثقة بي أني قادرٌ على تسديد احتياجاتك بطرقٍ عجيبة. " كنتُ في مفترق طرق في إيماني؛ وكنْتُ أحتَاجُ أن أتوقف عن ترددي وأقرّر ما إن كنتُ سأثق بالله أم لا.

منحني الله نعمةً حتى أنق به، وشاهدناه يُسدّد احتياجاتنا شهرًا بعد شهر بطرقٍ مدهشةٍ لمدة ست سنوات. في تلك السنوات، ازداد إيماني وتعلّمتُ بالاختبار أنّ الله أمين. ما زلتُ أنظرُ للخلف وأتذكّر تلك السنوات، وأنا سعيدة بوجودها في حياتي لأنها تسبّبت في اقترابي إلى الله أكثر من أي وقت مضى.

إن شعرت أنّ الله يقودك أن تفعل شيئًا، لكن بمجرد أن تخطو بإيمان، يهاجمك الشك، لا تندهش. فإيمانك يُمتحن، وقد يكون أيضًا يُواجه تحدّيًا، وهذا أمرٌ لا جيد. كلّمًا تعلّمتُ أن تثق بالله خلال الاختبار، يصبح سهلًا أن تثق به. ستختبر أمانته بطرق جديدة، وفي كل مرّة تفعل، يجعلك ذلك أقوى.

سمعتُ مرّةً أنّ الشك يقتل الأحلام أكثر ممّا يفعل الفشل. لا تسمح للشك أن ينزع إيمانك. اعترف به كما هو وتخطّاه بإيمان!

الفصل ٢٢

كم من الخبرة لديك؟

"طُوبَى لِلإِنْسَانِ الَّذِي يَجِدُ الْحِكْمَةَ. وَلِلإِنْسَانِ الَّذِي يَنَالُ
الْفَهْمَ" (أمثال ١٢: ٣)

إن سبق لكَ وقَدِّمْتَ طلبًا للحصول على وظيفة. على الأرجح أن أحد الأسئلة التي تمَّ سؤالك عنها "هل لديك أيَّة خبرة؟" إن كَانَ الجواب نعم. فالسؤال التالي قد يكون "كم من الخبرة لديك؟" قد تمتلك شهادة جامعية في مجال معين ترغب في العَمَل فيه. لكن التعليم وحده لا يؤهلنا دائِمًا للحصول على عمل. أيًّا كَانَ مقدار ما نعتقد أننا نعرفه. ما لم يتم اختبار معرفتنا. فليس دليلًا على كيفية أدائنا في العمل.

ينظر الله إلى الأمر نفسه عندما يرغب في استخدامنا لمجده وتحقيق مقاصده في الأرض. عندما كَانَ موسى بحاجة إلى مُسَاعَدَة في قيادة الإسرائيليين، بتوجيه من الله، أعطى هذه التعليمات للشعب:

"اخْتَارُوا مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنْ قَبَائِلِكُمْ رَجَالًا حُكَمَاءَ وَذَوِي فَهْمٍ وَخِبْرَةٍ. لِأَعْيِنَهُمْ رُؤَسَاءَ لَكُمْ." (تثنية ١: ١٣).

لاِحْظُ أَنَّ قَائِمَةَ الْمَتَطَلِبَاتِ لَا تَذَكُرُ الْمَوْهَبَةَ! قَدْ يَكُونُ الشَّخْصُ مَوْهوبًا بِشَكْلِ رَائِعٍ فِي مَجَالٍ مَا، لَكِنْ حَتَّى يَكُونَ ذَا قِيَمَةٍ كَبِيرَةٍ، يَحْتَاجُ أَيْضًا لِلْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ وَالخَبْرَةِ. بَحَثَ مُوسَى عَنِ الرِّجَالِ الَّذِينَ لَدَيْهِمْ بَعْضُ الخَبْرَةِ؛ قَبْلَ أَنْ يَضْعُوهُمْ فِي مَنَاصِبَ قِيَادِيَّةٍ.

عِنْدَمَا بَدَأْنَا فِي بِنَاءِ الخِدْمَةِ الَّتِي دَعَانَا اللهُ لِبِنَائِهَا، كُنَّا أَيْضًا بِحَاجَةٍ إِلَى أَشْخَاصٍ لِمُسَاعَدَتِنَا. وَبَيْنَمَا كُنْتُ أَتَحَدَّثُ مَعَ الرَّاعِي عَنِ الْاِحْتِيَاجَاتِ، قَالَ: "يَا جُويْسُ، تَذَكَّرِي دَائِمًا أَنَّكَ لَنْ تَعْرِفِي أَبَدًا حَقِيقَةَ أَيِّ شَخْصٍ حَتَّى تَرِيهِ فِي جَمِيعِ الْحَالَاتِ". لِمَاذَا؟ لِأَنَّ أَحَدًا يَعْرِفُ كَيْفَ سَيَتَصَرَّفُ شَخْصٌ حَتَّى تَوْضِعَ طِبَاعَهُ وَمَعْرِفَتَهُ عَلَى الْمَحْكِ، وَلَا نَعْرِفُ حَتَّى مَا سَنفَعُهُ نَحْنُ إِلَّا عِنْدَمَا نَمُرُّ بِالتَّجْرِبَةِ مِنْ خِلَالِ مُوَاجَهَةِ تَحْدِيَّاتٍ مُخْتَلِفَةٍ فِي الْحَيَاةِ.

مِنَ السَّهْلِ أَنْ نَفَكِّرَ أَوْ حَتَّى نَقُولَ إِنَّنَا نَثِيقُ بِاللَّهِ، لَكِنْ هَلْ نَفْعَلُ ذَلِكَ فَعَلِيًّا عِنْدَمَا نَحْتَاجُ لِفَعْلِهِ؟ أَثْنَاءَ كِتَابَةِ هَذَا الْكِتَابِ، وَاجَهْتُ تَحْدِيًّا مَعَيَّنًا كَانَ مُؤَلِّمًا وَاسْتَمَرُّ لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ. خِلَالِ ذَلِكَ الْوَقْتِ، كُنْتُ قَادِرَةً عَلَى الثِّقَةِ بِاللَّهِ لِلْعَنَايَةِ بِذَلِكَ الْأَمْرِ؛ لِأَنَّي مَرَرْتُ بِسِنَوَاتٍ عَدِيدَةٍ مِنَ الخَبْرَةِ مَعَهُ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَمَانَتَهُ مَرَارًا وَتَكَرَّرًا.

يُمْكِنُنَا قِرَاءَةَ كِتَابٍ عَنِ الثِّقَةِ بِاللَّهِ، لَكِنَّا سَنَحْتَاجُ إِلَى الخَبْرَةِ حَتَّى نَصِيحَ جِيْدِيْنَ حَقًّا فِي ذَلِكَ. وَبِصِفَتِي مُعَلِّمَةً لِكَلِمَةِ اللهِ، أَحَاوِلُ أَنْ أَشَارِكُ النَّاسَ بِأَنَّ مُجَرَّدَ سَمَاعٍ أَوْ قِرَاءَةِ شَيْءٍ مَا هُوَ جُزْءٌ فَقَطْ مِنَ الْمَطْلُوبِ. نَحْنُ بِحَاجَةٍ أَيْضًا إِلَى "فِعْلٍ" مَا نَتَعَلَّمُهُ، وَبَيْنَمَا نَفْعَلُ ذَلِكَ، نَتَعَلَّمُ بِالْقَدْرِ

نفسه، إن لم يكن أكثر. مِمَّا نتعلَّمه من المَعْرِفَةِ التي اكتسبناها من خلال الدراسة.

كان يَسُوعَ مَخْتَبِرًا

يُعلن عبرانيين ٥: ٨-٩ عن يَسُوعَ قائلاً: "رُغِمَ أَنَّهُ كَانَ ابْنًا، فَقَدَ تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ مِنْ خِلالِ الْآلَامِ الَّتِي عَانَاهَا. وَبَعْدَ أَنْ كَمَّلَ بِالْآلَامِ، صَارَ مَصْدَرَ خَلَاصٍ أَبَدِيٍّ لِكُلِّ الَّذِينَ يُطِيعُونَهُ."

حتى يَسُوعَ كَانَ مُؤَهَّلًا لِلْقِيَامِ بِالمَهْمَةِ الَّتِي أَرَادَ اللهُ أَنْ يَفْعَلَهَا عَنْ

طريق المرور بالأُمُور المُخْتَلِفَةِ واكتساب الخبرة. لا أعرف ما يعنيه ذلك بالنسبة لك، لكن هذا أمر مشجِّع بالنسبة لي! إنه يُسَاعِدُنِي عَلَى فَهْمِ أَنَا نَتَعَلَّمُ بَيْنَمَا نَمْضِي، إِنَّ جِازَ التَّعْبِيرِ. قَدْ يَجِدُ الْمُؤْمِنُونَ الْجُدُدَ أَنْ صَعْبًا جِدًّا عَلَيْهِمْ كَمُؤْمِنِينَ أَنْ يَثِقُوا بِاللَّهِ،

طريق المرور بالأُمُور المُخْتَلِفَةِ واكتساب الخبرة. لا أعرف ما يعنيه ذلك بالنسبة لك، لكن هذا أمر مشجِّع بالنسبة لي! إنه يُسَاعِدُنِي عَلَى فَهْمِ أَنَا نَتَعَلَّمُ بَيْنَمَا نَمْضِي، إِنَّ جِازَ التَّعْبِيرِ. قَدْ يَجِدُ الْمُؤْمِنُونَ الْجُدُدَ أَنْ صَعْبًا جِدًّا عَلَيْهِمْ كَمُؤْمِنِينَ أَنْ يَثِقُوا بِاللَّهِ،

لكن مع مرور السنوات واختبار إيماننا، سنعرف أن الله يُمكن الوثوق به. فالمَعْرِفَةُ المَرْتَكِزَةُ عَلَى الاطِّلَاعِ العَقْلِيِّ هِيَ دَرَجَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ المَعْرِفَةِ، وَلَكِنِ المَعْرِفَةُ عَنْ طَرِيقِ الخَبْرَةِ هِيَ أَعْمَقُ مِنْ ذَلِكَ بِكَثِيرٍ.

نحن بحاجة إلى التعليم (كَلِمَةُ اللهِ)، لكننا نحتاج أيضًا إلى الإعلان. وأعتقد أن ذلك يأتي من الأوقات التي يتم فيها إخضاع معرفتنا للاختبار ونختبر رؤية صلاح الله وأمانته خلال مواقف حياتنا الشخصية.

بينما كَانَ الرَّسُولُ بُولُسَ يَنْصَحُ أَهْلَ كُورِنْثُوسَ وَيَشْجَعُهُمْ، قَالَ لَهُمْ إِنَّهُ لَنْ يَأْتِيَ شَيْءٌ ضَدَّهُمْ فَوْقَ مَا يَسْتَطِيعُونَ تَحْمُلَهُ: اللَّهُ دَائِمًا يُوَفِّرُ مَخْرَجًا، لِأَنَّهُ أَمِينٌ لِكَلِمَتِهِ (أَنْظُرْ ١ كُورِنْثُوسَ ١٠: ١٣). أَعْتَقِدُ أَنَّ بُولُسَ كَانَ يَتَحَدَّثُ مِنْ وَاقِعِ الْخَبْرَةِ. لَقَدْ خَاضَ الْكَثِيرُ مِنَ الْأَشْيَاءِ الصَّعْبَةِ بَيْنَمَا كَانَ يَتَّقَى بِاللَّهِ، وَبَعْدَ مَرُورِ الْوَقْتِ رَأَى اللَّهُ يَنْقِذُهُ أَوْ يُعْطِيهِ الْقُوَّةَ لِلْمَرُورِ خِلَالَ كُلِّ ذَلِكَ بِمَوْقِفِ الْمُنْتَصِرِ.

فِي الْآوَنَةِ الْأَخِيرَةِ، خِلَالَ جَلِيسَةِ سُؤَالٍ وَجَوَابٍ كُنْتُ أَقِيمُهَا حَوْلَ الثِّقَةِ بِاللَّهِ، طَرَحَتْ امْرَأَةٌ سُؤَالَ: "كَيْفَ يُمَكِّنُنِي أَنْ أَتَّقَى بِاللَّهِ فِي حِينِ أَنَّي وَثَقْتُ بِهِ فِي الْمَاضِي وَلَمْ يَأْتِ لِإِنْقَازِي؟" قَبْلَ عَشْرِينَ عَامًا كُنْتُ أُوَاجِهُ صَعُوبَةً فِي الْإِجَابَةِ عَلَيْهَا، لَكِنْ بَعْدَ أَرْبَعِينَ عَامًا مِنَ الْخَبْرَةِ مَعَ اللَّهِ، كُنْتُ أَعْرِفُ الْجَوَابَ. فَقُلْتُ: "إِنْ كُنْتَ طَلَبْتِ مِنَ اللَّهِ أَمْرًا وَلَمْ تَحْصَلِي عَلَيْهِ، فَقَدْ طَلَبْتِ أَمْرًا لَمْ يَكُنْ فِي خَطِّهِ لَكَ". يُمَكِّنُ لِشَخْصٍ نَاضِجٍ فِي الْإِيمَانِ أَنْ يَطْلُبَ مِنَ اللَّهِ أَمْرًا، لَكِنْ إِنْ لَمْ يَحْصَلْ عَلَيْهِ، يُوَاصِلُ ثِقَتَهُ فِيهِ. هُوَ يَتَّقَى أَنْ مَا يَطْلُبُهُ لَوْ كَانَ فِي إِرَادَةِ اللَّهِ، فَسَيُعْطِيهِ لَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ، فَإِنَّهُ أَفْضَلُ حَالًا بَدُونِهِ. يُمَكِّنُهُ فِي الْوَاقِعِ أَنْ يَتَعَلَّمَ شُكْرَ اللَّهِ لِأَنَّهُ لَمْ يَحْصَلْ عَلَى مَا أَرَادَ! هُوَ لَا يَتَّقَى بِاللَّهِ فَقَطْ مِنْ أَجْلِ الْأَشْيَاءِ، لَكِنْ بِطُولِ الطَّرِيقِ مِنْ خِلَالَ الْأَشْيَاءِ.

قال بُولُسُ هَذَا:

"لَكِنْ مَا نَتَمَنَّاؤُهُ هُوَ أَنْ يُظْهَرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ هَذَا الْاجْتِهَادَ نَفْسَهُ حَتَّى النَّهْيَةِ، لِكَيْ يَتَحَقَّقَ الرَّجَاءُ." (عبرانيين ٦: ١١).

في كل مَرَّة نضع ثقتنا بالله في الوقت الذي نواجه صعوبة، يُصبح من الأسهل القيام بذلك في المرة القادمة. شيئًا فشيء (في بعض الأحيان قليلًا جدًا) نتعلّم أن نثق بالله، لذلك لا تيأس إن كنت لا تشعر بأنك ناجح في ذلك الآن كما يجب أن تكون.

مدرسة الحياة

جميعنا في مدرسة الحياة، ونتعلّم أكثر وأكثر بينما نمضي في رحلتنا. تحدث داود كاتب المزامير في كثير من الأحيان عن أولئك الذين لديهم خبرة مع الرب. وقال إنَّ أولئك يتكلمون عليه ويضعون ثقتهم به (أنظر مزمور ٩ : ١٠). عندما نتعرف على صلاح الله، ولطفه، ورحمته، وحبه غير المشروط، وكَرَمه، يُعطينا ذلك الثقة بأننا نستطيع أن نأتمنه في أي ظرف من الظروف. حتى لو كَانَ لا يُعطينا ما نتمناه، سنرى في نهاية المطاف أنه يُعطي دائمًا أفضل شيء. مجرد عدم فهمنا لسبب فعل الله الأشياء بهذه الطريقة، لا يعني أنَّ طُرُقَه ليست صحيحة. سنفهم في نهاية المطاف، رغم أنَّ الأمر يستغرق العمر كله أحيانًا.

كثيرًا ما يقول الناس: "أتمنى أن أكون صغيرًا مَرَّة أخرى وأن أعرف ما أعرفه الآن". لكن هذا أمرٌ مستحيل. نحن نعرف فقط ما نعرفه الآن؛ لأننا ذهبنا من خلال مدرسة الحياة.

عندما دعاني الله لتعليم كلمته، لم أكن قادرة على وضع الحياة في الانتظار؛ والانطلاق إلى مدرسة الكتاب المقدّس. لكن كنتُ وما زلتُ في

مدرسة الحياة. وقد تعلمتُ أشياء كثيرة لم أكن تعلمتها من قبل بذهابي إلى المدرسة فقط.

تحدّث داود عن ما أطلق عليه "التجارب المُقدّسة" (أنظر مزمور ١١٩: ٧). أحب هذه الفكرة! بعض الأمور التي اختبرناها لم تكن غالبًا من اختيارنا. لكن في حكمة الرب غير المحدودة تُصبح "مُقدّسة". بتعبير آخر، هي تجارب مُقدّسة تُستخدم لمساعدتنا في معرفة الله وقوة قيامته بصورة حقيقية.

خلال السنوات الست التي اختبر الله فيها إيماننا بعد أن استقلتُ من وظيفتي، وكانَ علينا أن نتكل عليه تمامًا. كنتُ أنمو روحياً بطرق مدهشة. لم تكن الطريقة التي كنتُ سأختارها، لكنها كانت بالتأكيد الطريقة الصحيحة!

أستمتعُ بالتفكير في كيفية رعاية الله للإسرائيليين أثناء قيامهم برحلتهم عبْر البرية ومرورهم في مدرسة الحياة. كانَ يطعمهم ب (طعام

فائق للطبيعة) ولم تكن لديهم أيّة فكرة أو دليل من أين يأتي، إلا وعد الله، أنه سيأتي في اليوم التالي وما يليه. كانوا يثقون بالله حرفياً يوماً بعد يوم. أحياناً تكون الطريقة الوحيدة

أحياناً تكون الطريقة الوحيدة التي نتعلّم بها فعل الشيء عندما لا يكون لدينا خيارٌ آخر.

التي نتعلّم بها فعل الشيء هي عندما لا يكون لدينا أي خيارٍ آخر.

خلال الأربعين عاماً التي ارتحلوا فيها في البرية، لم تبَل ملابس الإسرائيليين (أنظر تثنية ٨: ٤) لم يحصلوا على أيّة ملابس جديدة، لكنها

استمرت وقتاً طويلاً بطريقة معجزية. قال الله إنه كَانَ يَحْتَبِرُهُمْ لِمَعْرِفَةِ ما إن كانوا سيحفظون وصاياه أم لا. من هنا نرى أَنَّهُ لا يُوجَد دليل على الثِّقَة دون اختبار! كَانَ هدفه نَقْلَهُمْ إلى وَضْع أفضل كثيرًا، لكن كَانَ عليه أولاً أن يَعْلَمَهُمْ أن يعتمدوا عليه؛ حتى لا ينسوه أبداً بعد أن يمروا بالأشياء التي عاشوها معه (انظُرْ تثنية ٨: ٢، ٧، ١١).

في مدرسة الحياة، واجهتُ خيانة أولئك الذين ظننتُ أَنَّهُمْ أصدقاء طيبون، وواجهتُ رَفْض أفراد العائلة والأصدقاء عندما لم يوافقوا على خياراتي في حياتي، وسوء الفهم، والاتهامات الكاذبة، والاضطهاد، وغيرها من الأحداث المُؤَلِّمة. لكنني تعلمتُ أيضاً أهمية الغفران للذين يؤذونني، وأن أرفض الامتلاء بالمرارة والغضب. تعلمتُ النزاهة والتميز والسلام والصبر وضبط النفس، وكيفية اختيار الأصدقاء المناسبين للحفاظ على الله أولاً في حياتي، وتقدير الناس، وتعلمتُ حرفياً آلافاً من دروس الحياة الأخرى. معظمها لم يكن سهلاً تعلمه؛ لأنها تتطلب الاختبار الذي يتحول في نهاية المطاف إلى الخبرة التي تسمح لي الآن أن أثق بالله بسهولة أكبر وأكبر مع مرور السنوات.

يُصْبِح الأمر أسهل

أعتقد أنني أستطيع يقيناً قولَ إِنَّ الثِّقَة بالله تُصْبِح أسهل. عندما تكون الحياة معه كذلك، فبينما نختار "وَضْع" ثقتنا فيه بدلاً من وضعها في أشياء أخرى، نتعلم وننمو في قدرتنا على فعل ذلك. شاهدتُ ديف يعيش مع ما أسماه "راحة مُقَدَّسة" خلال مُعْظَم سنوات زواجنا الخمسين.

في أحد الأوقات كَانَ مثيرًا لي أَنَّ الحياة بدت سهلة جدًا له؛ وصعبة جدًا بالنسبة لي. لكن تَعَلَّمْتُ بعد ذلك أَنَّ الحياة ليست سهلة على أَحَدٍ مِنَّا. إِنَّمَا يُمكننا أن نعيش في راحة مُقدَّسة من خِلال الثِّقة بالله في جميع الأوقات. وفي كل شيء.

يبدو أَنَّ ديف يتعلم أسرع قليلًا مِنَّمَا أفعل أنا. أنا صَلَبَتِ الرأس قليلًا. وعادة ما يكون لديّ عدد قليل من "التجارب المُقدَّسة" أكثر مِنَّمَا له حتى أتعلَّم أخيرًا. تَعَلَّم ديف في وقت مبكر من الحياة أن يلقي هَمَّهُ على الله ويدهه يعتني به. أذكر في السنوات الأولى من زواجنا عندما واجهنا صعوبات؛ أَنَّهُ كَانَ يحاول أن يقول لي إِنَّ قلقي واضطرابي لن يغيِّر أي شيء، وإِنِّي يجب أن أثق بالله. أردتُ فعل ذلك. لكني ببساطة لم أكن أعرف كيف. إن كنت تعاني من وقت يصعب فيه أن تثق بالله، أريد أن أؤكد لكَ أَنِّي أعرف كيف تشعر. لكنني أعلم من التجربة أنك ستتعلم أثناء استمرار رحلتك. لا تياس من نفسك إن بدا أحيانًا أَنَّ لديك القليل جدًا من الإيمان. تذكر فقط أننا عندما نستخدم إيماننا القليل، يُمكن أن يُصبح كبيرًا بمرور الوقت.

قال يَسُوع للتلاميذ الذين هلعوا في العاصفة، إِنَّ لديهم إيمانًا قليلًا (انظر مرقس ٤: ٤٠). لكن بعد سنوات قليلة، نرى أَنَّ هؤلاء الرجال أنفسهم يمارسون إيمانهم العظيم وهم ينشرون إنجيل المَسِيح بفعالية في زمن الاضطهاد الشديد. نما إيمانهم القليل لإيمانٍ كبير. وهذا يُمكن أن يحدث أيضًا لإيماننا. لم يتعلموا أن يمتلكوا إيمانًا كبيرًا وهم مستلقون على الشاطئ في يوم مشمس، بل تعلموا ذلك في عاصفة إعصارية! فشلوا في الثِّقة بالله في العاصفة، لكنهم تعلموا في نهاية المطاف أن يثقوا

به في جميع الأوقات، وفي كل شيء. واجه هؤلاء الرجال الموت يوميًا. مع ذلك واصلوا التقدّم بسرعة؛ لأنهم كانوا يعرفون أنّ بإمكانهم أن يثقوا بالله: سواء في الحياة أو الموت!

عندما كَانَ يَسُوع يتألم على الصليب، وعلى وشك لفظ نفسه الأخير، كانت كَلِمَاتِهِ الأَخِيرَةَ كَلِمَاتِ ثِقَةٍ. قال «يَا أَبِي، أَسْتَوْدِعُ رُوحِي بَيْنَ يَدَيْكَ.» (لوقا ٢٣: ٤٦).

أصَلِّي أَنْ نتعلّم جميعًا الثِّقَةَ بالله للنفْس الأَخِيرِ فِي حياتنا! حياة الثِّقَةَ بالله تجعل الحياة التي قد تكون بائسة، ممتعة. فالثقة عطية كبيرة أعطها الله لنا. لذلك دعونا نستخدمها في جميع الأوقات، وفي كل طرقنا.

الفصل ٢٣

أخضع الكل لله

لا يزال العالم يتطلع لرؤية ما يمكن لله أن يفعله من خلال إنسان يخضع خضوعًا تامًا له.

د. ل. مودي

يبدو أنّ الناس لديهم دائمًا ما يدعوا للقلق، لكن ثمة أشياء ثلاثة نتلقى طلبات صلاة لأجلها أكثر من أي شيء آخر في خدمتنا: صلاة الناس لأطفالهم وأحبائهم، والصلاة من أجل الأمور المالية، والصلاة من أجل الصحة والشفاء.

القلق عدو الثقة بالله، ويحاول باستمرار أن يسرق إيماننا ويبقينا في عالم الخوف. لم يتلق أي شخص ما يُريده من الله من خلال الخوف. فقط من خلال الإيمان والثقة في الله قد نحيا الحياة التي نريد حقًا أن نحياها ونمتلك السلام والفرح الذي نرغب فيه. لننظر إلى هذه المجالات الثلاثة للقلق، مدركين أننا قد نطبّق المبادئ التي نراها هنا على أي مجال من مجالات حياتنا.

١. القلق بشأن أطفالنا

كيف سيُصبحون؟ هل نحن آباء جيدون؟ كيف يجب تأديبهم عندما يحتاجون إلى ذلك؟ هل نحن صارمون أكثر من اللازم، أو ربما لسنا صارمين بما يكفي؟ وإن رأينا أطفالنا يصارعون في بعض مجالات حياتهم وهم ينمون في سن المراهقة والشباب، قد نتساءل في كثير من الأحيان عمّا إن كانت الأخطاء التي ارتكبتها هي السبب الأساس لمشاكلهم. يُجب الشيطان أن يُثقل الآباء والأمهات بشعور كاذب بالذنب، عديم الجدوى، يستنزف طاقتهم.

لدينا أنا وديف أربعة أولاد وأحد عشر حفيدًا، وقد شاهدناهم يصارعون مع نوعيات كثيرة من المشاكل الشخصية المُختلفة. علّمني الله أنّ الصلاة هي صديقي الأعظم والمساعد الأقوى لي عندما يحتاج الأمر لمساعدتهم في صراعاتهم. فقلقي بشأن ما يقلقهم لن يُساعدهم أو يُساعدني.

قد نرى أطفالنا أو غيرهم ممّن نحب يتخذون قرارات سيئة، ونرغب بشدّة في إقناعهم بالتغيير. مع ذلك، حتى لو كُنّا، في أغلب المرات، نعرف حل مُشكلة شخص آخر، فإنه لن يستمع إلينا. خصوصًا المراهقون والشباب؛ إذ يبدو أنّهم بحاجة لارتكاب أخطائهم الخاصّة، واكتشاف ما يصلح، وما لا يصلح في الحياة؛ بأنفسهم.

بسبب وجود الكثير من الأحفاد، لدينا الآن شخص في كل فئة عمرية، ولدينا حاليًا مراهقان، يصارع كلُّ منهما بطريقة مُختلفة تمامًا. أحدهما يصارع مع عدم الأمان الذي يظهر بطرق كثيرة متنوعة في حين أنّ الأخرى

تُغذي القلق في حياتها من خلال التفكير المُستَمر المفرط والشعور بالمسؤولية الكاذبة.

من السهل بالنسبة لي في عمري هذا، ومع ما لديّ من خبرة، أن أنظر لكلّ منهما وأحدد سريعاً أصل مشاكلهم وجذورهما. لكن ذلك ليس سهلاً بالنسبة لهما، ببساطة؛ لأنّ كلاّ منهما لا يزال يكتشف الحياة. هما يحاولان أن يفهما أنفسهما ويصارعان مع استقلاليتهما مع التمسك أحياناً بطرقهما الطفولية والشبابية .

ولدينا أحفاد آخرون ناضجون شاهدا صراعاتهم مع مشاكل أخرى. وقد وصلوا إلى مرحلة آمنة؛ وهم يعيشون الآن حياة مثمرة بشكل جيد.

الصلاة تفتح الباب أمام الله ليعمل .

كان أحدهم يصارع مع الغضب، وآخر مع المخدرات، وآخر مع التمرد الشديد، ويُمكنني النظر للوراء، ورؤية أنّ الصلاة الحارة من

أجلهم أنتجت مع مرور الوقت نتائج رائعة. لا ينبغي أبداً أن يُنظر إلى الصلاة كملجأ أخير. لكن، وبدلاً من ذلك؛ ينبغي أن تكون أول ما نفعله في مواجهة كل صعوبة. الصلاة تفتح الباب أمام الله للعمل. وهذا الباب يبقى مفتوحاً عندما نواصل الصلاة؛ شاكرين أنه يعتني بالأشياء والأشخاص الذين يخضعون له.

كل واحد من أولادنا الأربعة كانت له مشاكله، كما يفعل معظم الأطفال، لكنهم الآن رجال ونساء ناضجون. يخدمون الله جميعاً. نحن نتمتع بصدقة رائعة مع كل واحد منهم، ونفتخر بهم إلى أقصى حد.

قد تمرّون بشيء مع أحد أطفالكم. أو كل أطفالكم. وقد يكون قلقكم مبنياً على بعض المشاكل الخطيرة التي تحتاج بالتأكيد إلى اهتمام الله. فالآباء والأمهات يميلون إلى الوقوع في فخ القلق. نحن نريد أن نساعد أطفالنا! نريد إنقاذهم! نفضل أن نأخذ المهم على أنفسنا عن مشاهدتهم يمرون بالأمر المختلف. وهذه هي الطريقة التي تتجارب بها محبة الله مع حالتنا الخاطئة والبؤس الذي سببته لنا. ومن الطبيعي جداً بالنسبة لنا كأباء أن نشعر بالشيء نفسه؛ مع ذلك، لا يمكننا أن نخلص أطفالنا من كل انزعاج في الحياة. وأحياناً يجب علينا. بدافع حبنا الحقيقي، السماح لهم بأن يعانون من عواقب البذور التي زرعوها. يمكننا أن نضع ثقتنا في النص الكتابي في سفر الأمثال الذي يعلمنا أن ندرّب أطفالنا في الطريق التي يجب أن يسلكوها وعندما يتقدمون في العمر لن يحدوا عنها (انظر أمثال ٢٢: ٦).

رغم أنّ الأطفال قد يضلون لفترة من الزمن. سيتم اجتذابهم مرّة أخرى إلى فعل ما هو حق إن وصلنا الصلاة لأجلهم؛ وقدّمنا قدوة جيدة لهم.

خطأ من هذا؟

إن كان لديك طفل يعاني من مشكلة ما أو مقدار من الضعف في حياته، فخطأ من هذا؟ هل ارتكبت أخطاء كأحد الوالدين. تسببت في مشاكلهم. أم إنها مجرد خيارات سيئة من جانبهم؟ هل المشكلة في الأشخاص الذين اختاروهم ليكونوا أصدقاءهم أم في المجتمع الذي هم جزء منه اليوم؟

أعتقد أننا ننفق الكثير من الوقت في محاولة توجيه اللوم؛ ولا نُنْفِق ما يكفي منه لنندرك. بَعْضُ النظر سبب الخطأ؛ أَنَّ الله هو الجواب! بالتأكيد ارتكبتُ أخطاءً مع أطفالِي، لكنني في الواقع فوجئتُ أَنِّي كنتُ أُمًَّ جيدةً بقدر الإمكان. نشأتُ في منزل مختل تماماً. مليء بالأمثلة السيئة واحد تلو الآخر. مع ذلك أعطاني الله نِعْمَةً لأكون أُمًَّ لأولادي أفضل بكثيرٍ ممَّا كنتُ أستطيع أن أتصوّر. قالت كلُّ من ابنتي: "يا أمي، بالنظر إلى الطريقة التي نشأت بها والإساءة التي تعرضت لها، فقد قمتِ بعمل رائع في أمومتك لنا!" يجب أن نتذكر، أننا، حتى لو لم نكن الآباء والأمهات المثاليين، يستطيع الله التغلب على نتائج أي أخطاء ارتكبتها ومعالجتها. كل ما يحتاجه مِنَّا قلبًا تائبًا وصلاةً صادقةً تُلقَى بالمشاكيل عليه؛ حتى يتمكن من العَمَل فيها.

أشجعك على مقاومة الميل للقلق بشأن أطفالك، وبدلاً من ذلك ثِقْ بالله أن يعمل فيهم ما لا يُمكنك عمله. الله وحده يُمكن أن يغير الناس! أعلمُ أَنِّي عندما أقول: "لا تقلق بشأن أطفالك"، أن هذا أسهل كثيراً من الفعل. لكن يُمكنني أن أعِدك بأنَّ الله أمين، ورغم أننا لا نستطيع السيطرة على خيارات الآخرين، يُمكن لصلواتنا أن تفتح لله بابًا للعمل في حياتهم. ليست هناك مُشكلة تمثل عائقًا أمامه.

يُمكننا أن نسلّم أبناءنا إلى الله، وسيرشدنا في أبوتنا وأمومتنا

(لا تضع أبدًا حدًا زمنيًا
للثقة!

ويعمل معهم طوال حياتهم لإيقانهم على الطريق الضيق الذي يؤدي إلى الحياة، أو نقلق بشأنهم ونبقى خائفين من إصابتهم بالضرر

أو من اختياراتهم الخاطئة. جرّبتُ الطريقتين. ويُمكنني أن أؤكد لكم أنّ تسليمهم إلى الله هو الخيار الأفضل جدًّا. ينطلق إيماننا وثقتنا من خلال صلاتنا وإقرار إيماننا. صلّ من أجل أبنائك وردّد ما تصليه. عندما يتخذون خيارات تبدو وكأنها معارضة لإرادة الله، واصل الوثوق به. لا تضع أبدًا حدًّا زمنيًّا للثقة!

يُمكننا أن نُصَلِّي لأطفالنا وغيرهم ممّن نحب ونهتم بهم بنفس الطريقة التي صلى بها الرّسول بولس لأولئك الذين أحبهم وخدمهم. استخدم هذا النص الكتابي كمثال على كيفية تسليم الأشخاص إلى الله:

”أَمَّا الْآنَ فَإِنِّي أَتْرُكُكُمْ فِي رِعَايَةِ اللَّهِ وَكَلِمَةِ نِعْمَتِهِ الْقَادِرَةِ عَلَى أَنْ تَبْنِيَكُمْ وَأَنْ تُعْطِيَكُمْ مِيرَاثًا بَيْنَ كُلِّ الْمُقَدَّسِينَ.“
(أعمال الرسل ٢٠: ٣٢).

وفيما يلي مثال على كيفية صلاة هذا النص وجعله شخصيًّا أكثر. لنفترض أنّ الشخص الذي تُريد الصلاة من أجله يدعى سام. وبدلًا من القلق بشأن سام وربما محاولة تغييره. كنت على استعداد للتسليم لله. يُمكنك القيام بذلك باستخدام هذه الكَلِمَات:

”يا أباي، أسلّم لك سام. وأضعه في رعايتك وأستودعه لكَلِمَةِ نِعْمَتِكَ. وأنا على ثقة أنّك تحفظ سام آمنًا وتجذبه لعلاقة شخصيّة وثيقة معك.“

الآن. في أي وقت تميل إلى القلق بشأن سام، حوّل القلق إلى صلاة شكر: لأن الله يعمل في حياته.

رأيتُ أشياء مذهلة تحدث في حياة أولادي باتباعي هذه الطريقة. في بعض الأحيان كنتُ أصلي نصوصًا كتابيّة محددة على واحد أو أكثر من أطفالي لعدة أشهر. وكنتُ أندهش لمشاهدة عمل الله. القلق والخوف لا يحركان يد الله؛ ولكن الإيمان والثقة والتسليم يفعلون ذلك.

٢. القلق حول الشؤون المالية

نحن نحتاج إلى المال حتى نمضي قُدَمًا في الحياة. ويبدو أنه لا يُوجد أبدًا ما يكفي منه! مرة أخرى، القلق بشأن المُشكِلة ليس الحل. يأمرنا الله أن نُحضِر العِشور والتقدمات إلى الخزانة (عمل ملكوته) وسيفتح هو كوى السماء ويسكب بَرَكات. هو أيضًا سينتهز الأكل لأجلك (انظُر مِلاخي ٣: ١٠-١١). لا يُمكننا أن ننتظر الحصاد إن لم نزرع. لذلك الأمر الأول في العَمَل أن تكون مُتأكدًا أنك أمينٌ في عطائك. وإن كنتَ أمينًا، تستطيع أن تتقدّم أمام الله بثقة وتصلّي بشجاعة. متوقِّعًا أن يُسدّد كل احتياجاتك بحسب غناه (انظُر فيلبي ٤: ١٩). كما يجب أيضًا أن نستخدم الحكمة فيما نمتلك من المال.

لم يعد الله أن يُعطينا كل ما نُريده، لكنّه وعد أن يُسدّد احتياجاتنا. لديك الحرية أن تطلب من أجل أي شيء تُريده، وهو وعد أن يُعطينا أشواق

قلوبنا (انظر مزمور ٣٧: ٤)، لكن تلك الأشواق والرغبات لا يجب أن تكون مجرد رغبات جسدية لا تنفعنا روحياً.

شاهدتُ الله يُسَدِّد احتياجاتنا لسنواتٍ عدة، وكان سداد احتياجاتنا يزداد عبْر السنين، لكنني أستطيع قطعاً قول إننا مررنا بسنوات كثيرة صعبة. لم يرد الله أن نكون مفرطين في التركيز على الأمور المادية، وفي حكمته، كثيراً ما يمنع ما نريده الآن؛ لأن لديه شيئاً أفضل من مجرد إعطائنا ما نريد.

تذكر دائماً أن التأخير ليس رفضاً، وعلينا الثقة في توقيتته. قد يمنع الله ما كنت تعتقد أنك تريده؛ لأن لديه شيئاً أفضل بالنسبة لك؛ إذ لم تكن حكيمًا بما يكفي لتطلبه في الوقت الحاضر.

إنَّ الحد من القلق بشأن مواردنا المالية ومُمارَسَة المَزِيد من الحِكْمَة نحو الاستخدام السليم لها، احتياجٌ كبير. في حياتنا، الحِكْمَة تفعل الآن ما سيكون مُرضياً في وقتٍ لاحق من الحياة، لكن مجتمعنا يدفعنا نحو تصاعد الديون من خلال تقديم العديد من الطرق للقيام بعمليات الشراء؛ وتأجيل دفع ثمنها حتى إشعار آخر. هذا ما يسمى بالدَّيْن، وكلما ازداد ما لدينا منه، ازدادت المَشاكل المالية التي تنتج عنه. عندما نضع الأشياء على بطاقات الائتمان التي لا يُمكننا حقاً تحمُّلها، وننفق اليوم ما هو السلام له قيمة أكبر بكثير من الممتلكات! للأسف.

أريدُ أن أحنكَ بِمَحَبَّة أن تكون أكثر صبراً في انتظار الأشياء بدلاً من البحث عن طُرُق للحصول على ما تُريد الآن؛ بَعْضُ النظر عمَّا يعنيه ذلك

لْمُسْتَقْبَلِك. فتوفير المال لندفع نقدًا للبنود التي نريدها لا يزال خيارًا يجب أن يُفكر الناس فيه. مع ذلك قليلون جدًّا يفعلون ذلك.

السلام له قيمة أكبر بكثير من الممتلكات! وعندما يكون لدينا دين ثقيل. يسلب سلامنا ويُمكن أن يُسبب مشاكل في العلاقات. حينها يُوجد عجز مالي. دائمًا ما يُوجد توتر وضغط. وكثيرًا ما يتحول ذلك إلى السلوك الذي يسبب مشاكل في علاقاتنا. إن كنتَ بالفعل مديونًا بشدة. أنا لا أملكُ جوابًا سريعًا مناسبًا لك، لكنني أستطيع أن أَعِدك بأنك إن كنت ستعطي الله بجد ومواظبة. وتبدأ في دفع دينك بطريقة منتظمة. بينما تضبط نفسك ألا تشتري ما لا تحتاجه فعلاً. فستخلص من الدين في نهاية المطاف؛ وتشعر بفرح الحرية المالية.

مشكلتنا في معظم الحالات ليست عدم امتلاكنا ما يكفي من المال. لكن إنفاقنا أكثر ممَّا لدينا منه! لكن إنفاقنا أكثر ممَّا لدينا منه!

دائمًا ما تكون هناك استثناءات. لكن مشكلتنا في معظم الحالات ليست عدم امتلاكنا ما يكفي من المال. لكن إنفاقنا أكثر ممَّا لدينا منه! لا تكن الشخص الذي يشعر بحق الحصول على أشياء لم يعمل من أجلها كي يربحها. كُن صبورًا وثق بأن يمدك الله بالأشياء التي تريدها في الوقت المناسب.

٣. القلق بشأن أنفسنا وكل ما يتعلّق بنا

ربما كانَ هذا هو القلق رقم واحد في العالم. نحن نميل للقلق بشأن مئات الأشياء التي تهمنا. فنقلق على صحتنا. وإذا حصلنا على تقرير

سيء من الطبيب. سرعان ما تمتلئ عقولنا بأفكار حول ما سيحدث لنا. هل سنتألم؟ هل سنموت؟ رغم أن الله قد وقرَّ قدرًا كبيرًا من التكنولوجيا الطبية المختصة، يجب أن نتذكر أن يسوع هو شافينا! وهو يريد منا أن نثق به ونتبع نصيحته في الأمور المتعلقة بصحتنا.

كلّما تقدمتُ في العمر، أصبحتُ أكثر صحة. لأنني ما زلتُ أتعلم الحكمة بشأن كيفية احترام الجسد الذي منحني الله بنعمته. مثلاً، لا يُمكننا العيش تحت الضغط والإجهاد المُستمر متوقعين في الوقت ذاته أن نكون بصحة جيدة. عندما كنتُ في الثلاثينات، كنتُ أشعرُ دائماً بالسوء.

لدينا امتياز الثقة
بالله ليحفظنا أصحاب
بدلاً من علاجنا عندما
نمرض.

لكني الآن، وأنا في السبعينات من عمري، أشعرُ بالقوة في مُعظم الوقت! وأعزو مُعظم التغيير إلى عادات الأكل السليمة، ومُمارسة الرياضة، وتعلّم كيفية العيش مع القليل جدًّا من التوتر. كذلك الثقة بأن يسوع يعمل بقوته الشافية فيّ في جميع الأوقات. ليس علينا أن ننتظر حتى نمرض لنطلب الشفاء! لدينا امتياز الثقة بالله ليحفظنا أصحاب بدلاً من علاجنا عندما نمرض. فالله يُسرُّ برعايته لنا. وتذكّر كلمته أنه يهتم بكل ما يتعلق بنا:

اللَّهُ سَيَقْتَصُّ لِي مِنْ أَعْدَائِي لِأَنَّ رَحْمَتَكَ إِلَى الْأَبَدِ يَا اللَّهُ. أَنْتَ خَلَقْتَنَا بِيَدَيْكَ، فَلَا تَتَخَلَّ عَنَّا. (مزمور ١٣٨: ٨).

نحن خليقته، وأولاده، وهو ملتزم برعايتنا إن كُنَّا سنسمح له أن يفعل

ذلك. واحدة من الآيات المفضّلة لديّ. تلك المتعلقة بمسألة الثقة بالله في رسالة بَطْرُس الأولى. أرجو قراءة هذا النص بعناية.

"كَانَ يَهَانُ، فَلَا يَرُدُّ الْإِهَانَةَ بِوَيْثُلِهَا. وَكَانَ يَتَأَلَّمُ، فَلَا يَلْجَأُ إِلَى التَّهْدِيدِ، بَلْ يُسَلِّمُ أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ الَّذِي يَحْكُمُ بَعْدَ." (١ بطرس ٢: ٢٣).

يلخّص هذا النص كل ما أردتُ أقوله في هذا الكتاب. يُمكننا أن نثق بالله في جميع الأوقات، وبكل الطرق، مع أنفسنا؛ وفي كل أمر. لا شيء ممّا نسلمّه له يخرج عن سيطرته. بغضّ النظر عن كيف تعامل الناس مع يسوع، لم يحاول الاعتناء بنفسه، لكن، وبدلاً من ذلك، كَانَ يثق باستمرار في أبيه؛ للقيام بذلك.

ما مدى التوتر والتعاسة اللذين نوجدهما في حياتنا في محاولة التأكد من أننا نعامل بشكل صحيح، ولا يستغلنا أحد؟ أعتقد أنه أكثر ممّا نستطيع تصوّره. ونحن نقرب من نهاية هذا الكتاب، أريد أن أسألك إن كنت في مرحلة ما في حياتك على استعداد لتسليم نفسك وكل ما يتعلق بك ليسوع. هل ستترك نفسك له، وتكون ملتزماً تماماً بطاعته في كل ما يطلب منك أن تفعل، كما تثق به لرعايتك؟

كم لديك من "نفسك" في ذهنك؟

نحن نقلق بشأن مَنْ سيعتني بنا وما إن كَانَ سيقوم بهذا العمل جيّداً أم لا. وإن أصبحنا في حاجةٍ لأن نعتهد على الآخرين، هل سيعاملوننا جيّداً؟ هل سنهتم بما يعتقدّه الآخرون عنّا؛ وما إن كانوا يُحبوننا أم لا. هل نرضيهم؟

ماذا سيحدث في العالم؟ وكيف سيؤثر علينا؟ هل سنفقد وظيفتنا إن كَسَدَ الاقتصاد؟

"ماذا سيحدث لي؟" .. هو بالتأكيد الخوف الأكبر لمعظمتنا، لكن الخبر السار أننا يُمكن أن نُطلق سراح هذا القلق اليَوْمَ عالِمِينَ أَنَّ اللهَ سيعتني بنا. اطلب من الرب أن يُساعدك على إبقاء نفسك خارج عقلك؛ لأنه كُلَّمَا قَلَّ تفكيرك في نفسك، أصبحت أكثر سعادة. بينما تثق بالله في رعايته لك، تأكد من زرع بذور جيدة من خلال مُساعدَةِ الآخرين. في كل مَرَّةٍ تُساعد شخصًا آخَرَ في احتياج، تزرع البذور التي ستجلب حصاد مُساعدَةَ الله في حياتك.

وصلتُ، منذ سنواتٍ عديدة، لمرحلةٍ في حياتي؛ كنتُ فيها تعيسةً جدًّا، وعلى استعداد لرؤية أي شيء يُريد الله أن يظهره لي حتى أكون سعيدة. إنها قصَّة طويلة، لكن اختصارها أَنَّهُ أظهر لي كم كنتُ غير سعيدة لأنني كنتُ أنانية. كنتُ أفكِّر في نفسي مُعظَمَ الوقت، ومن خلال جهدي المفرط، في محاولة التأكد من أنني أعني بنفسي. كنتُ أعوقه من القدرة على الاعتناء بي. يُريد الله أن يعتني بنا، لكن علينا أن نسلِّم له.

سَلِّمِ الكُلَّ لله

عندما نسلِّم أنفسنا لشخصٍ أو لشيء، هذا يعني أننا نعطيه أنفسنا بالكامل. قد نكون ملتزمين بشخص أو وظيفة. ونحن بالفعل ملتزمون بأسرة وأصدقاء. وأنا ملتزمة بالدعوة التي في حياتي لتعليم كَلِمَةَ الله. لكن قبل كل الالتزامات الأخرى، علينا أن نسلِّم أنفسنا بالكامل لله، ونطلب

أن تتم مشيئته في حياتنا. التسليم الكامل ليس له تاريخ انتهاء صلاحية. واسمح لي أن أقترح أن تصلي يوميًا صلاةً من هذا القبيل:

"أيها الأب، أسلم نفسي من جديد في يديك. وأثق بأنك تعتني بي في كل شيء وبكل وسيلة. أرشدني وهبني نعمةً لأتبعك دائمًا. إن أُصبتُ بأذى. أثق أنك تريحني. إن كنتُ مريضًا. أثق أنك تشفيني. إن كان لديَّ احتياج. أثق أنك تسدده. إن كنتُ لا أعرف ماذا أفعل. أثق أنك ستكشف لي. أنا لك وأنت لي وأنا أثق بك! في اسم يسوع. آمين!"

كيف يُمكننا أن نسلّم كل شيء آخر يتعلق بنا إلى الله؛ لأننا لم نسلّمه بعدُ أنفسنا بالكامل؟ ربما أصبحتُ مؤمنًا من خلال قبول يسوع مُخلّصًا. لكن هل تسلّم نفسك تمامًا لرعايته وحفظه؟ أعتقد أنّ هذا هو أكثر الاحتياجات إلحاحًا لدينا!

يُمكن أن تبدأ أفضل حياة بالنسبة لك الآن إن كنت على استعداد أن تُلقي كل همك على يسوع. وتسمح له أن يعتني بك!

"وَاطْرَحُوا عَلَيْهِ كُلَّ هُمُومِكُمْ [كل قلقك، كل همك، كل ما يشغلك، مرّة واحدة للأبد]. فَهُوَ يَهْتَمُّ بِكُمْ." (١ بط ٥: ٧).

لقد استمتعتُ بكتابة هذا الكتاب، وأصلي ألا تتمتع بقراءته وحسب. بل أن يكون الكتاب الذي تعود إليه في كثير من الأحيان. بينما تجدد التزامك بالثقة بالله في كل شيء، وفي كل وقت!!

